



السيرة النبوية المستخرجة من كتاب

الكامل في التلخيص

للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الوليد الشيباني
المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بجز الدين
المتوفى سنة ٦٣٠ هـ

تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة

تحقيق
إلى الفداء عبد الله القاضي

المجلد الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

لدار الكتب العلمية - بيروت

يطلب من: **دار الكتب العلمية** بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص: ١١/٩٤٢٤ تلکس: Nasher 41245 Le

نَسَبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَذِكْرُ بَعْضِ أَخْبَارِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ

واسم رسول الله ﷺ محمد، وقد تقدم ذكر ولادته في ملك كسرى أنوشروان، وهو محمد بن عبد الله - ويكنى عبد الله : أبا قثم، وقيل أبا محمد، وقيل أبا أحمد - بن عبد المطلب.

وكان عبد الله أصغر ولد أبيه^(١) فكان عبد الله وأبو طالب واسمه عبد مناف، والزبير، وعبد الكعبة وعاتكة، وأميمة، وبرة ولد عبد المطلب أمهم جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم بن يقظة.

وكان عبد المطلب نذر حين لقي من قريش العنت في حفر زمزم - كما نذكره - لئن ولد عشرة نفر وبلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة لله تعالى فلما بلغوا عشرة^(٢) وعرف أنهم سيمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه وقالوا كيف نصنع؟

قال : يأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم يكتب فيه اسمه . ففعلوا وأتوه بالقداح فدخلوا على هُبَلٍ في جوف الكعبة، وكان أعظم أصنامهم وهو على بئر يجمع فيه ما يهدى إلى الكعبة وكان عند هُبَلٍ سبعة قداح في كل قدح كتاب، فقدح فيه العقل إذا اختلفوا في العقل مَنْ يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة، وقدح فيه «نعم» للأمر إذا أرادوه يضرب به فإن خرج نعم عملوا به، وقدح فيه «لا» فإذا أرادوا أمراً ضربوا به : فإذا خرج لا لم يعملوا ذلك الأمر، وقدح فيه «منكم»، وقدح فيه «ملصق»، وقدح فيه «من غيركم»،

(١) لا بد هنا من قيد (أي : أصغر ولد أبيه حين أراد نحره) لأن العباس ، وحمزة رضي الله عنهما أصغر منه ، أول لعل الأصل : أصغر بني أمه . (م) .

(٢) قال في تاريخ الخميس : فجملت النسوة التي تزوجهن عبد المطلب خمس فولدن له اثني عشر ابناً على ما في الصفوة ، أو ثلاثة عشر على ما في ذخائر العقبي أو عشر على ما في سيرة ابن هشام والاكتفاء ، وست بنات باتفاق الكل أ هـ .

وقدح فيه المياه إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقدح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً أو ينكحوا جارية أو يدفنوا ميتاً أو شكوا في نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هبل وبمائة درهم وجزور فأعطوه صاحب القدح الذي يضربها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القدح: اضرب، فيضرب فإن خرج عليه «منكم» كان وسيطاً^(١)، وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفاً، وإن خرج عليه «ملصق» كان على منزلته منهم لا نسب له ولا حلف، وإن خرج عليه شيء سوى هذا مما يعملون به، فإن خرج «نعم» عملوا به، وإن خرج «لا» أخروه عامهم ذلك حتى أتوه به مرة أخرى ينتهون في أمورهم، إلى ذلك مما خرجت به القدح .

وقال عبد المطلب لصاحب القدح: اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذي نذر .

وكان عبدالله أصغر بني أبيه وأحبهم إليه، فلما أخذ صاحب القدح يضرب قام عبد المطلب يدعو الله تعالى، ثم ضرب صاحب القدح فخرج قدح على عبدالله فأخذ عبد المطلب بيده، ثم أقبل إلى أساف ونائلة وهما الصنمان اللذان ينحر الناس عندهما، فقامت قريش من أنديتها، فقالوا: ما تريد؟ قال: أذبحه .

فقالت قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل منا يأتي بابنه حتى يذبحه . فقال له المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم: والله لا تذبحه حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه . وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل وانطلق إلى كاهنة^(٢) بالحجر^(٣) فسلها فإن أمرتك بذبحه ذبحته فإن أمرتك بمالك وله فيه فرج قبلته، فأنطلقوا إليها وهي بخير فقص عليها عبد المطلب خبره، فقالت: ارجعوا اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا عنها ثم غدوا عليها، فقالت: نعم قد

(١) الوسيط : الشريف .

(٢) ذكر السهيلي أن اسمها (قطبة) (نقلًا عن كتاب الغوامض والمهمات لعبد الغني ، ونقل عن ابن اسحاق أن

اسمها (سجاح) .

(٣) موضع بالقرب من المدينة المنورة .

جاءني الخبر فكم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، وكانت كذلك. قالت: ارجعوا إلى بلادكم وقربوا عشراً من الإبل واضربوا عليها وعليه بالقداح فإن خرج على صاحبكم فزيدوا عشراً حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فأنحروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى أتوا مكة، فلما أجمعوا لذلك قام عبد المطلب يدعو الله، ثم قربوا عبدالله وعشراً من الإبل فخرجت القداح على عبدالله فزادوا عشراً فخرجت القداح على عبدالله فما برحوا يزيدون عشراً وتخرج القداح على عبدالله حتى بلغت الإبل مائة، ثم ضربوا فخرجت القداح على الإبل، فقال من حضر: قد رضى ربك يا عبد المطلب.

فقال عبد المطلب: لا والله حتى أضرب ثلاث مرات. فضربوا ثلاثاً فخرجت القداح على الإبل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها إنسان ولا سبع.

وأما تزويج عبدالله بن عبد المطلب بآمنة ابنة وهب أم رسول الله ﷺ فإنه لما فرغ عبد المطلب من الإبل أنصرف بآمنة عبدالله وهو أخذ بيده فمر على أم قتال ابنة نوفل بن أسد أخت ورقة بن نوفل وهي عند البيت، فقالت له حين نظرت إليه وإلى وجهه: أين تذهب يا عبدالله؟ فقال: مع أبي. قالت: لك عندي مثل الذي نحر عنك أبوك من الإبل وقع علي الآن. قال: إن معي أبي لا أستطيع خلافه ولا فراقه.

فخرج به عبد المطلب^(١) حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة - وهو سيد بني

(١) أنظر رواية هذه القصة في دلائل النبوة لأبي نعيم (١/٨٩ : ٩٢)، طبقات ابن سعد

(١/٥٨ : ٦٠ ط. الشعب)، ابن اسحاق (السيرة لابن هشام ١/١٧٨ - مع الروض الأنف).

ولا أظن أنه يصح شيء في هذه القصة وإنما هي من اختلاق القصاص إذ المعقول أن يترث عبد المطلب بعد ذلك المجهود المضني حتى يريح نفسه ثم يذهب ليخطب لابنه، ودعوة أم قتال - أم قتيلة بنت نوفل في رواية، أو الخثعمية في أخرى، أو ليلي العدوية في ثالثة - لعبد الله إلى نفسها ويده في يد أبيه غير معقولة أيضاً.

ثم كيف يقول لها (أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستينه ثم يقول لها؛ أنا مع أبي ولا أقدر أن افارقه... الخ!!!)

ثم كيف يذهب إلى آمنة - زوجه - ثم يتركها ليذهب مسرعاً إلى تلك المرأة طالباً الزنا فهذه سرعة غريبة مدهشة لا يتصورها العقل فليس من المعقول أن يبغى الزنا في الساعة التي تزوج فيها ودخل فيها على امرأته ولكنها مسألة النور في وجهه التي يريدون إثباتها ورسول الله ﷺ غني عن هذا كله.

زهرة - فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهي لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، وبرة لأم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأم حبيب لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب ، فدخل عبدالله عليها حين ملكها مكانها فوقع عليها فحملت بسيدنا محمد ﷺ ، ثم خرج من عندها حتى أتى المرأة التي عرضت عليه نفسها بالأمس ، فقال لها : مالك لا تعرضين عليّ اليوم ما كنت عرضت بالأمس ؟ فقالت : فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة . وقد كان تسمع من أخيها ورقة بن نوفل أنه كائن لهذه الأمة نبي من بني اسماعيل ؛ وقيل إن عبد المطلب خرج بابنه عبدالله ليزوجه فمر به على كاهنة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مرمتهودة^(١) من أهل تَبَالَة^(٢) فرأت في وجهه نوراً ، وقالت له : يا فتى هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مائة من الابل ؟ فقال لها :

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ وَالْجِلَّ لَا حِلَّ فَأُسْتَبِينَهِ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهُ؟ يَحْمِي الْكَرِيمَ عَرْضُهُ وَدِينُهُ

ثم قال لها : أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارقه ، فمضى ، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً ، ثم انصرف ، فمر بالخثعمية فدعته نفسه إلى ما دعته إليه ، فقال لها : هل لك فيما كنت أردت ؟ فقالت : يا فتى ما أنا بصاحبة ربية ولكني رأيت في وجهك نور فأردت أن يكون لي فأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد فما صنعت بعدي ؟ قال : زوجني أبي آمنة بنت وهب . قالت : فاطمة بنت مر^(٣) :

إِنِّي رَأَيْتُ مُخِيلَةً لَمَعَتْ^(٤) فَتَلَأَلَتْ بِحَنَاتِمِ الْقَطْرِ^(٥)
فَسَمَاتُهَا^(٦) نَوْرٌ يَضِيءُ بِهِ مَا حَوْلَهُ كِإِضَاءَةِ الْبَدْرِ^(٧)

(١) في الأصول : مشهورة - وهو تحريف (م) .

(٢) في الأصول ؛ قبائله : وهو تحريف لا معنى له (م) .

وتبالة : موضع ببلاد اليمن .

(٣) هذه الأبيات والتي بعدها ظاهرة فيها الصنعة ولم تكن لها حقيقة ، وإنما هي من وضع القصاص وأرباب السير (م) .

(٤) في الروض الأنف ؛ نشأت ، وفي ابن سعد : عرضت .

(٥) المخيلة : السحابة تخالها ماطرة . والحناتم : السحاب الأسود .

(٦) في الروض الأنف : فلما نورها - أي ؛ أبصرتها ، وفي ابن سعد : فلما نورها يضيء له .

(٧) في الروض الأنف : الفجر .

نسب رسول الله ﷺ وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده

ورأيت سُقياها حيا بلد
فرجوته فخراً أبوء به^(٢)
لله ما زهرية سلبت
وقالت أيضاً في ذلك :

بني هاشم قد غادرت من أخيكُم
كما غادر المصباح عند خموده^(٥)
فما كل ما يحوي الفتى من ملاذه^(٧)
فأجمل إذا طالبت أمراً فإنّه
سيكفيكه إمّا يدٌ مُقْفَعِلَةٌ^(١٠)
ولما حوت^(١١) منه أُمِينَةٌ ما حوت^(١٢)
أُمِينَةٌ إذ لباه يعتركان^(٤)
فَتَائِلٌ قد بليت^(٦) له بدهان
لعزم^(٨) ولا ما فاته لتوان
سيكفيكه جَدَّان يعتلجان^(٩)
وإمّا يدٌ مبسوطَةٌ ببَنان
حوت منه فخراً ما لذلك شأني^(١٣)

وقيل : إن الذي اجتاز بها غير هذا والله أعلم .

قال الزهري : أرسل عبد المطلب ابنه عبد الله إلى المدينة يمتار لهم تمراً ، فمات بالمدينة ، وقيل : بل كان في الشام ، فأقبل في غير قریش ، فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها ودفن في دار النابغة الجعدي وله خمس وعشرون سنة وقيل : ثمان وعشرون سنة ، وتوفي قبل أن يولد رسول الله ﷺ .

-
- (١) لم يذكر هذا البيت في ابن سعد .
(٢) في الروض وابن سعد ؛ ورأيت شرفاً أبوء به .
(٣) في الروض : آسَلَبْتُ . وفي ابن سعد : ثوبيك ما استلبت وما تدري .
(٤) ابن سعد : يعتلجان .
(٥) ابن سعد : خُبُوءَ .
(٦) ابن سعد : هيئت .
(٧) ابن سعد : تلاده .
(٨) ابن سعد ؛ بحزم .
(٩) ابن سعد يصطرعان .
(١٠) أي : مسحة ومقبوضة .
(١١) ابن سعد : قضت .
(١٢) ابن سعد : قضت .
(١٣) ابن سعد : نبا بصري عنه وكلّ لساني .

(عايد بن عمرو) بالذال المعجمة والياء تحتها نقطتان . و (عَبيد) بفتح العين وكسر الباء الموحدة . و (عَوِيح) بفتح العين وكسر الواو وآخره جيم .

(ابن عبد المطلب) واسمه شيبه سمي بذلك لأنه كان في رأسه لما ولد شيبه ؛ وأمه سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجية النجارية ويكنى أبا الحارث وإنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشماً شخص في تجارة إلى الشام ، فلما قدم المدينة نزل على عمرو بن لبيد الخزرجي من بني النجار فرأى ابنته سلمى فأعجبته فتزوجها وشرط أبوها أن لا تلد ولداً إلا في أهلها ثم مضى هاشم لوجهه وعاد من الشام فبنى بها في أهلها ثم حملها إلى مكة ، فحملت فلما أثقلت ردها إلى أهلها ومضى إلى الشام ، فمات بغزة فولدت له سلمى : عبد المطلب ، فمكث بالمدينة سبع سنين .

ثم إن رجلاً من بني الحارث بن عبد مناف مر بالمدينة فإذا غلمان ينتضلون^(١) فجعل شيبه إذا أصاب قال : أنا ابن هاشم أنا ابن سيد البطحاء . فقال له الحارثي : من أنت؟ قال : أنا ابن هاشم بن عبد مناف فلما أتى الحارثي مكة قال للمطلب وهو بالحجر : يا أبا الحارث تعلم أنني وجدت غلماناً يثرب ، وفيهم ابن أخيك ولا يحسن ترك مثله .

فقال المطلب : لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به . فأعطاه الحارثي ناقة فركبها وقدم المدينة عشاء فرأى غلماناً يضربون كرة فعرف ابن أخيه فسأل عنه فأخبر به فأخذه وأركبه على عجز الناقة . وقيل : بل أخذه بإذن أمه وسار إلى مكة فقدمها ضحوة والناس في مجالسهم فجعلوا يقولون له : من هذا وراءك؟ فيقول : هذا عبدي حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم فقالت : من هذا الذي معك؟ قال عبد لي^(٢) واشترى له حلة فلبسها ثم خرج به العشي فجلس إلى مجلس بني عبد مناف ؛ فأعلمهم أنه ابن أخيه فكان بعد ذلك يطوف بمكة فيقال : هذا عبد المطلب لقوله هذا عبدي ، ثم أوقفه المطلب على ملك أبيه فسلمه إليه ، فعرض له نوفل بن عبد مناف وهو عمه الآخر بعد

(١) ينتضلون : يرمون بالنبل .

(٢) الذي في سيرة ابن هشام أن قریشاً لما رأت مردفه معه على بعير قالوا : هذا عبده ابتاعه . فقال المطلب : ويحكم هذا ابن أخي هاشم .

وهذا هو المعقول إذ لا يعقل أن يقول لهم هذا عبدي .

موت المطلب في ركح له - وهو الفناء - فأخذه فمشى عبد المطلب إلى رجالات قريش وسألهم النصرة على عمه، فقالوا له: ما ندخل بينك وبين عمك، فكتب إلى أخواله من بني النجار يصف لهم حاله، فخرج أبو سعيد بن عدس النجاري في ثمانين راكباً حتى أتى الأبطح فخرج عبد المطلب يتلقاه فقال له: المنزل يا خال. قال حتى ألقى نوفلاً. وأقبل حتى وقف على رأسه في الحجر مع مشايخ قريش، فسل سيفه^(١) ثم قال: ورب هذه البنية لتردن على ابن أختنا ركحه أو لأملأن منك السيف. قال: فإني ورب هذه البنية أرد عليه ركحه فأشهد عليه من حضر؛ ثم قال لعبد المطلب: المنزل يا بن أختي، فأقام عنده ثلاثاً، فأعتمروا وانصرفوا، فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحلف، فدعا بشر بن عمر^(٢)، وورقاء بن فلان، ورجالاً من رجالات خزاعة، فحالفهم في الكعبة وكتبوا كتاباً، وكان إلى عبد المطلب السقاية والرفادة وشرف في قومه وعظم شأنه.

ثم إنه حفر زمزم وهي بئر إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام التي أسقاه الله تعالى منها، فدفتها جرهم وقد تقدم ذكر ذلك، وكان سبب حفره إياها أنه قال: بينا أنا نائم بالحجر إذا أتاني آت فقال: احفر طيبة. قال قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب.

فرجعت الغد إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر برة. قال قلت: وما برة؟ قال: ثم ذهب عني.

قال: فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه فجاءني فقال: احفر المذنونة^(٣) قال قلت: وما المذنونة؟ قال: فذهب عني.

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر زمزم إنك إن حفرتها لا تندم. فقلت: وما زمزم؟ قال: تراث من أبيك الأعظم لا تنزف أبداً ولا

(١) إن الحرم كان أكرم من أن يعمل به هذا، بل روى ابن جرير عن محمد بن أبي بكر أني حدثت موسى بن عيسى قال: يا بن بكر هذا شيء ترويه الأنصار تقريباً إلينا إذ صير الله الدولة فينا، وعبد المطلب كان أعز في قومه من أن يحتاج إلى أن تركب بنو النجار من المدينة إليه، ثم استدل ابن أبي بكر بنصرتهم لرسول الله ﷺ وهذا مغالطة لأن عبد المطلب سيدهم وكان على دينهم فالقياس إذاً مع الفارق (م).

(٢) في الطبري بسر بن عمرو.

(٣) بين السهيلي (الروض الأنف ١/ ١٦٦ ط. شقرون) علة اسماء زمزم فقال: طيبة لأنها للطيبين، وبرة لأنها فاضت للأبرار، والمذنونة لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق.

تذم . تسقي الحجيج الأعظم . مثل نعام جافل لم يقسم . ينذر فيها ناذر لمنعم . يكون ميراثاً وعقد محكم . ليس كيعض ما قد تعلم ، وهي بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل .

فلما بين له شأنها ودل على موضعها ، وعرف أنه قد صدق غداً بمعوله ، ومعه ابنه الحارث ليس له ولد غيره فحفر بين أساف ونائلة في الموضع الذي تنحر قريش لأصنامها ، وقد رأى الغراب ينقر هناك فلما بدا له الطَّوِيُّ^(١) كبر . فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه ، فقالوا : إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك قال : ما أنا بفاعل هذا أمر خصصت به دونكم .

قالوا : فإننا غير تاركيك حتى نُخَاصِمُكَ فيها . قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم . قالوا : كاهنة بني سعد بن هذيم ، وكانت بمشارف الشام ، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه فظموا حتى أيقنوا بالهلكة فطلبوا الماء ممن معهم من قريش فلم يسقوهم ، فقال لأصحابه : ماذا ترون فقالوا : رأينا تبعٌ لرأيك فمرنا بما شئت .

قال فإنني أرى أن يحفر كلُّ رجلٍ منكم لنفسه حفرة فكلما مات واحد واره أصحابه حتى يكون آخركم موتاً قد وارى الجميع فضيحة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب . قالوا : نعم ما رأيت . ففعلوا ما أمرهم به .

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ونبتغي لأنفسنا لعجز ، فارتحلوا ومن معه من قبائل قريش ينظرون إليهم ، ثم ركب عبد المطلب فلما انبعثت به راحلته انفجرت من تحت خفها عين عذبة من ماء فكبر وكبر أصحابه وشربوا وملأوا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال : هلموا إلى الماء فقد سقانا الله .

فقال أصحابه : لا نسقيهم لأنهم لم يسقونا فلم يسمع منهم ، وقال : فنحن إذاً مثلهم ، فجاء أولئك القرشيون فشربوا وملأوا أسقيتهم وقالوا : قد والله قضى الله لك

(١) الطوى : البئر القديمة .

علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فأرجع إلى سقايتك راشداً فرجعوا إليه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها.

فلما فرغ من حفرها وجد الغزالين اللذين دَفَنَتْهُمَا جرهم فيها وهما من ذهب، ووجد فيها أسيفاً قلعية وأدراعاً فقالت له قريش: يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق.

فقال: لا ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح. فقالوا: كيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قدحين ولكم قدحين ولي قدحين فمن خرج قداحه على شيء أخذه ومن تخلف قداحه فلا شيء له قالوا: أنصفت.

ففعلوا ذلك وضربت القداح عند هبل، فخرج قدحا الكعبة على الغزالين وخرج قدحا عبد المطلب على الأسيف والأدراع ولم يخرج لقريش شيء من القداح، فضرب عبد المطلب الأسيف باباً للكعبة، وجعل فيه الغزالين صفائح من ذهب فكان أول ذهب حُلِّيَتْ به الكعبة.

وقيل: بل بقيا في الكعبة وسُرِقَا على ما نذكره.

وأقبل الناس والحجاج على بئر زمزم تبركاً بها ورغبة فيها، وأعرضوا عما سواها من الأبيار^(١) ولما رأى عبد المطلب تظاهر قريش عليه نذر الله تعالى أن يرزقه عشرة من الولدان يبلغون أن يمنعوه ويذبوا عنه نحر أحدهم قرباناً لله تعالى وقد ذكر النذر في اسم عبد الله أبي النبي ﷺ.

وعبد المطلب أول من خضب بالوسمة وهو السواد لأن الشيب أسرع إليه.

وكان لعبد المطلب جار يهودي يقال له «أذينة» يتجر وله مال كثير فغاض ذلك حرب بن أمية، وكان نديم عبد المطلب فأغرى به فتياناً من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله؛ فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار وصخر بن عمرو بن كعب التيمي جد

(١) كذا في الأصل، والذي في كتب اللغة كالصحيح واللسان أن جمع القلة أبور وأبار، ومن العرب من يقول أبار فإذا كثرت فهي البثار (م).

أبي بكر رضي الله عنه فلم يعرف عبد المطلب قاتله فلم يزل يبحث حتى عرفهما ، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية ، فأتى حرباً ولأمه وطلبهما منه فأخفاهما فتغالظا في القول حتى تنافرا إلى النجاشي ملك الحبشة فلم يدخل بينهما ؛ فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى العدوي جد عمر بن الخطاب ، فقال لحرب : يا أبا عمرو أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة ، وأوسم وسامة ، وأعظم منك هامة ، وأقل منك ملامة ، وأكثر منك ولداً ، وأجزل منك صفداً^(١) ، وأطول منك مدداً؟ وإني لأقول هذا ، وإنك لبعيد الغضب ، رفيع الصوت في العرب ، جلد المريرة^(٢) لحبل العشيرة ؛ ولكنك نافرت منفراً .

فغضب حرب وقال : مِنْ انتكاس الزمان أنْ جُعِلَتْ حكماً .

فترك عبد المطلب منادمة حرب ، ونادم عبدالله بن جُدعان التيمي ، وأخذ من حرب مائة ناقة فدفعها الى ابن عم اليهودي ، وارتجع ماله الا شيئاً هلك فغرمه من ماله .

وهو أول من تحنث بحراء^(٣) فكان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين جميع الشهر .

وتوفي وله مائة وعشرون سنة ، وكان قد عَمِيَ ، وقيل غير ذلك .

ابن هاشم واسم هاشم عمرو ، وكنيته أبو نضلة وإنما قيل له هاشم لأنه أول من هَشَمَ الثريد لقومه بمكة وأطعمه^(٤) .

قال ابن الكلبي : كان هاشم أكبر ولد عبد مناف ، والمطلب أصغرهم ، أمه عاتكة بنت مرة السلمية ، ونوفل وأمّه واقدة ، وعبد شمس ، فسادوا كلهم وكان يقال لهم : المجبرون ، وهم أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم أخذ لهم هاشم

(١) أي ؛ أعظم منك عطاءً .

(٢) أي ؛ قويّ العزيمة .

(٣) حِراء - بالكسر والتخفيف ، والمد - : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال .

(٤) وجّه السهيلي ذلك في الروض الأنف (١/ ١٨١ ط . شقرون) . فقال : كان أمر الرفادة لهاشم بمعونة قريش فحصل غلاء كره فيه هاشم أن يكلف قريشاً فجمع ماله كله وذهب به الى الشام فاشترى به كعكاً ودقيقاً فهشم الكعك للحاج فلذلك سمّي هاشماً لأن الكعك اليابس لا يثرد. وإنما يهشم .

خيلاً من الروم وغسان بالشام ، وأخذ لهم عبد شمس خيلاً من النجاشي بالحبشة وأخذ لهم نوفل خيلاً من الأكاسرة بالعراق وأخذ لهم المطلب خيلاً من حمير باليمن فاختلفت قريش بهذا السبب إلى هذه النواحي ، فجبر الله بهم قريشاً ، وقيل : إن عبد شمس وهاشمًا توأمان ، وإن أحدهما وُلِدَ قبل الآخر ، وإصبع له ملتصقة بجهة صاحبه فنحيت ، فسال الدم ، فقليل : يكون بينهما دم .

وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة^(١) فحسده أمية بن عبد شمس على رياسته وإطعامه فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشتمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة فكره هاشم ذلك لِسِنِّهِ وقدره فلم تدعه قريش حتى نافرته على خمسين ناقة والجللاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية . وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن الحمق ومنزله بعفسان ، وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري وكانت ابنته عند أمية ، فقال الكاهن : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر . والغمام الماطر . وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر . من منجد وغائر . لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر . أول منه وآخر . وأبوهمهمة بذلك خابر .

فقضى لهاشم بالغلبة ، وأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها ، وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين^(٢) فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

وكان يقال لهاشم والمطلب البدران لجمالهما ، ومات هاشم بغزة وله عشرون سنة ، وقيل ؛ خمس وعشرون سنة ، وهو أول من مات من بني عبد مناف ، ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأجياد ، ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق ، ثم مات عبد المطلب بردمان من أرض اليمن^(٣) وكانت الرفادة والسقاية بعد هاشم إلى أخيه المطلب

(١) الرفادة : ما كانت قريش تخرجه في الجاهلية من أموالها تشتري به طعاماً وشراباً لفقراء الحجاج في موسم الحج .

(٢) كان مقام أمية في سنين الجلاء بصَفُورِيَّة - كعمورية - بلدة من الأردن (م) .

(٣) في الأصول . ثم مات عبد المطلب بردمان من أرض العراق - وهو خطأ مرتين لأن عبد المطلب تقدمت وفاته في بحثه وهنا وفيات أخوه هاشم وردمان من اليمن لا من العراق كذا في معجم البلدان وتاريخ ابن جرير ، ورثاه مطرود بن كعب الخزاعي بقوله :

لصغر ابنه عبد المطلب بن هاشم .

(ابن عبد مناف): واسمه المغيرة وكنيته ابو عبد شمس وكان يقال له : القمر لجماله وكانت أمه حين ولدته دفعته إلى « مناف » صنم بمكة تديناً بذلك فغلب عليه عبد مناف ، وكان عبد مناف وعبد العزى وعبد الدار بنو قُصَيٍّ إخوة أمهم حُبَيُّ ابنة حُلَيْل بن حُبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة وهو الذي عقد الحلف بين قريش والأحابيش ، والأحابيش بنو الحارث بن عبد مناف بن كنانة . وبنو المصطلق من خزاعة ، وبنو الهون من خزيمة وكان قُصَيٍّ يقول : وَلَدَ لِي أَرْبَعَةَ بَنِينَ فَسَمِيتُ ابْنَيْنِ بِالْإِهْيِ وَهُمَا عَبْدُ مَنْفٍ وَعَبْدُ الْعَزَى وَوَاحِدًا بِدَارِي وَهُوَ عَبْدُ الدَّارِ وَوَاحِدًا بِي وَهُوَ عَبْدُ قُصَيٍّ ^(١) .

(حُلَيْل) بضم الحاء المهملة وفتح اللام الأولى و (حُبْشِيَّة) بضم الحاء .

(ابن قُصَيٍّ) واسمه زيد وكنيته أبو المغيرة وإنما قيل له قُصَيٍّ لأن ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبد بن كثير بن عذرة بن سعد بن زيد تزوج أمه فاطمة ابنة سعد بن سيل ، واسمه جبر بن جمالة بن عوف وهي أيضاً أم أخيه زهرة ونقلها إلى بلاد عذرة من مشارف الشام وحملت معها قُصَيًّا لِصِغَرِهِ وتخلّف زهرة في قومه لكبره ، فولدت أمه فاطمة لربيعة بن حرام : رزاح بن ربيعة فهو أخو قُصَيٍّ لأمه ، وكان لربيعة ثلاثة نفر من امرأة أخرى وهم حُنَّ بن ربيعة . ومحمود . وجلهمة وقيل : إن حنا كان أخا قُصَيٍّ لأمه فشب زيد في حجر ربيعة فسمي قُصَيًّا لِبُعْدِهِ عَنْ دَارِ قَوْمِهِ . وكان قُصَيٍّ ينتمي إلى ربيعة إلى أن كَبُرَ . وكان بينه وبين رجل من قضاة شيء ، فعيره القضاة بالغربة فرجع قُصَيٍّ إلى أمه وسألها عما قال ، فقالت له : يا بني أنت أكرم منه نفساً وأباً ، أنت ابن كلاب بن مرة ، وقومك بمكة عند البيت الحرام .

فصبر حتى دخل الشهر الحرام ، وخرج مع حاج قضاة حتى قَدِمَ مكة ، وأقام

= ثم اندي الفيض والفياض مطلباً واستخرطي بعد فيضات بجمات

أمسى بردمان عنا اليوم مغترباً يال لهف نفسي عليه بين أموات

وهي قصيدة طويلة رثاء وأخواته أبناء عبد مناف ، وأوردنا ما يدل على محل وفاته (م) .

(١) في الأصول : (ابن قُصَيٍّ) وهو غلط كما في تاريخ ابن جرير وغيره وصوابه بحذف (ابن) وبقاء

(قُصَيٍّ) (م) .

مع أخيه زهرة ثم خطب إلى حُليل بن حُبشية الخزاعي ابنته حُبى فزوجه - وحليل يومئذ يلي الكعبة - فولدت أولاده عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد بن قصي ، وكثر ماله وعظم شرفه وهلك حليل وأوصى بولاية البيت لابنته حُبى ، فقالت : إني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه فجعل فتح الباب وإغلاقه إلى ابنه المحترش وهو أبو غبشان فاشترى قصي منه ولاية البيت بزق خمر وبعود فضربت به العرب المثل ، فقالت : أخسر صفقة من أبي غبشان .

فلما رأت ذلك خزاعة كثروا على قصي فاستنصر أخاه رزاحاً ، فحضر هو وأخوته الثلاثة فيمن تبعه من قضاة إلى نصرته ومع قصي قومه بنو النضر ، وتهايا لحرب خزاعة وبني بكر وخرجت إليهم خزاعة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكثرت القتل في الفريقين والجراح ، ثم تداعوا إلى الصلح على أن يحكموا بينهم عمرو بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة فقضى بينهم بأن قصياً أولى بالبيت ومكة من خزاعة وأن كل دم أصابه من خزاعة وبني بكر موضوع فيشدخه تحت قدميه وأن كل دم أصابت خزاعة وبني بكر من قريش وبني كنانة ففي ذلك الدية مؤداة فسمي بعمرو الشداخ بما شدخ من الدماء وما وضع منها فولّي قصي البيت وأمر مكة وقيل : إن حُليل بن حُبشية أوصى قصياً بذلك وقال : أنت أحق بولاية البيت من خزاعة . فجمع قومه وأرسل إلى أخيه يستنصره ، فحضر في قضاة في الموسم ، وخرجوا إلى عرفات وفرغوا من الحج ونزلوا منى وقصي مُجمع على حربهم وإنما ينتظر فراغ الناس من حجهم ، فلما نزلوا منى ولم يبق إلا الصدر ، وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفات وتجيّزهم إذا تفرقوا من منى إذا كان يوم النفر أتوا الرمي الجمار ورجل من صوفة يرمي للناس لا يرمون حتى يرمي فإذا فرغوا من منى أخذت صوفة بناحيتي العقبة وحبسوا الناس ، فقالوا : أجيّزي صوفة . فإذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فلما كان ذلك العام فعلت صوفة كما كانت تفعل قد عرفت لها العرب ذلك فهودين في أنفسهم فأتاهم قصي ومن معه من قومه ومن قضاة فمنعهم وقال : نحن أولى بهذا منكم .

فقاتلوه وقاتلهم قتالاً شديداً ، فانهزمت صوفة وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم وانحازت عند ذلك خزاعة وبني بكر وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة فلما انحازوا عنه بادأهم فقاتلهم فكثر القتل في الفريقين وأجلى خزاعة عن البيت وجمع قصي قومه إلى

مكة من الشعاب والأودية والجبال فسمي مُجَمَّعاً ونزل بني بَغِيض بن عامر بن لؤي وبني تيم الأدرم بن غالب بن فهر وبني محارب بن فهر وبني الحارث بن فهر إلا بني هلال بن أهيـب رهط أبي عبيدة بن الجراح ، وإلا رهط عياض بن غنم بطواهر مكة ، فسموا قريش الظواهر وتسمّى سائر بطون قريش البطاح ، وكانت قريش الظواهر تغيـر وتغزو وتسمى قريش البطاح الضب للزومها الحرم ؛ فلما ترك قصي قريشاً بمكة وما حولها ملكوه عليهم ، فكان أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكاً أطاعه به قومه ، وكان إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ؛ فحاز شرف قريش كله ، وقسم مكة أرباعاً بين قومه فبنوا المساكن واستأذنوه في قطع الشجر ؛ فمنعهم فبنوا والشجر في منازلهم ، ثم إنهم قطعوه بعد موته . وتيمنت قريش بأمره فما تنكح امرأة ولا رجل إلا في داره ، ولا يتشاورون في أمر ينزل بهم إلا في داره ، ولا يعقدون لواءً للحرب إلا في داره يعقده بعض ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع^(١) إلا في داره . وكان أمره في قومه كالدين المتبع في حياته وبعد موته ، فأتخذ دار الندوة وبابها في المسجد ، وفيها كانت قريش تقضي أمورها فلما كبر ورقَّ وكان ولده عبد الدار أكبر ولده وكان ضعيفاً ، وكان عبد مناف قد ساد في حياة أبيه ، وكذلك أخوته فقال قصي لعبد الدار: والله لألحقنك بهم .

فأعطاه دار الندوة والحجابة وهي حجابة الكعبة واللواء فهو كان يعقد لقريش ألويتهم والسقاية كان يسقي الحاج ، والرفادة وهي خرج تخرجه قريش ، في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب فيصنع منه طعاماً للحاج يأكله الفقراء ، وكان قصي قد قال لقومه : إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج ففعلوا فكانوا يخرجون من أموالهم فيصنع به الطعام أيام منى فجرى الأمر على ذلك في الجاهلية والإسلام إلى الآن فهو الطعام الذي يصنعه الخلفاء كل عام بمنى .

فأما الحجابة فهي في ولده إلى الآن وهم بنو شيبه بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار .

وأما اللواء فلم يزل في ولده إلى أن جاء الإسلام فقال بنو عبد الدار ؛ يا رسول الله

(١) أي تلبس الدُّرْع - وهو القميص .

اجعل اللواء فينا . فقال : الإسلام أوسع من ذلك فبطل .

وأما الرفاة والسقاية فإن بني عبد مناف بن قصي عبد شمس ؛ وهاشم ، والمطلب ، ونوفل أجمعوا أن يأخذوها من بني عبد الدار لشرفهم عليهم وفضلهم ، ففترقت عند ذلك قريش فكانت طائفة مع بني عبد مناف وطائفة مع بني عبد الدار لا يرون تغيير ما فعله قصي وكان صاحب أمر بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، فكان بنو أسد بن عبد العزى . وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تميم بن مرة ، وبنو الحارث بن فهر مع بني عبد مناف ، وكان بنو مخزوم ، وبنو سهم ، وبنو جمح ، وبنو عدي مع بني عبد الدار ، فتحالف كل قوم حلفاً مؤكداً ، وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعوها عند الكعبة وتحالفوا وجعلوا أيديهم في الطيب ، فسموا المطيبين وتعاهد بنو عبد الدار ومن معهم وتحالفوا فسموا الأحلاف وتعبوا^(١) للقتال ثم تداعوا إل الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفاة فرضوا بذلك وتحاجز الناس عن الحرب ، واقترعوا عليها فصارت لهاشم بن عبد مناف ، ثم بعده للمطلب بن عبد مناف ، ثم لأبي طالب بن عبد المطلب ولم يكن له مال فآدان من أخيه العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف مالاً فانفقه ، ثم عجز عن الاداء فاعطى العباس السقاية والرفاة عوضاً عن دينه فوليها ، ثم ابنه عبد الله ، ثم علي بن عبد الله ثم محمد بن علي ثم داود بن علي بن سليمان بن علي ثم وليها المنصور وصار يليها الخلفاء ، وأما دار الندوة فلم تزل لعبد الدار ثم لولده حتى باعها عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية فجعلها دار الإمارة بمكة وهي الآن في الحرم معروفة مشهورة ، ثم هلك قصي فأقام أمره في قومه من بعده ولده ، وكان قصي لا يخالف سيرته وأمره ، ولما مات دفن بالحجون فكانوا يزورون قبره ويعظمونه ، وحفر بمكة بئراً سماها العجول وهي أول بئر حفرتها قريش بمكة .

(سِيل) بفتح السين المهملة والياء المثناة التحية .

و (حَرَام) بفتح الحاء والراء المهملتين و (رَزَاح) بكسر الراء وفتح الزاي وبعد الألف حاء مهملة .

و (حُبِّي) بضم الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة .

(١) ي : تعبأوا .

و (مَلْكَان) بكسر الميم وسكون اللام وأما مَلْكَان بن حزم بن ريان ومَلْكَان بن عباد بن عياض فهما بفتح الميم واللام .

(ابن كلاب) ويكنى أبا زهرة وأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك وله أخوان لأبيه من غير أمه ، وهما : تميم ، ويقظة ، أمهما اسماء بنت جارية البارقية وقيل : يَقْظَة لهند بنت سرير أم كلاب .

(يَقْظَة) بالياء تحتها نقطتان وبفتح القاف والظاء المعجمة .

(ابن مُرَّة) ويكنى أبا يقظة ، وأم مرة محشية^(١) ابنة شيبان بن محارب بن فهر وأخواه لأبيه وأمهم هُصَيْص وعديّ ، وقيل : أم عديّ رقاش بنت ركة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تميم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس غيلان .

(هُصَيْص) بضم الهاء وفتح الصاد المهملة بعدها ياء تحتها نقطتان وصاد ثانية .

ابن كَعْب ويكنى أبا هُصَيْص وأم كعب مارية ابنة كعب بن القين بن جَسْر القضاعية ، وله أخوان لأبيه وأمهم ، أحدهما عامرو والآخر سامة ، ولهم من أبيهم أخ كان يقال له : عوف أمه الباردة ابنة عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان وانتمى ولده إلى غطفان^(٢) وكان خرج مع أمه الباردة إلى غطفان فتزوجها سعد بن ذبيان فتبناه سعد ،

(١) الذي في سيرة ابن هشام وغيره : (وحشية) ولعله الصواب لأنه المستعمل لدى العرب حتى الآن . وفي بعض الروايات (مجشية) - بالجيم المعجمة - (م) .

(٢) بل صاروا سادات غطفان لأن منهم هَرَم بن سنان المري ، والحارث بن عوف ، والحصين بن الحمام وغيرهم .

وقال ابن هشام في سيرته : ان الحارث بن ظالم المري بعد هربه من النعمان ادعى ذلك بقوله :

فما قومي بشعلبة بن سعد	ولا بغزارة الشعر الرقابيا
وقومي إن سألت بني لؤي	بمكة علموا مضر الضرابا
سفهننا باتباع بني بغيض	وترك الأقربين لنا انتسابا
سفاهة مخلف لما تروى	هراق الماء واتبع السرابا
فلوطوعت عمرك كنت فيهم	وما ألفيت انتجع السحابا
وخش راحة القرشي رحلي	بناجية ولم يطلب ثوابا

إلى أن قال :

لعمرك إنني لأحب كعبا وسامة اخوتي حبي الشرابا

ولكعب أيضاً أخوان من غير أمه ، أحدهما خزيمة وهي عائذة قريش وعائذة أمه وهي ابنة الحمس بن قحافة من خثعم والآخر سعد ، ويقال له : بنانة وبنانة أمه فأهل البادية منهم في بني سعد بن همام في بني شيبان بن ثعلبة ، والحاضرة ينتمون إلى قريش ، وكان كعب عظيم القدر عند العرب فلهذا أرخوا لموته إلى عام الفيل ، ثم أرخوا بالفيل^(١) وكان يخطب الناس أيام الحج وخطبته مشهورة يخبر فيها بالنبي ﷺ .

(جَسْر) بفتح الجيم وسكون السين المهملة وآخره راء .

ابن لؤي ويكنى أبا كعب ، وأم لؤي عاتكة ابنة يخلد بن النضر بن كنانة وهي أول العواتك اللاتي ولدن رسول الله ﷺ من قريش ، وله أخوان أحدهما تيم الأدرم ، - والأدرم نقصان في الذقن قيل : إنه كان ناقص اللحي - والآخر قيس ، ولم يبق منهم أحد وآخر من مات منهم في زمن خالد بن عبد الله القسري^(٢) فبقي ميراثه لا يدري من يستحقه .

وقيل : إن أمهم سلمى بنت عمرو بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة الخزاعي .

= فعاضه الحصين بن الحمام المري بقوله :

ألا لستم منا ولسنا إليكم
أقمنا على عز الحجاز وأنتم
ثم ندم على ذلك وأكذب نفسه بقوله :

ندمت على قول مضى كنت قلته
فليت لساني كان نصفين منهما
أبونا كناني بمكة قبره
لنا الربع من بيت الحرام وارثة

وروي أن عمر بن الخطاب قال لرجال من بني مرة : « إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجئوا إليه ، ولعلمهم لم يرجعوا ترجيحاً لمقامهم الذي احتلوه وهو سيادة قبائل غطفان . وأما سامة فقد سكن عمان وسماه رسول الله ﷺ الشاعر ، ولا زالت أولاده هناك (م) .

(١) ذكر في الاكتفاء أنه كان بين موت كعب والفيل خمسمائة وعشرون سنة . وفي شواهد النبوة : بين موت كعب ومبعث نبينا محمد ﷺ خمسمائة وستون سنة وهو موافق لقول صاحب الاكتفاء كما ذكره ابو نعيم في الحلية

(م) .

(٢) قال السهيلي : وبنو دارم هؤلاء هم أعراب مكة وهم من قريش الظواهر لا من قريش البطاح فإذا لم ينقضوا

(م) .

(يخلد) بفتح الياء تحتها نقطتان وسكون الخاء المعجمة وبعد اللام دال مهملة .

ابن غالب ويكنى أبا تيم ، وأم غالب ليلى ابنة الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل وأخوته من أبيه وأمه ، الحارث ومحارب ، وأسد ، وعوف ، وجون ، وذئب ، وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر فدخلت الحارث الأبطح .

ابن فِهر ويكنى أبا غالب وفهر هو جماع قريش في قول هشام ، وأمه جندلة بنت عامر بن الحارث بن مُضاَض الجُرهمي ، وقيل غير ذلك ، وكان فِهر رئيس الناس بمكة ، وكان حسان فيم قيل : أقبل من اليمن مع حمير وغيرهم يريد أن ينقل أحجار الكعبة إلى اليمن ، فنزل بنخلة فاجتمع قريش وكنانة وخزيمة وأسد وجذام وغيرهم ورئيسهم فِهر بن مالك فأقتتلوا قتالاً شديداً وأسر حسان ، وانهزمت حمير وبقي حسان بمكة ثلاث سنين ، وافتدى نفسه وخرج فمات بين مكة واليمن .

(ابن مالك) وكنيته أبو الحارث وأمه عاتكة بنت عدوان وهو الحارث بن قيس عيلان ولقبه عكرشة ، وقيل : غير ذلك .

(ابن النضر) : ويكنى أبا يخلد ، كني بابنه يخلد ، واسم النضر قيس ، وقيل : إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشاً ، وقيل : لما جمعهم قصي قيل لهم ؛ قريش - والتقرش التجمع - وقيل لما ملك قصي الحرم وفعل أفعالاً جميلة قيل له : القرشي^(١) وهو أول من سمي به وهو من الاجتماع أيضاً أي لاجتماع خصال الخير فيه ، وقد قيل في تسمية قريش قريشاً ؛ أقوال كثيرة لا حاجة إلى ذكرها^(٢) وقصي أول من أحدث وقود النار بالمزدلفة وكانت توقد على عهد رسول الله ﷺ ومن بعده ، وإنما قيل له : النضر

(١) وهذا القول منقول عن المبرد في المقتضب ورده السهيلي بأن هذا اللقب موجود قبل زمن كعب لوروده في شعره (م) .

(٢) ومنها أن النضر كان يقرش عن حاجة الناس فيسدها بماله وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيسدونها بما يبلغهم لأن التقرش التفتيش واستشهد له بقول الشاعر :

أيها الناطق المقرش عنا عند عمرو فهل لنا انتهاء (م)

ومنها تسميتها بسمك القرش - المعروف - لأنه من أعظم دواب البحر قوة يأكل ولا يؤكل وكل ما سواه يخافه - كما ذكره ابن سيده .

كذا في تاريخ ابن جرير ، وحياة الحيوان للدميري (م) .

لجمالته ، وأمه برة ابنة مر بن أد بن طابخة أخت تميم بن مر ، واخوته لأبيه وأمه ؛ نصير ، ومالك ، وملكبان ، وعامر ، والحارث ، وعمرو ، وسعد ، وعوف ، ومخرمة ، وجرول ، وغزوان ، وجدال ، وأخوهم لأبيهم عبد مناة ، وأمه فكيهة وهي الذفراء ابنة هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، وأخو عبد مناة لأمه علي بن مسعود بن مازن الغساني ، وكان قد حضن أولاد أخيه عبد مناة فنسبوا إليه ، ف قيل لبني عبد مناة بنو علي ، وإياهم عنى الشاعر بقوله :

لله دربني عليّ أيم منهم وناكح

وقيل : تزوج امرأة عبد مناف فولدت له ، وحضن بني عبد مناة فغلب على نسبهم ، ثم وثب مالك بن كنانة على علي بن مسعود فقتله فواراه أسد بن خزيمه .
ابن كنانة ، ويكنى أبا النضر ، وأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس عيلان ، وقيل : هند ابنة عمرو بن قيس واخوته لأبيه ، أسد وأسدة ، ويقال : إنه أبو جذام والهون وأمهم برة بنت مرو وهي أم النضر خلف عليها بعد أبيه .

(ابن خزيمه) ويكنى ابا أسد وأمه سلمى ابنة أسلم بن الحاف بن قضاة وأخوه لأمه تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف وأخيه خزيمه لأبيه وأمه هذيل ، وقيل : أمهما سلمى بنت أسد بن ربيعة وخزيمه هو الذي نصب هبل على الكعبة فكان يقال : هبل خزيمه .

أسلم بضم اللام .

(ابن مدركة) واسمه عمرو ويكنى أبا هذيل ، وقيل : أبا خزيمه ، وأمه خندف وهي ليلي^(١) ابنة حلوان بن عمران ، وأمها ضرية ابنة ربيعة بن نزار وبها سمي حمى ضرية .
وأخوة مدركة لأبيه وأمه عامر وهو طابخة وعمير وهو قمعة يقال : إنه أبو خزاعة .

(١) قال السهيلي ؛ وفي الخبر أن الياس قال لليلى هذه : مالك تخندفين ؟ وكانت أقبلت وهي تخندف أي تسرع في مشيتها فسميت خندف ، ثم قال ؛ وضرب الأمثال بحزنها على الياس وذلك أنها تركت بنيتها وساحت في الأرض تبكيه ماتت كمدأ .
وإنما نسب أبناؤها لأمهم فيقال أبناء خندف لأنها لما تركتهم حزناً على زوجها أبيهم رحمهم الناس وهم أيتام صغار فيقولون : أبناء خندف .

قال هشام : خرج إلياس في نجعة له فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها فسمي مدركة وأخذها عامر ، فطبخها فسمي طابخة ، وانقمع عمير في الخباء فسمي قمعة ، وخرجت أمهم ليلي تمشي ، فقال لها إلياس : أين تخندين؟ فسميت خندف ، والخندة ضرب من المشي .

(ابن إلياس) وكان يكنى أبا عمرو وأمّه الرباب ابنة جندة بن معد وأخوه لأبيه وأمّه ، الناس بالنون وهو عيلان وسمي عيلان لفرس له كان يدعى عيلان ، وقيل لأنه ولد في أصل جبل يسمى عيلان ، وقيل : غير ذلك ، ولما توفي حزنت عليه خندف حزناً شديداً فلم تقم حيث مات ولم يظلها سقف حتى هلكت فضرب بها المثل ، وتوفي يوم الخميس فكانت تبكي كل خميس من غدوته إلى الليل .

(ابن مضر) وأمّه سودة بنت عك ، وأخوه لأبيه وأمّه إياد ، ولهما أخوان من أبيهما ، ربيعة ، وأنمار أمهما جدالة ابنة وعلان من جرهم .

وذكر أن نزار بن معدّ لما حضرته الوفاة أوصى بنيه وقسم ماله بينهم فقال : يا بني هذه القبة وهي من آدم^(١) حمراء وما أشبهها من مالي لمضر فسمي مضر الحمراء ، وهذا الخباء الأسود وما أشبهه من مالي لربيعة ، وهذه الخادم وما أشبهها من مالي لإياد ، وكانت شمطاء فأخذ البلق والنقد^(٢) من غنمه ، وهذه البردة والمجلس لأنمار يجلس عليه فأخذ أنمار ما أصابه ، فإن أشكل في ذلك عليكم شيء واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي .

فاختلفوا فتوجهوا إلى الأفعى الجرهمي فبينما هم يسيرون في مسيرهم إذ رأى مضر كلاً قد رُعِيَ ، فقال : إن البعير الذي قد رعى هذا الكلاً لأعور . وقال ربيعة : هو أزور^(٣) . وقال إياد : هو أبت^(٤) وقال أنمار : هو شرود . فلم يسيروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجل توضع^(٥) به راحلته ، فسألهم عن البعير ، فقال مضر : هو أعور؟ قال : نعم . قال

(١) أي : من جلد .

(٢) جنس من الغنم قبيح الشكل .

(٣) أي : فيه مئيل وانحراف .

(٤) أي : مقطوع الذيل .

(٥) أي : تسرع في سيرها .

ربيعة : هو أزور؟ قال نعم . وقال إياد : هو أبتري؟ قال نعم . وقال أنمار هو شرود؟ قال نعم . هذه صفة بعيري دلوني عليه فحلفوا له ما رأوه فلزمهم ، وقال : كيف أصدقكم وهذه صفة بعيري فساروا جميعاً حتى قدّموا نجران ، فنزلوا على الأفعى الجرهمي ، فقص عليه صاحب البعير حديثه ، فقال لهم الجرهمي : كيف وصفتموه ولم تروه؟ قال مضر : رأيته يرعى جانباً ويدع جانباً فعرفت أنه أعور . وقال ربيعة : رأيته إحدى يديه ثابتة والأخرى فاسدة الأثر فعرفت أنه أزور . وقال إياد : عرفت أنه أبتري باجتماع بعره ولو كان أذن لمصع^(١) به . وقال أنمار : عرفت أنه شرود لأنه يرعى المكان الملتف نبتة ثم يجوزه إلى مكان أرق منه نبتاً وأخبث ، فقال الجرهمي : ليسوا بأصحاب بعيرك فأطلبه . ثم سألهم من هم؟ فأخبروه فرحب بهم ، وقال : أحتاجون أنتم إليّ وأنتم كما أرى! ودعا لهم بطعام فأكلوا وشربوا ، فقال مضر : لم أر كالיום خمراً أجود لولا أنها نبتت على قبر . وقال ربيعة : لم أر كالיום لحماً أطيب لولا أنه ربّي بلبن كلبة . وقال إياد : لم أر كالיום رجلاً أسرى^(٢) لولا أنه لغير أبيه الذي ينتمي إليه . وقال أنمار : لما أر كالיום كلاماً أنفع لحاجتنا . وسمع الجرهمي الكلام فعجب فأتى أمه وسألها فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له ، فكرهت أن يذهب الملك فأمكننت رجلاً من نفسها ، فحملت به ، وسأل القهرمان عن الخمر ، فقال : من حيلة^(٣) غرستها على قبر أبيك ، وسأل الراعي عن اللحم ، فقال شاة أرضعتها لبن كلبة . فقيل لمضر : من أين عرفت الخمر؟ فقال : لأنني أصابني عطش شديد ، وقال لربيعة : فيما قال فذكر كلاماً ، وأتاهم الجرهمي وقال : صِفُوا لي صفتكم فقَصُّوا عليه قصتهم ، فقضى بالقبة الحمراء والدنانير والابل وهي حمر لمضر ، وقضى بالخباء الأسود والخيول الدهم لربيعة ، وقضى بالخادم وكانت شمطاء والماشية البلق لإياد ، وقضى بالأرض والدراهم لأنمار . ومضر أول من حدّا^(٤) وكان سبب ذلك أنه سقط من بعيره فانكسرت يده ، فجعل يقول : « يا يداه يا يداه » فأتته الإبل من المرعى فلما صلح وركب حدّا ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، وقيل : بل انكسرت يد مولى له فصاح ، فاجتمعت الابل ، فوضع مضر الحداء وزاد الناس فيه ، وهو

(١) أي : لحركه .

(٢) أي : أشرف .

(٣) أي : كَرْمَة ، وهي شجرة العنب .

(٤) الحداء : الغناء للإبل .

أول من قال حينئذ: بصبصن^(١) إذ حدين بالأذنان. فذهب مثلاً. وروي أن النبي ﷺ قال: « لا تسبوا مضر وربيعه فإنَّهُما مسلمان »^(٢).

(ابن نزار) وقيل : كان يكنى أبا إياد، وقيل : أبا ربيعة، أمه معانة ابنة جوشم بن جلهمة بن عمرو بن جُرهم وإخوته لأبيه وأمّه : قنص، وقناصة، وسالم، وجندة، وجناد، وجنادة، والقحم وعبيد الرباح والغرف، والعوف، وشك، وقضاة، وبه كان يكنى معد وعدة درجوا.

(ابن مَعَدّ) وأمّه مهدة^(٣) ابنة اللهم ويقال : اللهم بن جلهب^(٤) بن جديس، وقيل، ابن طسم وإخوته من أبيه الريث، وقيل الريث عك، وقيل عك بن الريث وعدن بن عدنان، قيل هو صاحب عدن أبين وإليه تنسب أبين، ودرج نسله ونسل عدن وأد وأبي بن عدنان ودرج والضحاك والغنى، فلحق ولد عدنان باليمن عند حرب بختنصر، وحمل أرميا وبرخيا معداً إلى حران فأسكناه بها، فلما سكنت الحرب رداه إلى مكة فرأى أخوته قد لحقوا باليمن.

(ابن عدنان) ولعدنان أخوان يدعى أحدهما : نبتاً والآخر عامراً.

فَنَسَبَ النبي ﷺ لا يختلف الناسون فيه إلى معد بن عدنان على ما ذكرت، ويختلفون فيما بعد ذلك اختلافاً عظيماً لا يحصل منه على غرض فتارة يجعل بعضهم بين عدنان وبين إسماعيل عليه السلام أربعة آباء ويجعل آخر بينهما أربعين أباً، ويختلفون أيضاً في الأسماء أشد من اختلافهم في العدد، فحيث رأيت الأمر كذلك لم أعرج على ذكر شيء منه، ومنهم من يروي عن النبي ﷺ في نسبه حديثاً يصله بإسماعيل ولا يصح في ذلك الحديث.

ذكر الفواطم والعواتك

أما الفواطم اللائي ولدن رسول الله ﷺ فخمسة قرشية، وقيسيتان، ويمانيتان. أما

(١) أي : حركن أذناهن .

(٢) عزاه الحافظ في الفتح ١٦٤/١ إلى الزبير بن بكار، وقال : وله شاهد عند ابن حبيب (اي : في المحبر) من مرسل سعيد بن المسيب . أهـ .

(٣) في الطبري : مهدد بنت اللهم .

(٤) الذي في القاموس : واللهميم بكسرهما ويضم ابن جلهب من جديس .

القرشية فأم أبيه عبد الله بن عبد المطلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومية، وأما القيسيتان فأم عمرو بن عايد بن فاطمة ابنة عبد الله بن رزاح بن ربيعة بن جَحْشٍ^(١) بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأمها فاطمة بنت الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور. وأما اليمانيتان فأم قُصَيِّ بن كلاب فاطمة بنت سعد بن سَيْل بن أزد شنؤاة وأم حُيَي بنت حُلَيْل بن حُبْشِيَّة بن كعب بن سلول، وهي أم ولد قُصَيِّ فاطمة بنت نصر بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة الخزاعية.

وأما العواتك فاثنتا عشرة اثنتان من قريش، وواحدة من بني يخلد بن النضر، وثلاث من سليم، وعدويتان، وهذلية، وقضاعية وأسدية. فأما القرشيتان: فأم أمه آمنة بنت وهب برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وأم برة أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى، وأم أسد ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم وأمهم أميمة بنت عامر الخزاعية وأمها عاتكة بنت هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهم، وأم هلال هند بنت هلال بن عامر بن صعصعة وأم أهيب بن ضبة عاتكة بنت غالب بن فهر؛ وأمها عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة. وأما السلميات فأم هاشم بن عبد مناف: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن بهثة بن سليم بن منصور، وأم عبد مناف عاتكة بنت هلال بن فالج والثالثة أم جده لأمه وهب وهي عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال.

(قلت) هكذا ذكر بعض العلماء عواتك سليم وجعل أم عبد مناف عاتكة بنت مرة وليس بشيء. فإن أم عبد مناف حبي بنت حليل الخزاعية، وقال غيره: أم هاشم عاتكة بنت مرة وأم مرة بن هلال عاتكة بنت جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، وأم هلال بن فالج عاتكة بنت عَصِيَّة بن خفاف بن امرئ القيس.

وأما العدويتان فمن جهة أبيه عبد الله فإن أم عبد الله فاطمة بنت عمرو، وأم فاطمة تخمر بنت عبد قصي، وأمها هند بنت عبد الله بن الحارث بن وائلة بن الظرب، وأمها زينب بنت مالك بن ناصرة بن كعب الفهمية وأمها عاتكة بنت عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن بكر بن الحارث وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، وأم مالك بن النضر عاتكة وهي عكرشة وهي الحصان بنت عدوان.

(١) في الأصول: جحوس - بالسین المهملة - وهو غلط . (م) .

وأما الأزدية فأم النضر بن كنانة بنت مرة بن أد أخت تميم وأمها مارية من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار، وأمها عاتكة بنت الأزد بن الغوث وقد ولدته هذه الأزدية مرة أخرى من قبل غالب بن فهر فإن أم غالب ليلي بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل وأمها سلمى بنت طابخة بن الياس بن مضر، وأمها عاتكة بنت الأزد هذه.

وأما الهذلية فعاتكة بنت سعد بن سَيْل هي أم عبد الله بن رزام جد عمرو بن عايد بن عمران بن مخزوم لأمه، وعمرو جد رسول الله ﷺ أبو أمه.

وأما القضاعية فأم كعب بن لؤي مارية بنت القين بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد بن وبرة وأمها وحشية بنت ربيعة بن حرام بن ضِنَّة العذرية وأمها عاتكة بنت رشدان بن قيس بن جهينة.

وأما الأسدية فأم كلاب بن مرة هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كلاب وأمها عاتكة بنت دودان بن أسد بن خزيمة.

(وعايد بن عمران) بالياء المثناة من تحتها والذال المعجمة، و(سعد بن سَيْل) بفتح السين المهملة والياء المثناة من تحتها المفتوحة، و(حَيَّ) بضم الحاء^(١) المهملة وبالياء المثناة من تحتها وتشديد الياء الممالة، و(حُلِيل) بضم الحاء المهملة وبالياء المثناة من تحتها، و(جَسْر) بفتح الجيم وتسكين السين المهملة، و(حارثة) بالحاء المهملة والثاء المثناة، و(واثلة بن الظرب) بالياء المثناة من تحتها، و(ضَبَّة بن الحارث) بالضاد المعجمة المفتوحة والباء المشددة الموحدة، و(شَيْع الله) بالشين المعجمة المفتوحة والياء المثناة من تحتها الساكنة، و(حَرَام) بفتح الحاء المهملة والراء المهملة، و(وَضِنَّة العذرية) بكسر الضاد المعجمة والنون المشددة، و(عُصَيَّة) بالعين المهملة المضمومة وفتح الصاد والياء المثناة من تحتها.

[انتقال النبي ﷺ إلى أبي طالب]

(عُدْنَا إلى ذكر النبي ﷺ) توفي عبد المطلب بعد الفيل بثمان سنين، وأوصى أبا طالب برسول الله ﷺ فكان أبو طالب هو الذي قام بأمر النبي ﷺ بعد جده، ثم إن أبا طالب خرج إلى الشام فلما أراد المسير لزمه رسول الله ﷺ فَرَّقَ له وأخذه معه ولرسول

(١) تقدم للمصنف ضبطها بالحاء المهملة بعدها باء موحدة ص ٢١ وهي هي .

الله ﷺ تسع سنين، فلما نزل الركب بُصِرَى من أرض الشام وبها راهب يقال له: «بحيراً» في صومعة له، وكان ذا علم في النصرانية ولم يزل بتلك الصومعة راهب يصير إليه علمهم وبها كتاب يتوارثونه، فلما رأهم بحيراً صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك لأنه رأى على رأس رسول الله ﷺ غمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الشجرة وقد هصرت أغصانها حتى استظل بها، فنزل إليهم من صومعته ودعاهم، فلما رأى بحيراً رسول الله ﷺ جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده كان يجدها من صفته، فلما فرغ القوم من الطعام، وتفرقوا سأل النبي ﷺ عن أشياء من حاله في يقظته ونومه فوجدها بحيراً^(١) موافقة لما عنده من صفته، ثم نظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه، ثم قال بحيراً لعمه أبي طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حياً. قال: فإنه ابن أخي مات أبوه وأمه حُبلى به. قال: صدقت أرجع به إلى بلدك واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً فإنه كائن له شأن عظيم فخرج به عمه حتى أقدمه مكة. وقيل بينما هو يقول لعمه في إعادته إلى مكة وتخوفهم عليه من الروم إذ أقبل سبعة نفر من الروم، فقال لهم بحيراً: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا لأن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليها ناس، وإنا بعثنا إلى طريقك قال: رأيتم أمراً أراده الله هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. وتابعوا بحيراً وأقاموا عنده، وقال رسول الله ﷺ: ما هممت بشيء مما كان الجاهلية يعملونه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته قلت ليلة للغلام يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب. فقال: افعل. فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً فقلت ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة. فجلست أسمع فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبي فسألني فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة ثم ما هممت بعده بسوء.

(١) في إنجيل برنابا - حوارى المسيح - أن المسيح أخبره بشأن محمد ﷺ وأن شخصاً من أمته سيعرف ذلك، فينطبق على الرواية الأولى التي أوردها المؤلف، وأما الرواية الثانية - وهي حضور الفرسان من الروم في طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأراها موضوعاً مضاهاة لما يذكره الانجيليون من أن ناساً طلبوا المسيح عقب ولادته لقتله وهي عند المسيحيين مضاهاة لما عند الوثنيين من أن بوذا لما وضعته أمه العذراء طلبه الأعداء لقتله (م).

ذكر نكاح النبي ﷺ خديجة

ونكح رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة . وسبب ذلك أن خديجة بنت خويلد بن أسد^(١) بن عبد العزى بن قصي ، كانت امرأة تاجر ذات شرف ومال تستأجر في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه ، وكانت قريش تجاراً فلما بلغها عن رسول الله ﷺ صدق الحديث ، وعظم الأمانة ، وكرم الأخلاق أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره مع غلامها ميسرة فأجابها ، وخرج معه ميسرة حتى قدم الشام فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب ، فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة ، فقال من هذا . فقال ميسرة : هذا رجل من قريش . فقال الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي .

ثم باع رسول الله ﷺ واشترى وعاد ، فكان ميسرة إذا كانت الهاجرة يرى ملكين يظلاله من الشمس وهو على بعيره ، فلما قدم مكة ربحت خديجة ربحاً كثيراً وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وما رأى من إضلال الملكين إياه ، وكانت خديجة امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراده الله من كرامتها . فأرسلت إلى رسول الله ﷺ فعرضت عليه نفسها^(٢) وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأكثرهن مالاً وشرفاً وكل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه ، فلما أرسلت إلى النبي ﷺ قال لأعمامه وخرج ومعه حمزة بن عبد المطلب وأبو طالب وغيرهما من عمومته حتى دخل على خويلد بن أسد ، فخطبها إليه ، فتزوجها فولدت له أولاده كلهم إلا إبراهيم : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، والقاسم وبه كان يكنى ، وعبد الله ، والطاهر ، والطيب ، وقيل : إن عبد الله ولد في الاسلام هو الطاهر ، والطيب ، فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا في الجاهلية .

وأما بناته فكلهن أدركن الاسلام فاسلمن وهاجرن معه . وقيل : إن الذي زوجها عمها عمرو بن أسد وأن أباهما مات قبل التجارة . قال الواقدي : وهو الصحيح لأن أباهما توفي قبل الفجار ، وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذي يعرف بها اليوم ، فقال : إن

(١) في النسخ : سعد - وهو غلط (م) .

(٢) عرضت نفسها بواسطة نفيسة بنت منية أخت يعلى بن منية كما سيذكره المصنف .

معاوية اشتراه وجعله مسجداً يصلي فيه ، وكان الرسول بين خديجة وبين النبي ﷺ نفيسة بنت مَنيّة أخت يعلى بن مَنيّة وأسلمت يوم الفتح فبرها رسول الله ﷺ وأكرمها .

(مَنيّة) بالنون الساكنة والياء المثناة من تحتها .

ذكر حلف الفضول

قال ابن إسحاق : وكان نفر من جُرهم وقطوراء يقال لهم : الفضيل بن الحارث الجرهمي والفضيل بن وداعة القطوري ، والمفضل بن فضالة الجرهمي اجتمعوا فتحالفوا أن لا يقرؤا بطن مكة ظالماً ، وقالوا : لا ينبغي إلا ذلك لما عظم الله من حقها ، فقال عمرو بن عوف الجرهمي : ^(١)

أن الفضول تحالفوا وتعاهدوا أن لا يقر ^(٢) بطن مكة ظالم
أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا فالجار والمُعتر فيهم سالم

ثم درس ذلك فلم يبق إلا ذكره في قريش ، ثم أن قبائل من قريش تداعت إلى ذلك الحلف فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان لشرفه وسنه ، وكانوا بني هاشم ، وبني المطلب ، وبني أسد بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة فتحالفوا وتعاهدوا أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو من غيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على ظلمه حتى ترد عليه مظلّمته ، فسَمّت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ، وشهده رسول الله ﷺ ، فقال حين أرسله الله تعالى :

« لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت به في الاسلام لأجبت » . قال : وقال محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي : كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في مال كان بينهما ، والوليد يومئذ أمير على المدينة لعمة معاوية فتحامل الوليد لسلطانه ، فقال له الحسين : أقسم بالله لتصفني أو لأخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله ﷺ ؛ ثم لأدعون بحلف الفضول . فقال عبد الله بن الزبير وكان حاضراً : وأنا أحلف بالله لو دعا به لأجبتُه حتى ينصف من حقه أو نموت ، وبلغ المسور بن مخرمة

(١) في الروض الأنف ١/١٥٧ قائل هذين البيتين الزبير بن عبد المطلب .

(٢) في الروض : ألا يقيم .

الزهري ، فقال مثل ذلك ، وبلغ عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ الوليد ذلك انصف الحسين من نفسه حتى رضي .

ذكر هدم قريش الكعبة وبنائها

وفي سنة خمس وثلاثين من مولده ﷺ هدمت قريش الكعبة ، وكان سبب هدمهم إياها أنها كانت رضية فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفرًا من قريش وغيرهم سرقوا كنزها وفيه غزالان من ذهب ، وكان في بئر في جوف الكعبة ، وكان أمر غزالي الكعبة أن الله لما أمر إبراهيم واسماعيل ببناء الكعبة ففعلوا ذلك وقد تقدم ذكره وأقام اسماعيل بمكة ، وكان يلي البيت حياته ، وبعده وليه ابنه نبت^(١) فلما مات نبت ولم يكثر ولد اسماعيل غلبت جرهم على ولاية البيت . فكان أول من وليه منهم مضاض ، ثم ولده من بعده حتى بغت جرهم واستحلوا حرمة البيت فظلموا من دخل مكة حتى قيل إن أسافا ونائلة زنيا في البيت فمسخا حجرين ، وكانت خزاعة قد أقامت بتهامة^(٢) بعد تفرق أولاد عمرو بن عامر من اليمن ، فأرسل الله على جرهم الرعاف أفناهم ، فأجتمعت خزاعة على إجلاء من بقي منهم ، ورئيس خزاعة عمرو بن ربيعة بن حارثة فاقتتلوا ، فلما أحس عامر بن الحارث الجرهمي بالهزيمة خرج بغزالي الكعبة والحجر الأسود يلتمس التوبة وهو يقول :

لا هم إن جرهما عبادكا والناس طرف وهم تلادكا وهم قديماً عمروا بلادكا
فلم تقبل توبته ، فدفن غزالي الكعبة ببئر زمزم وطمها ، وخرج بمن بقي من جرهم إلى أرض جهينة فجاءهم سيل فذهب بهم أجمعين ، وقال عمرو بن الحارث :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُّونِ^(٣) إِلَى الصَّفَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ

وولي البيت بعد جرهم عمرو بن ربيعة ، وقيل : وليه عمرو بن الحارث الغساني

(١) الذي في السيرة (نابت) ويؤيده قول عمرو بن الحارث :

وكنا ولاية البيت من بعد نابت يطوف بذاك البيت والحير ظاهر

(٢) تهامة تسائر البحر ، منها مكة والحجاز ما حجز بين تهامة والعروض .

(٣) موضع بأعلى مكة ، عنده مقابل أهلها .

ثم خزاعة بعده غير أنه كان في قبائل مضر ثلاث خلال : الإجازة بالحج من عرفة ، وكان ذلك إلى الغوث بن مر بن أد وهو صوفة ، والثانية الإفاضة من جمع إلى منى ، وكانت إلى بني زيد بن عدوان ، وآخر من ولي ذلك منهم أبو سيارة عميلة بن الأعزل بن خالد ، والثالثة النسيء للشهور الحرام فكان ذلك إلى المقلس وهو حذيفة بن فقيم بن كنانة ، ثم إلى بنيه من بعده ، ثم صار ذلك إلى أبي ثمامة وهو جنادة بن عوف بن قلع بن حذيفة ، وقام الاسلام وقد عادت الأشهر الحرم إلى أصلها ، فأبطل الله عزل وجل النسيء .

ثم وليت البيت بعد خزاعة قريش وقد ذكرنا ذلك عند ذكر قصي بن كلاب ، ثم حفر عبد المطلب زمزم فأخرج الغزالين كما تقدم ، وكان الذي وجد الغزلان عنده دويك مولى لبني مليح بن خزاعة ، فقطعت قريش يده ، وكان فيمن أتتهم في ذلك عامر بن الحارث بن نوفل وأبو هارب بن عزيز ، وأبو لهب بن عبد المطلب ، وكان البحر قد ألقى سفينة إلى جدة لتاجر رومي ، فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها فتهياً لهم بعض ما يصلحها ، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكان لا يدنو منها أحد إلا كشت وفتحت فاهها ، فكانوا يهابونها فبينما هي يوماً على جدار الكعبة اختطفها طائر فذهب بها فقالت قريش : إنا لندرجو أن يكون الله عز وجل قد رضي ما أردناه^(١) وكان ذلك ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة وبعد الفجار بخمس عشرة سنة فلما أرادوا هدمها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، فتناول حجراً من الكعبة فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه^(٢) فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها إلا طيباً ، ولا تدخلوا فيه مهر بغى ولا زنا ولا مظلمة أحد . وقيل : إن الوليد بن المغيرة قال هذا .

ثم إن الناس هابوا هدمها ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدأكم به ، فأخذ المِعْوَل فهدم فتربص الناس به تلك الليلة ، وقالوا : ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً . فأصبح الوليد سالماً وغدا إلى عمله فهدم والناس معه حتى انتهى الهدم إلى الأساس ، ثم أفضوا

(١) وقد جمع هذه الحكاية الزبير بن عبد المطلب في قصيدته المشهورة التي أولها :

عجبت لما تصوبت العقاب إلى الشعبان وهي لها اضطراب

(٢) كذا في سيرة ابن هشام ، وتاريخ الطبري ، والله أعلم .

إلى حجارة خُضِرَ أخذ بعضها ببعض فأدخل رجل من قريش عَتَلَةً^(١) بين حجرين منها ليقلع به أحدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها، ثم جمعوا الحجارة لبنائها، ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن^(٢) فأراد كل قبيلة رفعه إلى موضعه حتى تحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا على ذلك أربع ليال ثم تشاوروا، فقال أبو أمية بن المغيرة وكان أسن قريش: اجعلوا بينكم حكماً أول مَنْ يدخل مِنْ باب المسجد يقضي بينكم فكان أول من دخل رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا به وأخبروه الخبر، فقال: هلموا إليّ ثوباً فأتي به، فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه.

(١) هي حديدة كأنها رأس فأس .

(٢) في ابن هشام والطبري أنّ شق الباب كان لبني عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم كبني تيم وغيرهم والحطيم - أو حجر إسماعيل - لبني عبد الدار ولبني أسد بن عبد العزى ولبني عدي، وظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم .

ذكر الوقت الذي أرسل فيه رسول الله ﷺ

بعث الله نبيه محمداً ﷺ لعشرين سنة مضت من مُلك كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وكان على الحيرة إياس بن قبيصة الطائي عاملاً للفرس على العرب. قال ابن عباس من رواية، حمزة وعكرمة عنه، وأنس بن مالك، وعروة بن الزبير: إن النبي ﷺ بُعث وأنزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة.

وقال ابن عباس من رواية عكرمة أيضاً عنه وسعيد بن المسيب: إنه أنزل عليه ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وكان نزول الوحي عليه يوم الاثنين بلا خلاف. واختلفوا في أي الاثنين كان ذلك، فقال أبو قلابة الجرمي: أنزل الفرقان على النبي ﷺ لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان، وقال آخرون: كان ذلك لتسع عشرة مضت من رمضان وكان ﷺ قبل أن يظهر له جبريل يرى ويعاين آثاراً من آثار من يريد الله إكرامه بفضله، وكان من ذلك ما ذكرت من شق الملكين بطنه واستخراجهما ما في قلبه من الغلِّ والدَّنس، ومن ذلك أنه كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلَّم عليه فكان يلتفت يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً، وكانت الأمم تتحدث بمبعثه وتخبر علماء كل أمة قومها بذلك قال عامر بن ربيعة: سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول: إنا لنتظر نبياً من ولد اسماعيل، ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي فإن طالت بك حياة ورأيت فاقراه مني السلام، وسأخبرك ما نعتة حتى لا يخفى عليك قلت: هلم. قال: هو رجل ليس بالطويل ولا بالقصير، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ولا تفارق عينه حمرة، وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد، وهذا البلد مولده ومبعثه ثم يخرج قومه ويكرهون ما جاء به ويهاجر إلى يثرب، فيظهر بها أمره، فيأياك أن تنخدع عنه فإني طُفْتُ البلاد كلها أطلب دين إبراهيم، فكل من أسأله من اليهود والنصارى

والمجوس يقول: هذا الدين وراءك وينعتونه مثل ما نعته لك، ويقولون: لم يبق نبي غيره. قال عامر: فلما أسلمت أخبرتُ رسول الله ﷺ بقول زيد وأقرأته السلام فرد عليه رسول الله ﷺ وترحم عليه. وقال: قد رأيته في الجنة يسحب ذيولاً، وقال جبير بن مطعم: كنا جلوساً عند صنم بُوانة^(١) قبل أن يبعث رسول الله ﷺ بشهر نحرنا جزوراً فإذا صائح يصيح من جوف الصنم اسمعوا إلى العجب. ذهب استراق^(٢) الوحي ونُزِمَ بالشهب. لنبي بمكة اسمه أحمد، مهاجرة إلى يثرب. قال: فأمسكنا وعجبنا. وخرج رسول الله ﷺ والأخبار عن دلائل نبوته كثيرة، وقد صنف العلماء في ذلك كتباً كثيرة^(٣)، ذكروا فيها كل عجيبة ليس هذا موضع ذكرها.

ذكر ابتداء الوحي إلى النبي ﷺ

قالت عائشة رضي الله عنها: «كان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد، ثم يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق^(٤) فأتاه جبريل فقال: يا محمد أنت رسول الله. قال رسول الله ﷺ: فجثوت لركبتي، ثم رجعت ترجف بوادري^(٥) فدخلت على خديجة فقلت: زملوني زملوني، ثم ذهب عني الروح. ثم أتاني فقال: يا محمد أنت رسول الله، قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق فتبدى لي حين هممت بذلك فقال: يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله. قال: اقرأ. قلت: وما أقرأ؟ قال: فأخذني فغطني^(٦) ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد؛ ثم

(١) هي هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر، ويطلق على جبل في الحجاز، وبوانة ماء بنجد لبني عجل. وفي الأصول: (سوانة) - وهو غلط. (م).

(٢) أصله (اشراق) ولا معنى له وإنما هو استراق كما في تاريخ ابن جرير (م).

(٣) منها: دلائل النبوة للبيهقي، دلائل النبوة لأبي نعيم، دلائل النبوة للماوردي، دلائل النبوة لابن كثير (المذكور في آخر السيرة النبوية في البداية والنهاية له).

دلائل النبوة لأبي داود، ولابن قتيبة، ولإبراهيم الحربي وغيرهم. (انظر كشف الظنون ٧٦٠).

(٤) أي: فجأه.

(٥) جمع بادرة: لحمه بين المنكب والعنق.

(٦) الغت والغط سواء أي: غطتني.

قال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١) فقرأت فأتيت خديجة، فقلت: لقد أشفقت على نفسي وأخبرت بها خبري، فقالت: «أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصديق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكل»^(٢) وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها، وكان قد تنصر، وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل، فقالت: اسمع من ابن أخيك، فسألني فأخبرته خبري. فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران ليتني كنت حياً حين يخرجك قومك، قلت: أخرجني هم؟ قال: نعم، إنه لم يَجِءْ أحد بمثل ما جئت به إلا عودي، ولئن أدركني يومك لأنصرك نصراً مؤزراً.

ثم إن أول ما نزل عليه من القرآن بعد اقرأ ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٣) و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^(٤) ﴿وَالْضُّحَى﴾^(٥) وقالت خديجة لرسول الله ﷺ فيما تثبته فيما أكرمه الله به من نبوته: يا بن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال نعم. فجاءه جبريل فأعلمها، فقالت: قم فأجلس على فخذي اليسرى، فقام ﷺ فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال نعم. قالت: فتحول فأقعد على فخذي اليمنى فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال نعم، فتحسرت فألقت خمارها ورسول الله ﷺ في حجرها، ثم قالت هل تراه؟ قال: لا. قالت: يا بن عم اثبت وأبشر فوالله إنه ملك ما هو بشيطان.

وقال يحيى بن أبي كثير: سألت أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن قال: نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أول. قال: قلت إنهم يقولون: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ قال: سألت جابر بن عبد الله قال: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال: (٦) جاورت

(١) العلق : ١ .

(٢) هو الثقل من كل ما يتكلف ، والكَلَّ : العيال .

(٣) القلم : ١ .

(٤) المدثر : ١ .

(٥) الضحى : ١ .

(٦) أي : أقمتُ وسكنتُ .

بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فسمعت صوتاً فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن يساري فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي وأمامي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فإذا هو - يعني الملك - جالس على عرش بين السماء والأرض، فخشيت منه، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني دثروني وصبوا عليّ ماء ففعلوا فنزلت ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ هذا حديث صحيح .

قال هشام بن الكلبي : أتى جبريل النبي ﷺ أول ما أتاه ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له برسالة الله يوم الاثنين، فعلمه الوضوء والصلاة، وعلمه ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ وكان لرسول الله ﷺ أربعون سنة . قال الزهري : فتر^(١) الوحي عن رسول الله ﷺ فترة فحزن حزناً شديداً، وجعل يغدو إلى رؤوس الجبال ليرتدى منها^(٢)، فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فيقول: إنك رسول الله حقاً. فيسكن لذلك جأشه وترجع نفسه، فلما أمر الله نبيه ﷺ أن ينذر قومه عذاب الله على ما هم عليه من عبادة الأصنام دون الله الذي خلقهم ورزقهم، وأن يحدث بنعمة ربه عليه - وهي النبوة في قول ابن اسحاق - فكان يذكر ذلك سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله، فكان أول من آمن به وصدّقه من خلق الله تعالى خديجة بنت خويلد زوجته .

قال الواقدي : أجمع أصحابنا أن أول من استجاب لرسول الله ﷺ من أهل القبلة خديجة، ثم كان أول شيء فرض الله من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان الصلاة، وإن الصلاة لما فرضت عليه ﷺ أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي، فأنفجرت فيه عين، فتوضأ جبريل وهو ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله ﷺ مثله، ثم قام جبريل فصلى به وصلى النبي ﷺ بصلاته، ثم انصرف، وجاء رسول الله ﷺ إلى خديجة، فعلمها الوضوء؛ ثم صلى بها فصلت بصلاته .

(١) أي : انقطع .

(٢) أي ليرمي نفسه منها .

ذكر المعراج برسول الله ﷺ

اختلف الناس في وقت المعراج، فقيل: كان قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بسنة واحدة، واختلفوا في الموضع الذي أسري برسول الله ﷺ منه، فقيل: كان نائماً بالمسجد في الحجر فأسري به منه، وقيل: كان نائماً في بيت أم هانئ بنت أبي طالب، وقائل هذا يقول: الحرم كله مسجد، وقد روى حديث المعارج جماعة من الصحابة بأسانيد صحيحة قالوا قال رسول الله ﷺ أتاني جبريل وميكائيل، فقالا بأيهم أمرنا؟ فقالا أمرنا بسيدهم، ثم ذهبوا؛ ثم جاءا من القابلة وهم ثلاثة فألقوه وهو نائم، فقلبوه لظهره وشقوا بطنه، وجاؤوا بماء زمزم فغسلوا ما كان في بطنه من غل وغيره؛ وجاؤوا بطست مملوءة إيماناً وحكمة فملئ قلبه وبطنه إيماناً وحكمة. قال: وأخرجني جبريل من المسجد، وإذا أنا بدابة وهي البراق وهي فوق الحمار ودون البغل، ثم مثل البراق خطوه عند منتهى طرفه، فقال: أركب فلما وضعت يدي عليه تشامس واستصعب، فقال جبريل: يا براق ما ركبك نبي أكرم على الله من محمد، فانصب عرقاً وانخفض لي حتى ركبت، وسار بي جبريل نحو المسجد الأقصى، فأثبَّتْ بِنائين أحدهما لبن والآخر خمر، فقيل لي: اختر أحدهما، فأخذت اللبن فشربته، فقيل لي: أصبت الفطرة أما أنك لو شربت الخمر لغوت أمتك بعدك، ثم سرنا فقال لي: انزل فصل فنزلت فصليت، فقال: هذه طيبة وإليها المهاجر، ثم سرنا فقال لي: انزل فصل فنزلت فصليت، فقال: هذا طور سيناء حيث كلم الله موسى. ثم سرنا فقال: انزل فصل فنزلت فصليت، فقال: هذا بيت لحم حيث ولد عيسى. ثم سرنا حتى أتينا بيت المقدس فلما انتهينا إلى باب المسجد أنزلني جبريل وربط البراق بالحلقة التي كان يربط بها الأنبياء فلما دخلت المسجد إذا أنا بالأنبياء حوالي - وقيل: بأرواح الأنبياء الذين بعثهم الله قبلي - فسلموا عليّ، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: اخوانك من الأنبياء زعمت قريش أن الله شريكاً وزعمت النصارى أن الله ولد أسأل هؤلاء النبيين هل كان لله عز وجل شريك أو ولد؟ فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (١) فأقروا بالوحدانية لله عز وجل، ثم جمعهم جبريل وقدمني فصليت بهم ركعتين، ثم انطلق بي جبريل إلى الصخرة فصعد بي عليها فإذا معراج إلى السماء لا

ينظر الناظرون إلى شيء أحسن منه ومنه تعرج الملائكة أصله في صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسما فاحتلمني جبريل ووضعني على جناحه وصعد بي إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال محمد . قيل وقد بعث إليه؟ قال نعم . قيل مرحباً به ونعم المجيء جاء . ففتح فدخلنا فإذا أنا برجل تام الخلقة عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة فإذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك وإذا نظر إلى الباب الذي عن يساره بكى فقلت : من هذا؟ وما هذان البابان؟ فقال : هذا أبوك آدم والباب الذي عن يمينه باب الجنة فإذا نظر إلى مَنْ يدخلها من ذريته ضحك والباب الذي عن يساره باب جهنم إذا نظر إلى مَنْ يدخلها من ذريته بكى وحزن ، ثم صعد بي إلى السماء الثانية فاستفتح فقيل : من هذا؟ قال جبريل . قيل : ومن معك؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه قال نعم . قيل : حياه الله مرحباً به ونعم المجيء جاء . ففتح لنا فدخلنا فإذا بشابين فقلت : يا جبريل من هذان؟ فقال : هذان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل : من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه ! قال نعم . قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء .

فدخلنا فإذا أنا برجل قد فضل الناس بالحسن قلت : من هذا يا جبريل؟ قال : هذا أخوك يوسف ، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال محمد : قيل : وقد بعث إليه ، قال : نعم . قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء . فدخلنا فإذا أنا برجل ، فقلت من هذا؟ قال : ادريس رفعه الله مكاناً علياً .

ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء فدخلنا فإذا رجل جالس وحوله قوم يقص عليهم ، قلت : من هذا؟ قال : هذا هارون والذين حوله بنو إسرائيل .

ثم صعد بي إلى السماء السادسة ، فاستفتح فقيل من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال نعم . قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء . فدخلنا فإذا أنا برجل جالس فجاوزناه فبكى الرجل فقلت : يا جبريل من هذا؟

قال : هذا موسى . قلت : فما باله يبكي . قال : يزعم بنو إسرائيل أنني أكرم على الله من بني آدم وهذا الرجل من بني آدم قد خلفني وراءه . قال : ثم صعد بي إلى السابعة فاستفتح فقبل من هذا؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه؟ قال نعم . قيل : مرحباً به ونعم المجيء جاء . فدخلنا فإذا رجل أشمط جالس على كرسي على باب الجنة وحوله قوم بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شيء فقام الذين في ألوانهم شيء فاغتسلوا في نهر وخرجوا وقد سارت وجوههم مثل وجوه أصحابهم ، فقلت من هذا؟ قال : أبوك إبراهيم ، وهؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتأبوا فتاب الله عليهم . وإذا إبراهيم مستند إلى بيت فقال : هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه . قال : وأخذني جبريل فأنتهينا إلى سِدْرَةِ المنتهى وإذا نَبْقُها مثل قِلَال هَجَر يخرج من أصلها أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فأما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات . قال : وغشيها من نور الله ما غشيها وغشيها الملائكة كأنهم جراد من ذهب من خشية الله وتحولت حتى ما يستطيع أحد أن ينعتها وقام جبريل في وسطها فقال جبريل : تقدّم يا محمد . فتقدمت وجبريل معي إلى حجاب فأخذ بي ملك وتخلف عني جبريل فقلت : إلى أين؟ فقال ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(١) وهذا منتهى الخلائق . فلم أزل كذلك حتى وصلت إلى العرش . فاتضع كل شيء عند العرش وكل لساني من هيبة الرحمن ، ثم أنطق الله لساني فقلت : التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله ، وفرض الله عليّ وعلى أمتي في كل يوم وليلة خمسين صلاة ، ورجعت إلى جبريل فأخذ بيدي وأدخلني الجنة فرأيت القصور من الدر والياقوت والزبرجد ورأيت نهراً يخرج من أصله ماء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يجري على رضراض من الدر والياقوت والمسك فقال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك .

ثم عرض عليّ النار فنظرت إلى أغلالها وسلاسلها وحياتها وعقاربها وما فيها من العذاب . ثم أخرجني فأنحدرنا حتى أتينا موسى فقال : ماذا فرض عليك وعلى أمتك؟

قلت : خمسين صلاة . قال : فإني قد بلوتُ بني إسرائيل قبلك وعالجتهم أشد المعالجة على أقل من هذا فلم يفعلوا فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف . فرجعت إلى ربي وسألته فخفف عني عشراً فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال : أرجع واسأله التخفيف . فرجعت فخفف عني عشراً فلم أزل بين ربي وموسى حتى جعلها خمساً فقال : أرجع فأسأله التخفيف . فقلت : إني قد استحييت من ربي وما أنا براجع ، فنوديت : « إني قد فرضتُ عليك وعلى أمتك خمسين صلاة والخمس بخمسين وقد أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي » . ثم انحدرت أنا وجبريل إلى مضجعي ، وكان كل ذلك في ليلة واحدة .

فلما رجع إلى مكة علم أن الناس لا يصدقونه ، فقعده في المسجد مغموماً ، فمر به أبو جهل فقال له كالمستهزئ : هل استفدت الليلة شيئاً؟ قال : نعم . أُسِرِي بي الليلة إلى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ! فقال : نعم . فخاف أن يخبر بذلك عنه فيجحد به النبي ، فقال : أتخبر قومك بذلك؟ فقال : نعم . فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي هلمُّوا فأقبلوا فحدثهم النبي ﷺ فمن بين مصدق ومكذب ومصفق وواضع يده على رأسه ، وارتد الناس ممن كان آمن به وصدقه ، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر فقالوا : إن صاحبك يزعم كذا وكذا ، فقال : « إن كان قال ذلك فقد صدق إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة » . فسُمِّيَ أبو بكر الصديق من يومئذ . قالوا : فأنعت لنا المسجد الأقصى . قال : فذهبتُ أنعت حتى ألبس عليّ ، قال : فجيء بالمسجد وإني أنظر إليه فجعلتُ أنعته . قالوا : فأخبرنا عن غيرنا قال : قد مررتُ على عير بني فلان بالروحاء ، وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه ، فأخذتُ قدحاً فيه ماء فشربته فسلوهم عن ذلك ، ومررتُ بعير بني فلان وفلان وفلان ، فرأيتُ راكباً وقعوداً بذي مر فنفر بكرهما مني فسقط فلان فانكسرت يده فسلوهما ، قال : ومررتُ بعيركم بالتنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم من طلوع الشمس . فخرجوا إلى الثنية فجلسوا ينظرون طلوع الشمس ليكذبوه إذ قال قائل : هذه الشمس قد طلعت ؛ فقال آخر : والله هذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق كما قال فلم يقلحوا ، وقالوا : إن هذا سحر مبين .

ذكر الاختلاف في أول من أسلم

اختلف العلماء في أول من أسلم مع الاتفاق على أن خديجة أول خلق الله إسلاماً، فقال: قوم أول ذكر آمن عليّ، روي عن علي عليه السلام أنه قال: أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر صليت مع رسول الله ﷺ قبل الناس بسبع سنين.

وقال ابن عباس: أول من صلى عليّ . وقال جابر بن عبد الله: بعث النبي ﷺ يوم الاثنين وصلى عليّ يوم الثلاثاء . وقال زيد بن أرقم: أول من أسلم مع النبي ﷺ عليّ .

وقال عفيف الكندي: كنت امرأة تاجراً فقدمت مكة أيام الحج، فأتيت العباس فبينما نحن عنده إذ خرج رجل فقام تجاه الكعبة يصلي ثم خرجت امرأة تصلي معه، ثم خرج غلام فقام يصلي معه فقلت: يا عباس ما هذا الدين؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله ابن أخي زعم أن الله أرسله، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذه امرأته خديجة آمنت به، وهذا الغلام علي بن أبي طالب آمن به وأيم الله ما أعلم علي ظهر الأرض أحداً على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة. قال عفيف: ليتني كنت رابعاً. وقال محمد بن المنذر وربيع بن أبي عبد الرحمن وأبو حازم المدني والكلبي: أول من أسلم عليّ قال الكلبي كان عمره تسع سنين وقيل: إحدى عشرة سنة. وقال ابن إسحاق: أول من أسلم عليّ وعمره إحدى عشرة سنة، وكان من نعمة الله عليه أن قریشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة فقال يوماً رسول الله ﷺ لعمه العباس: يا عم إن أبا طالب كثير العيال، فانطلق بنا نخفف عن عيال أبي طالب فانطلقا إليه وأعلماه ما أرادا فقال أبو طالب: اتركنا لي عقيلاً^(١) واصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً، وأخذ العباس جعفرأ فلم يزل علي عند النبي ﷺ حتى أرسله الله فاتبعه وكان النبي ﷺ إذا أراد الصلاة فانطلق هو وعلي إلى بعض الشعاب بمكة فيصليان ويعودان فعر عليهما أبو طالب، فقال: يا بن أخي ما هذا الدين؟ قال: دين الله وملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم بعثني الله تعالى به إلى العباد وأنت أحق من دعوته إلى الهدى وأحق من أجابني. قال: لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي، ولكن والله لا

(١) في ابن هشام: ويقال عقيلاً وطالباً.

تخلص قريش إليك بشيء تكرهه ما حييت، فلم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه، قال: وقال أبو طالب لعلي: ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ قال: يا ابت آمنت بالله وبرسوله وصليت معه. فقال: أما أنه لا يدعونا إلا إلى الخير فآلزمه.

وقيل: أول من أسلم أبو بكر رضي الله عنه، قال الشعبي: سألت ابن عباس عن أول من أسلم فقال أما سمعت قول حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فأذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها بعد النبي وأوفاهما بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس قدماً صدق الرسلا

وقال عمرو بن عبسة: أتيت رسول الله ﷺ بعكاظ فقلت: يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر؟ قال: تبني عليه حرّ وعبد أبو بكر وبلال. فأسلمت عند ذلك فلقد رأيتني رابع الاسلام، وكان أبو ذر يقول: لقد رأيتني رابع الاسلام لم يسلم قبلي إلا النبي وأبو بكر وبلال، وقال ابراهيم النخعي: أبو بكر أول من أسلم.

وقيل: أول من أسلم زيد بن حارثة، قال الزهري وسليمان بن يسار، وعمران بن أبي أنس، وعروة بن الزبير أول من أسلم زيد بن حارثة وكان هو وعلي يلزمان النبي ﷺ، وكان ﷺ يخرج إلى الكعبة أول النهار ويصلي صلاة الضحى وكانت قريش لا تنكرها، وكان إذا صلى غيرها قعد علي وزيد بن حارثة يرصدانه، وقال ابن إسحاق: أول ذكر أسلم بعد النبي علي وزيد بن حارثة ثم أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه وكان مانعاً لقومه محبباً فيهم، وكان أعلمهم بأنساب قريش وما كان فيها، وكان تاجراً يجتمع إليه قومه فجعل يدعو من يثق به من قومه، فأسلم علي يديه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى النبي ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا وكان هؤلاء نفرهم الذين سبقوا إلى الاسلام، ثم تتابع الناس في الاسلام حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به الناس.

قال الواقدي: وأسلم أبو ذر قالوا رابعاً أو خامساً، وأسلم عمرو بن عبسة السلمي رابعاً أو خامساً، وقيل: إن الزبير أسلم رابعاً أو خامساً، وأسلم خالد بن سعيد بن

العاص خامساً؛ وقال ابن إسحاق : أسلم هو وزوجته هُمينة^(١) بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة من خزاعة بعد جماعة كثيرة.

ذكر أمر الله تعالى نبيه ﷺ بإظهار دعوته

ثم إن الله تعالى أمر النبي ﷺ بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما يؤمر، وكان قبل ذلك في السنين الثلاث مستتراً بدعوته لا يظهرها إلا لمن يثق به، فكان أصحابه إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشعاب فاستخفوا، فبينما سعد بن أبي وقاص وعمار، وابن مسعود وخباب، وسعيد بن زيد يصلون في شعب، أطلع عليهم نفر من المشركين منهم أبو سفيان بن حرب، والأخنس بن شريق وغيرهما فسبوهم وعابوهم حتى قاتلوهم، فضرب سعد رجلاً من المشركين بلحى جمل^(٢) فشجه فكان أول دم أريق في الإسلام في قول.

قال ابن عباس لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣) خرج رسول الله ﷺ، فصعد على الصفا، فهتف: «يا صباحاه» فاجتمعوا إليه، فقال: يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف فاجتمعوا إليه، فقال: رأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح الجبل أكتتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذباً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك أما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قال فنزلت ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(٤) السورة.

وقال جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم لما أنزل الله على رسوله ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ اشتد ذلك عليه وضاق به ذرعاً فجلس في بيته كالمریض فأتته عماته يعدنه، فقال: ما اشتكيت شيئاً ولكن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فقلن له: فادعهم ولا تدع أبا لهب فيهم فإنه غير مجيبك، فدعاهم ﷺ فحضروا معهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا خمسة وأربعين رجلاً، فبادره أبو لهب، وقال: هؤلاء هم عمومك

(١) جرى المصنف على أن اسم زوجة خالد بن سعيد هُمينة - وذكرها بصيغة الجزم، قال ابن هشام، وامراته أمينة بنت خلف ويقال: هُمينة بنت خلف.

(٢) اللَّحْيُ: العظمان اللذان فيهما الأسنان من كل ذي حَيٍّ . جمعه: لُحْيٌ، ولحاء.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

(٤) المسد: ١.

وبنو عمك فتكلم ودع الصباة، وأعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة وإن أحق من أخذك فحبسك بنو أبيك وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يشب بك بطون قريش وتمدهم العرب فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشرٍ مما جئتهم به، فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم في ذلك المجلس، ثم دعاهم ثانية، وقال: الحمد لله أحمدته وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم قال: إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون وإنها الجنة أبداً والنار أبداً.

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقنا لحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير أنني أسرعهم إلى ما تحب فأمض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب، فقال أبو لهب: هذه والله السوأة خذوا على يديه، قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا.

وقال علي بن أبي طالب: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني النبي ﷺ فقال: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت ذرعاً وعلمت أنني متى أبادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءني جبريل، فقال: يا محمد إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فأصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عساً من لبن وأجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبولهب، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعتهم لهم فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ حزة من اللحم^(١) فتنفها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحيفة ثم قال: خذوا باسم الله فأكل القوم حتى مالهم بشيء من حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثم قال: اسق القوم فجئتهم بذلك العس^(٢) فشربوا منه حتى

(١) هي قطعة من اللحم تقطع طولاً .

(٢) هو: القدح الكبير .

رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بדרه أبولهب إلى الكلام، فقال: لعلمنا سحركم به صاحبكم. فتفرق القوم ولم يكلمهم ﷺ، فلما كان الغد قال: يا علي إن هذا الرجل سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرقوا قبل أن أكلمهم فعِدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم أجمعهم إليّ. ففعل مثل ما فعل بالأمس فأكلوا وسقيتهم ذلك العس فشربوا حتى رووا جميعاً وشبعوا ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتم به قد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يوازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت - وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً - أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون فيقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لأبنك وتطيع.

وأمر رسول الله ﷺ أن يصدع بما جاءه من عند الله وأن يباذع الناس بأمره ويدعوهم إلى الله، فكان يدعو في أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفياً إلى أن أمر بالظهور للدعاء، ثم صدع بأمر الله، وبأداء قومه بالإسلام فلم يبعدوا منه ولم يردوا عليه إلا بعض الرد حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أجمعوا على خلافه إلا من عصمه الله منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون، وحذب^(١) عليه عمه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مظهراً لأمره لا يرده شيء فلما رأت قريش أنه ﷺ لا يعتبهم^(٢) من شيء يكرهونه، وأن أبا طالب قد قام دونه ولم يسلمه لهم، مشى رجال من أشرافهم إلى أبي طالب، عتبة، وشيبة ابنا ربيعة. وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ومن مشى منهم، فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه. فقال لهم أبو طالب قولاً جميلاً وردهم رداً رقيقاً

(١) أصل الحذب: انحناء الظهر، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له.

(٢) أي لا يرضيهم، يقال استعيتني فأعتبه أي أرضيته وأزلت العتاب عنه (م).

فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ لما هو عليه.

ثم شرى^(١) الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال فتضاغنوا وأكثر قريش ذكر رسول الله ﷺ وقد تأمروا فيه، فمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا: يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً وإنا قد استنهيناك أن تنهي ابن أخيك فلم تفعل وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آل هتنا وآبائنا وتسفيه أحلامنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا.

ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم له ولم تطلب نفسه بإسلام رسول الله ﷺ وخذلانه، وبعث إلى رسول الله ﷺ فأعلمه ما قالت قريش، وقال له: أبقي على نفسك وعلي ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه بدو^(٢) وأنه خذله وقد ضعف عن نصرته، فقال رسول الله ﷺ: «يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

ثم بكى رسول الله ﷺ وقام. فلما ولي ناداه أبو طالب فأقبل عليه، وقال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً، فلما علمت قريش أن أبا طالب لا يخذل رسول الله ﷺ وأنه يجمع لعداوتهم مشوا بعمارة بن الوليد، فقالوا: يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد فتى قريش وأشعرهم وأجملهم، فخذ به فلك عقله ونصرته، فاتخذه ولداً وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذي سفه أحلامنا وخالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك نقلته، فإنما رجل برجل. فقال: والله لبئس ما تسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله لا يكون أبداً.

فقال المُطَعَّم بن عَدِي بن نوفل بن عبد مناف: والله لقد أنصفك قومك وما أراك تريد أن تقبل منهم، فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدا لك. فاشتد الأمر عند ذلك وتنابد القوم واشتدت قريش على من في القبائل من الصحابة الذين أسلموا، فوثبت كل قبيلة على من فيها من

(١) أي: استشرى وزاد وكثر.

(٢) أي: ظهر له رأي.

المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب، وقام أبو طالب في بني هاشم، فدعاهم إلى منع رسول الله ﷺ، فأجابوا إلى ذلك، واجتمعوا إليه إلا ما كان من أبي لهب، فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره أقبل يمدحهم ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم، وقد مشى قريش إلى أبي طالب عند موته، وقالوا له: أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك، فمره فليكف عن شتم آلهم وندعه وإلهه، فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه قال له: هؤلاء سروات^(١) قومك يسألونك أن تكف عن شتم آلهم ويدعوك وإلهك.

قال له رسول الله ﷺ: «أي عم أولا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟ كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب ويملكون رقاب العجم، فقال أبو جهل: ما هي وأبيك؟ لنعطينكها وعشر أمثالها. قال: تقولون لا إله إلا الله فنفروا وتفرقوا، وقالوا: سل غيرها، فقال: لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها، قال: فغضبوا وقاموا من عنده غضابى، وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمْسُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهِتِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا أَخْتَلِقَ﴾^(٢) وأقبل على عمه، فقال: قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة. قال: لولا أن تعيبكم بها العرب، وتقول جزع من الموت لأعطيتكها، ولكن على ملة الأشياخ، فنزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

ذكر تعذيب المستضعفين من المسلمين

وهم الذين سبقوا إلى الاسلام ولا عشائر لهم تمنعهم ولا قوة لهم يمنعون بها، فأما من كانت له عشيرة تمنعه، فلم يصل الكفار إليه، فلما رأوا امتناع من له عشيرة وثبت كل قبيلة على من فيها من مستضعفي المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة والنار ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان، ومنهم من تصلب في دينه ويعصمه الله منهم.

فمنهم بلال بن رباح الحبشي مولى أبي بكر، وكان أبوه من سبي الحبشة، وأمه

(١) جمع سراة، وسراة جمع سري وهو الرئيس.

(٢) ص: ٦.

حمامة سبية أيضاً وهو من مولدي السراة وكنيته أبو عبد الله فصار بلال لأمية بن خلف الجمحي ، فكان إذا حَمِيت الشمس وقت الظهيرة يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ، ويقول : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى .

فكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب وهو يقول : « أحدٌ أحدٌ » . فيقول : أحد أحد والله يا بلال ، ثم يقول لأمية : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً^(١) ، فرآه أبو بكر يعذب ، فقال لأمية بن خلف الجمحي : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ فقال : أنت أفسدته فابعده ، فقال : عندي غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به ، قال : قبلت . فأعطاه أبو بكر غلامه ، وأخذ بلالاً فأعتقه ، فهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ .

ومنهم عمار بن ياسر أبو اليقظان العنسي وهو بطن من مراد وعنس - هذا بالنون - أسلم هو وأبوه وأمه وأسلم قديماً ورسول الله ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلاً ، أسلم هو وصهيب في يوم واحد ، وكان ياسر حليفاً لبني مخزوم ، فكانوا يخرجون عماراً وأباه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحر الرمضاء فمر بهم النبي ﷺ ، فقال : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة »^(٢) ، فمات ياسر في العذاب واغلظت امرأته سمية القول لأبي جهل ؛ فطعنها في قُبْلِهَا بحربة في يديه فماتت وهي أول شهيد في الاسلام ، وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة وبوضع الصخر أحمر على صدره أخرى وبالتغريق أخرى ، فقالوا : لا نتركك حتى تسب محمداً وتقول في اللات والعزى خيراً ، ففعل فتركوه فأتى النبي ﷺ يبكي فقال : ما وراءك؟ قال شرياً رسول الله كان الأمر كذا وكذا . قال : فكيف تجد قلبك؟ قال : أجده مطمئناً بالايمان .

(١) الحنان : الرزق والبركة والرحمة والعطف .

قال صاحب النهاية : أراد لأجعلن قبره موضع حنان أي مظنة من رحمة الله تعالى فأتى به تبركاً فيرجع ذلك عاراً عليكم وسبة عند الناس . (م) .

ويلاحظ أن هذه الرواية هي على القول المرجوح في أن ورقة بن نوفل قد عاش حتى عُذِّب المسلمون في مكة .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣/٣٨٣ ، وأبونعيم في الحلية ١/١٤٠ وغيرهما .

فقال : يا عمار إن عادوا فعد فأنزل الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ (١) فشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وقتل بصفين مع علي وقد جاوز التسعين قيل بثلاث وقيل بأربع سنين .

ومنهم خباب بن الارت كان أبوه سوادياً من كَسْكَر (٢) فسباه قوم من ربيعة، وحملوه إلى مكة، فباعوه من سباع بن عبد العزى الخزاعي حليف بني زهرة . وسباع هو الذي بارزه حمزة يوم أحد - وخباب تميمي - وكان إسلامه قديماً قيل سادس ستة قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، فأخذته الكفار وعذبوه عذاباً شديداً، فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء، ثم بالرضف وهي الحجارة المحماة بالنار ولووا رأسه فلم يجبههم إلى شيء مما أرادوا منه، وهاجر، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ونزل الكوفة ومات سنة ست وثلاثين .

ومنهم صهيب بن سنان الرومي ولم يكن رومياً وإنما نسب إليهم لأنهم سبوه وباعوه، وقيل : لأنه كان أحمر اللون وهو من النمر بن قاسط كناه رسول الله ﷺ أبا يحيى قبل أن يولد له، وكان ممن يعذب في الله فعذب عذاباً شديداً، ولما أراد الهجرة منعه قريش فافتدى نفسه منهم بماله أجمع، وجعله عمر بن الخطاب عند موته يصلي بالناس إلى أن يستخلف بعض أهل الشورى، وتوفي بالمدينة في شوال من سنة ثمان وثلاثين وعمره سبعون سنة .

وأما عامر بن فهيرة فهو مولى الطفيل بن عبد الله الأزدي وكان الطفيل أخا عائشة لامها أم رومان أسلم قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكان من المستضعفين يعذب في الله فلم يرجع عن دينه، واشتراه أبو بكر وأعتقه فكان يرعى غنماً له وكان يروح بغنم أبي بكر إلى النبي ﷺ وإلى أبي بكر لما كانا في الغار، وهاجر معهما إلى المدينة يخدمهما وشهد بدرأً وأحدأً، واستشهد يوم بئر معونة وله أربعون سنة، ولما طعن قال : فزت ورب الكعبة، ولم توجد جثته لتدفن مع القتلى . ف قيل : إن الملائكة دفنته .

ومنهم أبو فكيهة واسمه أفلح، وقيل يسار، وكان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف

(١) النحل : ١٠٦ .

(٢) كورة واسعة قصبتها واسط التي بين الكوفة والبصرة - بالعراق .

الجمحي أسلم مع بلال، فأخذه أمية بن خلف، وربط في رجله حبلاً وأمر به فجر، ثم ألقاه في الرمضاء، ومَرَّ به جُعَلٌ^(٣)، فقال له أمية: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربي وربك ورب هذا. فخنقه خنقاً شديداً ومعه أخوه أبي بن خلف يقول: زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق فمرَّ به أبو بكر، فاشتراه وأعتقه، وقيل: إن بني عبد الدار كانوا يعذبونه وإنما كان مولى لهم وكانوا يعضون الصخرة على صدره حتى دلع لسانه فلم يرجع عن دينه، وهاجر ومات قبل بدر.

ومنهم لبينة جارية بني مؤمل بن حبيب بن عدي بن كعب، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب، وكان عمر يعذبها حتى تفتن، ثم يدعها ويقول: إني لم أدعك إلا سامة، فتقول: كذلك يفعل الله بك إن لم تسلم، فاشتراها أبو بكر فأعتقها.

ومنهم زَنْبِرَةٌ، وكانت لبني عدي وكان عمر يعذبها، وقيل: كانت لبني مخزوم، وكان أبو جهل يعذبها حتى عميت، فقال لها: إن اللات والعزى فعلا بك، فقالت: وما يدري اللات والعزى من يعبدهما؟ ولكن هذا أمر من السماء وربى قادر على رد بصري، فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها، فقالت قريش: هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر فأعتقها.

(زنبرة) بكسر الزاي وتشديد النون وتسكين الياء المثناة من تحتها وفتح الراء .
ومنهم النهديّة مولاة لبني نهد فصارت لامرأة من بني عبد الدار فأسلمت، وكانت تعذبها وتقول والله لا أقلعت عنك أو يبتاعك بعض أصحاب محمد، فابتاعها أبو بكر فأعتقها.

ومنهم أم عبيس بالباء الموحدة، وقيل: عبيس بالنون وهي أمة لبني زهرة، فكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها، فابتاعها أبو بكر فأعتقها، وكان أبو جهل يأتي الرجل الشريف ويقول له: أترك دينك ودين أبيك وهو خير منك؟ ويقبح رأيه وفعله ويسفه حلمه ويضع شرفه، وإن كان تاجراً يقول: ستكسد تجارتك ويهلك مالك، وإن كان ضعيفاً أغرى به حتى يعذب.

(١) حيوان حقير يشبه الخنفساء.

ذكر المستهزئين ومن كان أشد الأذى للنبي ﷺ

وهم جماعة من قريش: فمنهم عمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب كان شديداً عليه وعلى المسلمين عظيم التكذيب له دائم الأذى، فكان يطرح العذرة والتن على باب النبي ﷺ، وكان جاره، فكان رسول الله ﷺ يقول: أي جوار هذا يا بني عبد المطلب فرآه يوماً حمزة فأخذ العذرة وطرحها على رأس أبي لهب، فجعل ينفذه عن رأسه، ويقول: صاحبي أحرق، وأقصر عما كان يفعله لكنه يضع من يفعل ذلك. ومات أبو لهب بمكة عند وصول الخبر بانهزام المشركين ببدر بمرض يعرف بالعدسة.

ومنهم الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وهو ابن خال النبي ﷺ، وكان من المستهزئين، وكان إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى، وكان يقول للنبي ﷺ: أما كلمت اليوم من السماء يا محمد؟ وما أشبه ذلك، فخرج من أهله فأصابه السموم فأسود وجهه، فلما عاد إليهم لم يعرفوه وأغلقوا الباب دونه، فرجع متحيراً حتى مات عطشاً، وقيل: إن جبريل أوماً إلى السماء فأصابته الأكلة فامتلاً قيحاً فمات.

ومنهم الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم السهمي، كان أحد المستهزئين الذين يؤذون رسول الله ﷺ وهو ابن العيطة^(١) وهي أمه، وكان يأخذ حجراً يعبده فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني، وكان يقول قد غر محمد أصحابه ووعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا إلا الدهر وفيه نزلت ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ آتَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ وأكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب الماء حتى مات، وقيل: أخذته الذبحة، وقيل: امتلاً رأسه قيحاً فمات.

ومنهم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان الوليد يكنى أبا عبد شمس وهو العدل لأنه كان عدل قريش كلها لأن قريشاً كانت تكسو البيت جميعها وكان الوليد يكسوها وحده؛ وهو الذي جمع قريشاً وقال: إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد فتختلف أقواكم فيه فيقول: هذا ساحر ويقول: هذا كاهن ويقول: هذا شاعر ويقول: هذا مجنون وليس يشبه واحداً مما يقولون ولكن أصلح ما قيل فيه

(١) العيطل - كفيصل - الناقة الطويلة العنق، وهي بغير هاء، ولم أقف على عيطة بالهاء (م).

ساحر لأنه يفرق بين المرء وأخيه وزوجته ، وقال أبو جهل ^(١) لئن سب محمد آلهتنا سبينا إلهه فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ومات بعد الهجرة بعد ثلاثة أشهر وهو ابن خمس وتسعين سنة ودفن بالحجون ، وكان مربرجل من خزاعة يرش نبلاً له فوطىء على سهم منها فخدشه ، ثم أوما جبريل إلى ذلك الخدش بيده فانتقض ومات منه فأوصى إلى بنيه أن يأخذوا ديته من خزاعة فأعطت خزاعة ديته .

ومنهم أمية وأبي ابنا خلف وكانا على شرٍّ ما عليه أحد من أذى رسول الله ﷺ وتكذبيه جاء أبي إليه ﷺ بعظم فخذ ففته في يده ، وقال : زعمت أن ربك يحيي هذا العظم ؟ فنزلت ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ^(٢) وصنع عقبة بن أبي معيط طعاماً ودعا إليه رسول الله ﷺ ، فقال : لا أحضره حتى تشهد أن لا إله إلا الله ففعل فقام معه ، فقال له أمية بن خلف : أقلت كذا وكذا ؟ فقال : إنما قلت ذلك لطعامنا فنزلت ﴿ وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ ^(٣) وقتل أمية يوم بدر كافراً قتله خبيب . وبلال ، وقيل قتله رفاعه بن رافع الأنصاري . وأما أخوه أبي فقتله رسول الله ﷺ يوم أحد رماه بحربة فقتله .

ومنهم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ ويعين أبا جهل على أذاه قتله حمزة يوم بدر .

ومنهم العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص ، وكان من المستهزئين وهو القائل لما مات القاسم ^(٤) ابن النبي ﷺ إنَّ محمداً أبتر لا يعيش له ولد ذكر ، فأنزل ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ^(٥) فركب حماراً له فلما كان بشعب من شعاب مكة ربض به

(١) قوله (وقال أبو جهل) إلى قوله (بغير علم) لا محل لذكره هنا ، وحقه أن يذكر بعد قوله فيما سيأتي : (منهم أبو جهل الخ) كذا في هاش النسخة المطبوعة ، ولا أرى مانعاً من ذكره هنا لأن أبا جهل قال ذلك عندما قال الوليد بن المغيرة قوله السابق (م) .

(٢) يس : ٧٨ .

(٣) الفرقان : ٢٧ .

(٤) في الأصول : (لما مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم) وهو تحريف من النساخ وصححناه من السير لأن إبراهيم مات سنة عشر من الهجرة وهو ابن ثمانية عشر شهراً وهلك العاص ثاني شهر دخل النبي ﷺ المدينة ، ولا يخفى ما فيه من التناقض على النسخ المطبوعة (م) .

(٥) الكوثر : ٣ .

حمارة فلدغ في رجله فانتفخت حتى صارت كعُنق البعير فمات منها بعد هجرة النبي ﷺ ثاني شهر دخل المدينة وهو ابن خمس وثمانين سنة .

ومنهم النضر بن الحارث بن علقمة بن كِلْدَة بن عبد مناف بن عبد الدار يكنى أبا قائد ، وكان أشد قريش في تكذيب النبي ﷺ والأذى له ولأصحابه ، وكان ينظر في كتب الفرس ويخالط اليهود والنصارى ، وسمع بذكر النبي ﷺ وقُرب مبعثه ، فقال : إن جاءنا نذير لنكونن أهدي من إحدى الأمم فنزلت ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ ^(١) الآية وكان يقول إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين فنزل فيه عدة آيات ، أسره المقداد يوم بدر ، وأمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه فقتله علي بن أبي طالب صبراً بالأثيل ^(٢) .

ومنهم أبو جهل بن هشام المخزومي كان أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وأكثرهم أذى له ولأصحابه واسمه عمرو ، وكنيته أبو الحكم ، وأما أبو جهل فالمسلمون كُتِبَ به ، وهو الذي قتل سُمَيَّةَ أم عمار بن ياسر وأفعاله مشهورة ، وقُتِلَ ببدر قتله ابنا عفراء وأجهز عليه عبد الله بن مسعود .

ومنهم نُبَيْه ومنبه ابنا الحجاج السهميان ، وكانا على ما كان عليه أصحابهما من أذى رسول الله ﷺ والطعن عليه ، وكانا يلقيانه فيقولان له : أما وجد الله من يبعثه غيرك ؟ إن ههنا من هو أسن منك وأيسر ، فقتل منبه قتله علي بن أبي طالب ببدر ، وقتل أيضاً العاص بن منبه بن الحجاج قتله أيضاً علي ببدر وهو صاحب ذي الفقار ، وقيل منبه بن الحجاج صاحبه وقيل : نبیه .

(نُبَيْه) بضم النون وفتح الباء الموحدة .

ومنهم زهير بن أبي أمية أخو أم سلمة لأبيها وأمه عاتكة بنت عبد المطلب ، وكان ممن يظهر تكذيب رسول الله ﷺ ويرد ما جاء به ويطعن عليه إلا أنه ممن أعان على نقض الصحيفة واختلف في موته ، فقيل : سار إلى بدر فمرض فمات ، وقيل : أسر ببدر فأطلقه رسول الله ﷺ ، فلما عاد مات بمكة ، وقيل : حضر وقعة أحد فأصابه سهم فمات منه ، وقيل : سار إلى اليمن بعد الفتح فمات هناك كافراً .

(١) الأنعام : ١٠٩ .

(٢) تصغير أثل ، وهو واد بنواحي المدينة .

ومنهم عقبة بن أبي مُعَيْط واسم أبي مُعَيْط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ويكنى أبا الوليد، وكان من أشد الناس أذى لرسول الله ﷺ وعداوة له وللمسلمين عمد إلى مكمل فجعل فيه عذرة، وجعله على باب رسول الله ﷺ، فبصر به طليب بن عمير بن وهب بن عبد مناف بن قصي، وأمه أروى بنت عبد المطلب، فأخذ المكمل منه وضرب به رأسه وأخذ بأذنيه، فشكاه عقبة إلى أمه، فقال: قد صار ابنك ينصر محمداً. فقالت: ومن أولى به منا؟ أموالنا وأنفسنا دون محمد. وأسر عقبة ببدر، فقتل صبراً قتله عاصم بن ثابت الأنصاري فلما أراد قتله قال: يا محمد من للصبيّة. قال: النار، قتل بالصفراء^(١) بعرق الظبية^(٢) وصُلب وهو أول مصلوب في الاسلام.

ومنهم الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي وكان من المستهزئين ويكنى أبا زمعة؛ وكان وأصحابه يتغامزون بالنبي ﷺ وأصحابه ويقولون « قد جاءكم ملوك الأرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر » ويصفرون به ويصفقون فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يعمى ويثكل ولده. فجلس في ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينه بورقة من ورقها وبشوكها حتى عمى، وقيل: أوماً إلى عينيه فعمى فشغله عن رسول الله ﷺ وقتل ابنه معه ببدر كافراً قتله أبو دجانة، وقتل ابن ابنه عتيب قتله حمزة وعلي اشتركا في قتله. وقتل ابن ابنه الحارث بن زمعة بن الأسود قتله علي، وقيل: هو الحارث بن الأسود والأول أصح وهو القائل:

أتبكي أن يضلّ لها بعير ويمنعها من النوم السهود

ومات والناس يتجهزون إلى أحد وهو يحرض الكفار وهو مريض.

ومنهم مُطْعَم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يكنى أبا الريان؛ وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ ويشتمه ويسمعه ويكذبه، وأسر ببدر، وقتل كافراً صبراً قتله حمزة.

ومنهم مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غبشان من المستهزئين، وكان سفيهاً فدعا عليه رسول الله ﷺ، فأشار جبريل إلى رأسه، فامتلاً قيحاً فمات.

ومنهم ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب كان شديد العداوة لقي النبي ﷺ

(١) وادٍ كثير النخل والزرع في طريق الحاج من ناحية المدينة بينه وبين بدر مرحلة.

(٢) موضع بين مكة والمدينة قرب الروحاء، وقيل هي الروحاء نفسها.

فقال يا بن أخي بلغني عنك أمرٌ ولست بكذاب، فإن صرعتني علمت أنك صادق ولم يكن يصرعه أحد، فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات، ودعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقال: لا أسلم حتى تدعو هذه الشجرة. فقال لها رسول الله ﷺ أقبلي فأقبلت اتخذ الأرض^(١)، فقال ركانة: ما رأيت سحراً أعظم من هذا! مُرها فلترجع فأمرها فعادت فقال: هذا سحر عظيم.

هؤلاء أشد عداوة لرسول الله ﷺ ومن عداهم من رؤساء قريش كانوا أقل عداوة من هؤلاء كعبة وشيبة وغيرهما وكان جماعة من قريش من أشد الناس عليه فأسلموا تركنا ذكرهم لذلك، منهم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة لابيها وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن حرب، والحكم بن أبي العاص والد مروان، وغيرهم أسلموا يوم الفتح.

ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله عز وجل وعمه أبي طالب. وأنه لا يقدر على أن يمنعهم قال: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم. فكانت أول هجرة في الإسلام. فخرج عثمان بن عفان وزوجته رقية ابنة النبي ﷺ معه. وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وأمراته معه سهلة بنت سهيل. والزبير بن العوام وغيرهم تمام عشرة رجال. وقيل: أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وكان مسيرهم في رجب سنة خمس من النبوة وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة. فأقاموا شعبان وشهر رمضان وقدموا في شوال سنة خمس من النبوة وكان سبب قدومهم إلى النبي ﷺ أنه لما رأى مباحدة قومه له شق عليه وتمنى أن يأتيه الله بشيء يقاربهم به وحدث نفسه بذلك. فأنزل الله ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فلما وصل إلى قوله ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾^(٢) ألقى الشيطان على لسانه لما كان تحدث به نفسه: تلك الغرائيق العلى

(١) أي: تشقها

(٢) النجم: ٢٠.

وإن شفاعتهن لترتجى^(١) فلما سمعت ذلك قريش سرهم والمسلمون مصدقون بذلك لرسول الله ﷺ لا يتهمونه ولا يظنون به سهواً ولا خطأ فلما انتهى إلى سجدة سجد معه المسلمون والمشركون إلا الوليد بن المغيرة . فإنه لم يُطق السجود لكبره فأخذ كفاً من البطحاء فسجد عليها ، ثم تفرق الناس ، وبلغ الخبر من بالحبشة من المسلمين إن قريشاً أسلمت فعاد منهم قوم وتخلف قوم ، وأتى جبريل رسول الله ﷺ فأخبره بما قرأ ، فحزن رسول الله ﷺ وخاف فأنزل الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾^(٢) فذهب عنه الحزن والخوف واشتدت قريش على المسلمين فلما قرب المسلمون الذين كانوا بالحبشة من مكة بلغهم أن إسلام أهل مكة باطل فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفياً ، فدخل عثمان في جوار أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية فأمن بذلك ، ودخل أبو حذيفة بن عتبة بجوار أبيه ودخل عثمان بن مظعون بجوار الوليد بن المغيرة ثم قال : أكون في ذمة مشرك ! جوار الله أعز ، فرد عليه جواره ، وكان لبيد بن ربيعة^(٣) ينشد قريشاً قوله : (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) .

فقال عثمان بن مظعون : صدقت . فلما قال : (وكل نعيم لا محالة زائل) . قال : كذبت نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا ، ولا كان السفه من شأنكم ، فأخبروه خبره وخبر ذمته . فقام بعض بني المغيرة فلطم عين عثمان ، فضحك الوليد شماتة به حيث رد جواره . وقال لعثمان : ما كان أغناك عن هذا .

(١) هذه القصة باطلة موضوعة وللعلامة النقاد محمد ناصر الدين الألباني رسالة نصب المجانيق في نسف حديث الغرائيق .

كما أن القصة مردودة بنص القرآن الكريم : قال تعالى :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . . . ﴾ .

﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ اتَّبَعَ إِلَّا مَا يُوْحِي إِلَيَّ ﴾ .

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ .

(٢) الحج : ٥٢ .

(٣) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر العامري ، أبو عقيل (ت ٤١ هـ = ٦٦١ م) شاعر من الفرسان الأشراف في الجاهلية ، أدرك الإسلام ، ووفد على النبي ﷺ وترك الشعر ، وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً . له ديوان شعر صغير .

انظر : المرزباني : معجم الشعراء ١٧٤ - حاجي خليفة : كشف الظنون ٨٠٨ ، ١٠٤٨ ، الزركلي : الاعلام ١٠٤/٦ .

فقال: إن عيني الأخرى لمحتاجة إلى ما نال لمثل هذا. فقال له: هل لك أن تعود إلى جواربي قال: لا أعود إلى جوار غير الله، فقام سعد بن أبي وقاص إلى الذي لطم عين عثمان، فكسر أنفه، فكان أول دم أريق في الإسلام في قول^(١) وأقام المسلمون بمكة يؤذون، فلما رأوا ذلك رجعوا مهاجرين إلى الحبشة ثانياً، فخرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون إلى الحبشة، فكمل بها تمام اثنين وثمانين رجلاً والنبي ﷺ مقيم بمكة يدعو إلى الله سرّاً وجهراً فلما رأت قريش أنه لا سبيل لها إليه رموه بالسحر والكهانة والجنون، وأنه شاعر وجعلوا يصدون عنه من خافوا أن يسمع قوله، وكان أشد ما بلغوا منه ما ذكره عبد الله بن عمرو بن العاص قال حضرت قريش يوماً بالحجر فذكروا النبي ﷺ وما نال منهم وصبرهم عليه، فبينما هم كذلك إذ طلع النبي ﷺ ومشى حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً فغمزوه ببعض القول فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه مثلها، ثم الثالثة: فقال أتسمعون يا معشر قريش؟ والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح. قال: فكأنما على رؤوسهم الطير واقع حتى إن أشدهم فيه ليرفؤه^(٢) بأحسن ما يجد وانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم حتى إذا أتاكم بما تكرهون تركتموه، فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد يقولون له: أنت الذي تقول كذا وكذا. فيقول: أنا الذي أقول ذلك. فأخذ عقبة بن أبي معيط بردائه، وقام أبو بكر الصديق دونه يقول - وهو يبكي - ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٣) ثم انصرفوا عنه هذا أشد ما بلغت منه.

ذكر إرسال قريش إلى النجاشي في طلب المهاجرين

لما رأت قريش أن المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وأمنوا وأن النجاشي قد أحسن صحبتهم ائتمروا بينهم، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية^(٤) ومعهما هدية

(١) والقول الآخر أن أول دم أريق في الإسلام عندما ضرب سعد رجلاً من المشركين بلحى جمل فشجه.

(٢) أي يسكنه ويرفق به ويدعوه.

(٣) غافر: ٢٨.

(٤) الذي في سيرة ابن هشام وهو الصواب أنه عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي والد عمر الشاعر وأخو أبي جهل لأمه، وكان عبد الله قبل الإسلام يدعى بجيراً وأبوربيعة يلقب بذي الرمحين، أسلم بعد ذلك وصار والياً على الجند في زمن عمر وعثمان، وتوفي في حصار عثمان وقع عن دابته فمات في الطريق.

إليه وإلى أعيان أصحابه، فسارا حتى وصلا الحبشة، فحملا إلى النجاشي هديته وإلى أصحابه هداياهم، وقالوا لهم: إن ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دين الملك، وجأؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد أرسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم، وخافاً أن يسمع النجاشي كلام المسلمين أن لا يسلمهم، فوعدهما أصحاب النجاشي المساعدة على ما يريدان، ثم إنهما حضرا عند النجاشي، فأعلماه ما قد قالاه فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهما فغضب من ذلك، وقال: لا والله لا أسلم قوماً جاوروني ونزلوا بلادي وأختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما وإن كانوا على غير ما يذكر هذان منعتهم وأحسن جوارهم.

ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب النبي ﷺ فدعاهم فحضرُوا وقد أجمعوا على صدقه فيما ساءه وسره وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبي طالب فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من الملل؟ فقال جعفر: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا لتوحيد الله، وأن لا نشرك به شيئاً، ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والصيام^(١)، وعَدَّ عليه أمور الإسلام، قال: فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا، وحللنا ما أحل لنا، فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا تُظلمَ عندك أيها الملك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء. قال: نعم، فقرأ عليه سطوراً من كهيعص^(٢) فبكى النجاشي وأساقفته، وقال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة انطلقا والله لا أسلمهم إليكما أبداً. فلما خرجا من عنده قال

(١) لعله يريد صوم التطوع وإلا فإنَّ صوم رمضان لم يكن فرض يومئذ (م).

(٢) أي سورة مريم.

عمرو بن العاص : والله لأتينه غداً بما يبيد خضرأهم . فقال له عبد الله بن أبي أمية وكان أتقى الرجلين : لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً . فلما كان الغد قال للنجاشي : إن هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً فأرسل النجاشي فسألهم عن قولهم في المسيح ، فقال جعفر : نقول في الذي جاءنا به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول . فأخذ النجاشي عوداً من الأرض وقال ما عدا عيسى ما قلت هذا العود فنخرت بطارقه ، فقال : وإن نخرتم . وقال للمسلمين : اذهبوا فأنتم آمنون ما أحب أن لي جبلاً من ذهب ، وإنني آذيت رجلاً منكم . وردّ هدية قريش وقال : ما أخذ الله الرشوة مني حتى أخذها منكم ، ولا أطاع الناس فيّ حتى أطيعهم فيه ، وأقام المسلمون بخير دار ، وظهر ملك من الحبشة فنازع النجاشي في ملكه فعظم ذلك على المسلمين ، وسار النجاشي إليه ليقاتله ، وأرسل المسلمون الزبير بن العوام ليأتيهم بخبره وهم يدعون له ، فاقتتلوا فظفر النجاشي فما سرّ المسلمون بشيء سرورهم بظفره . قيل إن معنى قوله « إن الله لم يأخذ الرشوة مني » أن أبا النجاشي لم يكن له ولد غيره وكان له عم قد أولد اثني عشر ولداً ، فقالت الحبشة : لو قتلنا أبا النجاشي وملكناه أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام ، وكان أخوه وأولاده يتوارثون الملك دهرأ ، فقتلوا أباه وملكوا عمه ، ومكثوا على ذلك حينأ . وبقي النجاشي عند عمه . وكان عاقلاً فغلب على أمر عمه فخافت الحبشة أن يقتلهم جزاء لقتل أبيه فقالوا لعمه : إما أن تقتل النجاشي وإما أن تخرجه من بين أظهرنا فقد خفناه . فأجابهم إلى إخراجهم من بلادهم على كُرهِ منه ، فخرجوا إلى السوق فباعوه من تاجر بستمائة درهم ، فسار به التاجر في سفينته ، فلما جاء العشاء هاجت سحابة فأصابته عمه بصاعقة ففرغت الحبشة إلى أولاده ، فإذا هم لا خير فيهم فخرج على الحبشة أمرهم ، فقال بعضهم والله لا يقيم أمركم إلا النجاشي ، فإن كان لكم بالحبشة رأي فأدركوه فخرجوا في طلبه حتى أدركوه وملكوه ، وجاء التاجر ، وقال لهم : إما أن تعطوني مالي ، وإما أن أكلمه ، فقالوا : كلمه . فقال : أيها الملك ابتعت غلاماً بستمائة درهم ثم أخذوا الغلام والمال ، فقال النجاشي : إما أن تعطوه دراهمه وإما أن يضع الغلام يده في يده فليذهبن به حيث شاء . فأعطوه دراهمه فهذا معنى قوله فكان ذلك أول ما علم من عدله ودينه ، قال : ولما مات النجاشي كانوا لا يزالون يرون على قبره نوراً .

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب

ثم إن أبا جهل مر برسول الله ﷺ وهو جالس عند الصفا، فأذاه وشتمه ونال منه وعاب دينه ومولاه لعبد الله بن جُدعان في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فجلس في نادي قريش عند الكعبة، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل من قنصه متوشحاً قوسه، وكان إذا رجع لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان يقف على أندية قريش ويسلم عليهم ويتحدث معهم، وكان أعز قريش وأشدّهم شكيمة فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله ﷺ ورجع إلى بيته، فقالت له: يا أبا عُمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم بن هشام، فإنه سبّه وآذاه ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد. قال: فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته، فخرج سريعاً لا يقف على أحدٍ كما يصنع يريد الطواف بالكعبة مُعدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به حتى دخل المسجد، فرآه جالساً في القوم فأقبل نحوه، وضرب رأسه بالقوس فشجه شجة منكراً، وقال: أتشتمه وأنا على دينه. أقول ما يقول؟، فأردد عليّ إن استطعت، وقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة فإنني سببتُ ابن أخيه سباً قبيحاً، وتم حمزة على إسلامه، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّ وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه. واجتمع يوماً أصحابه، فقالوا: ما سمعت قريش القرآن يُجهرُ لها به فمَنْ رجلٌ يسمعهموه؟ فقال ابن مسعود: أنا. فقالوا: نخشى عليك إنما نريد من له عشيرة يمنعونه. قال: إن الله سيمنعني، فغدا عليهم في الضحى حتى أتى المقام وقريش في أنديتها، ثم رفع صوته وقرأ سورة الرحمن فلما علمت قريش أنه يقرأ القرآن قاموا إليه يضربونه؛ وهو يقرأ ثم أنصرف إلى أصحابه، وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشنا عليك. فقال: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم اليوم، ولئن شئتُم لا غادينهم^(١). قالوا: حسبك قد أسمعهم ما يكرهون.

ذكر إسلام عمر بن الخطاب

ثم أسلم عمر بعد تسعة وثلاثين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة^(٢) وقيل: أسلم بعد

(١) أي: لئن شئتُم لأُعوذنَّ لهم غداً.

(٢) وكان ذلك في السنة السادسة للهجرة كذا في تهذيب الاسماء، واللغات للامام النووي، وأورد مثله ملا =

أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة. وقيل: أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وكان رجلاً جلدًا منيعاً، وأسلم بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة. وكان أصحاب النبي ﷺ لا يقدرّون يصلّون عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صليّ عندها وصليّ معه أصحاب النبي ﷺ. وكان قد أسلم قبله حمزة بن عبد المطلب. فقوي المسلمون بهما. وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ والمسلمين. قالت أم عبد الله بنت أبي حثمة وكانت زوج عامر بن ربيعة: إنا لنرحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر لبعض حاجته إذ أقبل عمر وهو على شركه حتى وقف عليّ - وكنا نلقى منه البلاء أذىً وشدة - فقال: أتنتلقون يا أمّ عبد الله؟ قالت: قلت: نعم، والله لنخرجن في أرض الله؛ فقد آذيتونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجاً. قالت: فقال: صَحِبَكُمْ الله. ورأيت له رِقَّةً وحُزْناً. قالت: فلما عاد عامر أخبرته وقلت له: لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه؟ قلت: نعم، فقال: لا يُسَلِّم حتى يسلم حمار الخطاب - لِمَا كَانَ يَرَى مِنْ غِلْظَتِهِ وَشِدَّتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهَدَاهُ اللهُ تَعَالَى، فَأَسْلَمَ فَصَارَ عَلَى الْكُفَّارِ أَشَدَّ مِنْهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

وكان سبب إسلامه أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت تحت سعيد بن زيد بن عمرو العدوي، وكانا مسلمين يخفيان إسلامهما من عمر، وكان نعيم بن عبد الله النحام العدوي قد أسلم أيضاً وهو يُخْفِي إسلامه فَرَقاً مِنْ قَوْمِهِ، وكان خباب بن الارت يختلف إلى فاطمة يقرأها القرآن فخرج عمر يوماً ومعه سيفه يريد النبي ﷺ والمسلمين وهم مجتمعون في دار الأرقم عند الصفا، وعنده من لم يهاجر من المسلمين في نحو أربعين رجلاً، فلقى نعيم بن عبد الله، فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً الذي فرق أمر قريش وعاب دينها وسب آلها فأكثله. فقال نعيم: والله لقد غرتك نفسك أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً، أفلا ترجع إلى أهلِكَ فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهلي؟ قال: خَتْنُكَ^(١) وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة، فقد والله أسلما. فرجع عمر إليهما وعندهما خباب بن الارت يقرأهما القرآن فلما سمعوا حَسَّ عمر تَغَيَّبَ خباب، وأخذت فاطمة الصحيفة فألقته تحت فخذيها، وقد سمع عمر

= علي القاري في شرحه المبين المعين المفهم الأربعين النووية (م).

(١) الخَتْنُ: كل من كان من قِبَلِ المرأة كأيها، وأخيها وكذلك زوج البنت أو الأخت. جمعه: أختان. والانشئ: خَتْنَةٌ.

قراءة خباب، فلما دخل قال: ما هذه الهينة^(١)؟ قالوا: ما سمعت شيئاً؟ قال: بلى، وقد أُخْبِرْتُ أنكما تابعتما محمداً على دينه، وبَطَشَ بَخْتَنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته لتكفه فضربها فشجها، فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فأصنع ما شئت.

ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم، وقال لها: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون فيها الآن حتى أنظر إلى ما جاء به محمد، قالت: إنا نخشاك عليها، فحلف أنه يعيدها. قالت له: وقد طِمَعْتُ في إسلامه إنك نجس على شركك ولا يمسه إلا المطهرون، فقام فأغتسل، فأعطته الصحيفة وقراها وفيها طه وكان كاتباً، فلما قرأ بعضها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، فلما سمع خباب خرج إليه، وقال: يا عمر إنني والله لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي الحكم بن هشام فالله الله يا عمر.

فقال عمر عند ذلك: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم. فذله خباب، فأخذ سيفه وجاء إلى النبي ﷺ وأصحابه فضرب عليه الباب، فقام رجل منهم، فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً سيفه فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال حمزة: ائذن له فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له وإن أراد شراً قتلناه بسيفه، فأذن له فنهض إليه النبي ﷺ حتى لقيه؛ فأخذ بمجامع ردائه، ثم جذبه جذبة شديدة، وقال: ما جاء بك؟ ما أراك تنتهي حتى ينزل الله عليك قارعة.

فقال عمر: يا رسول الله جئت لأومن بالله وبرسوله. فكبر ﷺ تكبيرة عرف من في البيت أن عمر أسلم، فلما أسلم قال: أي قریش أنقل للحديث؟ قيل: جميل بن معمر الجمحي فجاءه فأخبره بإسلامه فمشى إلى المسجد وعمر وراءه وصرخ: يا معشر قریش ألا إن ابن الخطاب قد صبأ، فيقول عمر من خلفه: كذب ولكني أسلمت. فقاموا فلم يزل يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس وأعيى فقعد وهم على رأسه، فقال: أفعلوا ما بدا لكم فلو كنا ثلاثمائة نفر تركناها لكم أو تركتموها لنا يعني مكة، فبينما هم كذلك إذ أقبل شيخ عليه حلة، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر. قال: فمه^(٢) رجل اختار لنفسه

(١) الهينة: الكلام الخفي الذي لا يفهم.

(٢) أي: كُفَّ.

أمرأ فماذا تريدون؟ أترون بتي عدي يسلمون لكن صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل .
 وكان الرجل العاص بن وائل السهمي . قال عمر : لما أسلمت أتيت باب أبي جهل بن
 هشام فضربت عليه بابه ، فخرج إليّ وقال : مرحباً بآبن أخي ما جاء بك؟ قلت : جئت
 لأخبرك أنني قد أسلمت وأمنت بمحمد ﷺ وصدقت ما جاء به ، قال : فضرب
 الباب في وجهي ، وقال : قبحك الله وقبح ما جئت به . وقيل : في إسلامه غير هذا .

ذكر أمر الصحيفة

ولما رأت قريش الاسلام يفشو ويزيد ، وأن المسلمين قووا بإسلام حمزة وعمر ،
 وعاد إليهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي أمية من النجاشي بما يكرهون من منع
 المسلمين عنهم وأمنهم عنده ائتمروا في أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على أن لا ينكحوا
 بني هاشم وبني المطلب ، ولا ينكحوا إليهم ، ولا يبيعوهم ، ولا يبتاعوا منهم شيئاً .
 فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً
 لذلك الأمر على أنفسهم ، فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى
 أبي طالب ، فدخلوا معه في شُعبه واجتمعوا ، وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد
 المطلب إلى قريش ، فلقي هنداً بنت عتبة ، فقال : كيف رأيت نصري اللات والعزى؟
 قالت : لقد أحسنت . فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا لا يصل إلى أحد
 منهم شيء إلا سراً ، وذكروا أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد ومعه قمح يريد
 به عمته خديجة وهي عند رسول الله ﷺ في الشُّعب فتعلق به ، وقال : والله لا تبرح حتى
 أفضحك ؛ فجاء أبو البختري بن هشام فقال مالك وله؟ عنده طعام لعمته أفتمنعه أن
 يحمله إليها؟ خلّ سبيله . فأبى أبو جهل فنال منه ، فضربه أبو البختري بلحى جمل
 فشجه ووطئه وطئاً شديداً وحمزة ينظر إليهم وهم يكرهون أن يبلغ النبي ﷺ ذلك
 فيشمت بهم هو والمسلمون ورسول الله ﷺ يدعو الناس سراً وجهراً والوحي متابع إليه ،
 فبقوا كذلك ثلاث سنين .

وقام في نقض الصحيفة نفر من قريش ، وكان أحسنهم بلاء فيه هشام بن
 عمرو بن الحارث بن عمرو بن لؤي وهو ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه ،
 وكان يأتي بالبعير قد أقره طعاماً ليلاً ويستقبل به الشُّعب ، ويخلع خطامه فيدخل
 الشعب ، فلما رأى ما هم فيه وطول المدة عليهم مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة

المخزومي أخي أم سلمة، وكان شديد الغيرة على النبي ﷺ والمسلمين، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال: يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت؟ أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم يعني أبا جهل، ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه ما أجابك أبداً، فقال: فماذا أصنع وإنما أنا رجل واحد؟ والله لو كان معي رجل آخر لنقضتها. فقال: قد وجدت رجلاً. قال: ومن هو؟ قال: أنا. قال زهير: أبغنا ثالثاً. فذهب إلى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف. فقال له: أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد ذلك موافق فيه؟ أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم أسرع. قال: ما أصنع إنما أنا رجل واحد؟ قال: قد وجدت ثانياً قال من هو؟ قال: أنا. قال: أبغنا ثالثاً، قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال: أبغنا رابعاً. فذهب إلى أبي البخري بن هشام، وقال له نحواً مما قال للمطعم. قال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: أنا وزهير والمطعم. قال: أبغنا خامساً فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه وذكر له قرابتهم. قال: وهل على هذا الأمر معين؟ قال: نعم وسَمَى له القوم فاتعدوا خطم الحَجُون الذي بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة. فقال زهير: أنا أبدأكم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس، فقال: يا أهل مكة أأكل الطعام وتلبس الثياب وبنو هاشم هلكن لا يتاعون ولا يُتَاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة، قال أبو جهل: كذبت والله لا تشق. قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب ما رضىنا بها حين كُتِبَتْ، قال أبو البخري: صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها، قال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب من قال غير ذلك. وقال هشام بن عمرو ونحواً من ذلك. قال أبو جهل: هذا أمر قُضِيَ بليل. وأبو طالب في ناحية المسجد، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ما كان باسمك اللهم كانت تفتح بها كتبها. وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشَلَّت يده.

وقيل: كان سبب خروجهم من الشعب أن الصحيفة لما كُتِبَتْ وعلقت بالكعبة اعتزل الناس بني هاشم وبني المطلب وأقام رسول الله ﷺ وأبو طالب ومن معهما

بالشعب ثلاث سنين ، فأرسل الله الأرضة وأكلت ما فيها من ظلم وقطيعة رحم وتركت ما فيها من أسماء الله تعالى ، فجاء جبريل إلى النبي ﷺ ، فأعلمه بذلك ، فقال النبي ﷺ لعمة أبي طالب وكان أبو طالب لا يشك في قوله ، فخرج من الشعب إلى الحرم فاجتمع الملاء من قريش وقال : إن ابن أخي أخبرني أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وتركت اسم الله تعالى ، فأحضروها فإن كان صادقاً علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا ، وإن كان كاذباً علمنا أنكم على حق وأنا على باطل . فقاموا سرّاعاً وأحضروها فوجدوا الأمر كما قاله رسول الله ﷺ ، وقويت نفس أبي طالب واشتد صوته وقال : قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة . فنكسوا رؤوسهم ثم قالوا : إنما تأتوننا بالسحر والبهتان ، وقام أولئك نفر في نقضها كما ذكرنا . وقال أبو طالب في أمر الصحيفة وأكل الأرضة ما فيها من ظلم وقطيعة رحم أبياتاً منها :^(١)

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غائب القوم يعجب
محا الله منهم كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق معرب
فاصبح ما قالوا من الأمر باطلا ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب

ذكر وفاة أبي طالب وخديجة وعرض رسول الله ﷺ نفسه على العرب

توفي أبو طالب وخديجة قبل الهجرة بثلاث سنين وبعد خروجهم من الشعب فتوفي أبو طالب في شوال أو في ذي القعدة وعمره بضع وثمانون سنة وكانت خديجة ماتت قبله بخمسة وثلاثين يوماً ، وقيل : كان بينهما خمسة وخمسون يوماً ، وقيل : ثلاثة أيام فعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بهلاكهما فقال رسول الله ﷺ : « ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب » وذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت

(١) يقول النجار في قصص الأنبياء : أرى الصنعة ظاهراً في هذه الأبيات ونحن تحرينا كتب السير والتواريخ ومجموعة قصائد أبي طالب التي شرحها علي فهمي مفتي بلاد الهرسك فلم نجد له بائية مرفوعة وإنما له بائية مجرورة ، والمعروف أن أبا طالب قال في أمر الصحيفة قصيدته الدالية وفيها كما رواه ابن هشام وغيره يقول :

الا هل أتى بحرینا صنع ربنا على نأيهم والله بالناس أروء
فيخبرهم أن الصحيفة مزقت وأن كل ما لم يرضه الله مفسد
تراوحها إلفك سحر مجمع ولم يلف سحراً آخر الدهر يصعد

أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته حتى ينثر بعضهم التراب على رأسه وحتى إن بعضهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي ، وكان رسول الله ﷺ يخرج ذلك على العود ويقول : أي جوار هذا يا بني عبد مناف ، ثم يلقيه بالطريق .

فلما اشتد عليه الأمر بعد موت أبي طالب خرج ومعه زيد بن حارثة إلى ثقيف ^(١) يلتمس منهم النصر فلما انتهى إليهم عمَدَ إلى ثلاثة نفر منهم وهم يومئذ سادة ثقيف وهم اخوة عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب بنو عمرو بن عمير فدعاهم إلى الله وكلمهم في نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه فقال أحدهم : مارد يمرط ^(٢) ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك ، وقال آخر : أما وجد الله من يرسله غيرك .

وقال الثالث : والله لا أكلمك كلمة أبداً لكن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنك أعظم خطراً من أن أرد عليك ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك .

فقام رسول الله ﷺ وقد يش من خير ثقيف ، وقال لهم : اذا أبيتم فاكنتموا علي ذلك وكره أن يبلغ قومه ، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم فاجتمعوا اليه وألجأوه إلى حائط ^(٣) لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهو البستان وهما فيه ورجع السفهاء عنه وجلس إلى ظل حيلة ^(٤) وقال : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، اللهم يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع ، إني أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل بي سخطك .

فلما رأى ابنا ربيعة ما لحقه تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً اسمه عدّاس فقالا له : خذ قطعاً من هذا العنب واذهب به إلى ذلك الرجل .

(١) هي قبيلة ثقيف وتقيم بالطائف والطائف ناحية ذات نخل وأعناب ومزارع وأودية وهي على ظهر جبل غَزَوان ، وبها عقبة مسيرة يوم للطالع من مكة ، ونصف يوم للهابط إلى مكة يمشي فيها ثلاثة أجمال بأحمالها .

(٢) في ابن هشام والسيرة الحلبية : (هو يمرط) بدل (مارد يمرط) ومعناه يتنف وياخذ .

(٣) الحائط : البستان من النخل .

(٤) أي شجرة الكرّم .

ففعل فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ وضع يده فيه وقال : بسم الله ثم أكل ، فقال عداس : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة ، فقال له النبي ﷺ : من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟

قال : أنا نصراني من أهل نينوى . فقال رسول الله ﷺ : أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال له : وما يدريك ما يونس؟ قال رسول الله ﷺ : ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي فأكَّب عداس على يدي رسول الله ﷺ ورجليه يقبلهما ، فعاد ، فيقول ابنا ربعة أحدهما للآخر : أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاء عداس قال له : ويحك مالك . تقبل يديه ورجليه؟ قال : ما في الأرض خير من هذا الرجل . قال : ويحك إن دينك خير من دينه .

ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً الى مكة حتى إذا كان في جوف الليل قام قائماً يصلي فمر به نفر من الجن وهم سبعة نفر من جن نصيبين راثحين إلى اليمن فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا .

وذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ لما عاد من ثقيف أرسل الى المطعم بن عدي ليجيره حتى يبلغ رسالة ربه فأجاره وأصبح المطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه فدخلوا المسجد ، فقال له أبو جهل : أمجير أم متابع؟ قال : بل مجير . قال : قد أجرنا من أجزت . فدخل النبي ﷺ مكة وأقام بها فلما رآه أبو جهل قال : هذا نبيكم يا عبد مناف . فقال عتبة بن ربيعة : وما ينكر أن يكون منا نبي وملك؟

فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فاتاهم فقال : أما أنت يا عتبة فما حميتَ لله وإنما حميتَ لنفسك وأما أنت يا أبا جهل فوالله لا يأتي عليك غير بعيد حتى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً ، وأما أنتم يا معشر قريش فوالله لا يأتي عليكم غير كثير حتى تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون . فكان الأمر كذلك .

وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب فأتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له « مليح » فدعاهم إلى الله وعرض نفسه عليهم فأبوا عليه ، فأتى كلباً إلى بطن منهم يقال لهم : « بنو عبد الله » فدعاهم إلى الله وعرض نفسه عليهم فلم يقبلوا ما عرض عليهم . ثم إنه أتى بني حنيفة وعرض عليهم نفسه فلم يكن

أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم . ثم أتى بني عامر فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم : أرأيت إن نحن تابعنك فأظهرك الله على من خالفك؟ أ يكون لنا الأمر من بعدك؟

قال الأمرُ إلى الله يضعه حيث يشاء . قال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك .

فلما رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم كبير فأخبروه خبر النبي ﷺ ونسبه فوضع يده على رأسه ثم قال : يا بني عامر هل من تلافٍ والذي نفسي بيده ما تقولها اسماعيليّ قط ^(١) وإنها لحق وأين كان رأيكم عنه . ولم يزل رسول الله ﷺ يعرض نفسه على كل قادم له اسم وشرف ويدعوه إلى الله وكان كلما أتى قبيلة يدعوهم إلى الاسلام تبعه عمه أبولهب فإذا فرغ رسول الله ﷺ من كلامه يقول لهم أبولهب : يا بني فلان إنما يدعوكم هذا إلى أن تسلخوا ^(٢) اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن إلى ما جاء به من الضلالة والبدعة فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

* * *

ذكر أول عرض رسول الله ﷺ نفسه على الأنصار وإسلامهم

فقدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف بطن من الأوس مكة حاجاً ومعتماً وكان يسمى الكامل لجلده، وشعره، ونسبه، وهو القائل :

ألا رب من تدعو صديقاً ولو ترى	مقالته بالغيب ساءك ما يفري
مقالته كالسحر إذ كان شاهداً	وبالغيب ماثور على ثغرة النحر
يسرك باديته وتحت أديمه	نميمة غش تبترى عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم	وما جن بالبغضاء والنظرة الشر
فرشني بخير طالما قد بريتني	فخير الموالي من يرش ولا يبري

فتصدى له رسول الله ﷺ فدعاه إلى الاسلام وقرأ عليه القرآن فلم يبعد منه وقال :

(١) أي ما ادعى النبوة - كاذباً - أحد من بني إسماعيل .

(٢) في الأصول : تستحلوا - بالحاء المهملة ، وصوابه (تسلخوا) بالخاء المعجمة كذا في ابن هشام .

إنّ هذا القول حسن . ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج قتل يوم بُعَاث فكان قومه يقولون : قتل وهو مسلم .

بُعَاث : بالباء الموحّد المضمومة والعين المهملة وهو الصحيح .

وقدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة مع فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فأتاهم النبي ﷺ وقال لهم : هل لكم فيما هو خير لكم مما جئتم له ودعاهم إلى الاسلام وقرأ عليهم القرآن فقال إياس وكان غلاماً حدثاً : هذا والله خير مما جئنا له فضرب وجهه أبو الحيسر بحفنة من البطحاء وقال : دعنا منك فلقد جئنا لغير هذا . فسكت إياس وقام رسول الله ﷺ ولم يلبث إياس أن هلك فسمعه قومه يهلل الله ويكبره حتى مات فما يشكون أنه مات مسلماً .

ذكر بيعة العقبة الأولى وإسلام سعد بن معاذ

فلما أراد الله إظهار دينه وإنجاز وعده خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل فيبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الاسلام وقد كانت يهود معهم ببلادهم وكان هؤلاء أهل أوثان فكانوا إذا كان بينهم شر تقول اليهود : إنّ نبياً يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وثمود . فقال أولئك النفر بعضهم لبعض : هذا والله النبي الذي توعدكم به اليهود ، فأجابوه وصدقوه وقالوا له : إنّ بين قومنا شراً وعسى الله أن يجمعهم بك فإن اجتمعوا عليك فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا عنه وكانوا سبعة نفر^(١) من الخزرج أسعد بن زرارة بن عدس أبو أمامة . وعوف بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء كلاهما من بني النجار ، ورافع بن مالك بن عجلان ، وعامر بن عبد حارثة بن ثعلبة بن غنم كلاهما من بني زريق ، وقطبة بن عامر بن حديدة بن سواد من بني سلمة . (سلمة) هذا بكسر اللام ، وعقبة بن عامر بن نابي من بني غنم ، وجابر بن عبد الله بن رياح من بني عبيدة . (رياح) بكسر الراء والياء المعجمة باثنتين من تحت وبالباء الموحدة . فلما قدموا المدينة ذكروا لهم

(١) في ابن هشام انهم ستة نفر ولم يذكر منهم عقبة بن عامر .

النبي ﷺ ودعوههم إلى الاسلام حتى فشا فيهم حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوه بيعة النساء، وهم أسعد بن زرارة، وعوف، ومعاذ ابنا الحارث وهما ابنا عفراء، ورافع بن مالك بن عجلان، وذكوان بن عبد قيس من بني زريق، وعبادة بن الصامت من بني عوف بن الخزرج، ويزيد بن ثعلبة بن خزيمة أبو عبد الرحمن من بلى حليف لهم، وعباس بن عبادة بن نضلة من بني سالم؛ وعقبة بن عامر بن نابي، وقطبة بن عامر بن حديدة وهؤلاء من الخزرج، وشهد بها من الأوس أبو الهيثم بن التيهان^(١) حليف لبني عبد الأشهل وعويم بن ساعدة حليف لهم فانصرفوا عنه وبعث ﷺ معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام فنزل بالمدينة على أسعد بن زرارة فخرج به أسعد بن زرارة فجلس في دار بني ظفر واجتمع عليهما رجال ممن أسلم فسمع به سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما سيدا بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك فقال سعد لأسيد: انطلق إلى هذين اللذين أتيا دارنا فأنهما فإنه لولا أسعد بن زرارة وهو ابن خالتي كفيتك ذلك فأخذ أسيد حربته ثم أقبل عليهما فقال: ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا أعتزلا عنا؟

فقال مصعب: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كفّ عنك ما تكره. فقال: أنصفت. ثم جلس إليهما فكلمه مصعب بالاسلام فقال: ما أحسن هذا وأجله كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل وتطهر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين.

ففعل ذلك وأسلم ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن تبعكما لم يتخلف عنكما أحد من قومه وسأرسله إليكما سعد بن معاذ ثم انصرف إلى سعد وقومه فلما نظر إليه سعد

(١) واسمه مالك، واسم أبيه التيهان أيضاً مالك بن عتيك وأورد السهيلي نسبة من الأنصار ولكن شعر ابن رواحة في مدح أبي الهيثم لما أضاف رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وذبح لحم عناقاً وأتاهم بقنو من رطب يدل على أنه غير أنصاري:

لم أر كالإسلام عزاً لأهله ولا مثل أضياف الأراشي معشراً
قال السهيلي أيضاً: فجعله أراشياً كما ترى والأراشي منسوب إلى أراشة في خزاعة أو إلى أراش بن لحيان بن الغوث والله أعلم.

وقيل إنه من بني أراشة فريق من بلى (م).

قال : أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم .

فقال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمتُ الرجلين والله ما رأيت بهما بأساً وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه فقام سعد مغضباً مبادراً لخوفه مما ذكر له ثم خرج إليهما فلما رآهما مطمئنين عرف ما أراد أسيد فوقف عليهما وقال لأسعد بن زرارة : لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني . فقال له مصعب : أوتقعد فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟

فجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرأ عليه القرآن فقال لهما : كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين ؟ فقالا له ما قالاً لأسيد فأسلم وتطهر ثم عاد إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟

قالوا : سيدنا وأفضلنا . قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى في دار عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة ورجع مصعب إلى منزل أسعد ولم يزل يدعو إلى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما كان من بني أمية بن زيد ، ووائل ، وواقف فإنهم أطاعوا أبا قيس بن الأسلت فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر النبي ﷺ ومضت بدر . وأحد . والخندق وعاد مصعب إلى مكة . أسيد ، بضم الهمزة وفتح السين . (وحضير) بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة وتسكين الياء تحتها نقطتان وفي آخره راء .

ذكر بيعة العقبة الثانية

لما فشا الاسلام في الأنصار اتفق جماعة منهم على المسير إلى النبي ﷺ مستخفين لا يشعر بهم أحد فساروا إلى مكة في الموسم في ذي الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا به وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة فلما كان الليل خرجوا بعد مضي ثلثه مستخفين يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلاً معهم امرأتان ، نسيبة بنت كعب أم عمارة ، وأسماء أم عمرو بن عدي من بني سلمة وجاءهم رسول الله ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو كافر أحب أن يتوثق لابن أخيه فكان العباس أول من تكلم فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب تسمى الخزرج والأوس به - إن محمداً منا حيث

قد علمتم في عز ومنعة وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم فإن كنتم ترون أنكم تفون بما دعوتموه إليه ومانعوه فأنتم وذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة.

فقال الأنصار: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت.

فتكلم وتلا القرآن ورغب في الاسلام ثم قال: تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم.

ثم أخذ البراء بن معرور^(١) بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه ذرارينا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب.

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حبلاً وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيť إن أظهرك الله عز وجل أن ترجع إلى قومك وتَدْعُنَا؟

فتبسم رسول الله ﷺ وقال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنتم مني وأنا منكم، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم.

وقال رسول الله ﷺ: أخرجوا إليّ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم. فأخرجوهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وقال لهم العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري^(٢):

يا معشر الخزرج هل تدرون علام تباعون هذا الرجل؟ تباعونه على حرب

(١) هو البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد الأنصاري الخزرجي السلمي أبو بشر. كان أحد النقباء وأول من بايع رسول الله ﷺ ليلة العقبة الأولى - في قول - وأول من استقبل القبلة - وأوصى بثلاث ماله وتوفي أول الإسلام على عهد النبي ﷺ.

(٢) هو عباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج بن ثعلبة، الأنصاري الخزرجي.

شهد بيعة العقبة، وقيل: شهد العقبتين. خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فقام معه حتى هاجر إلى المدينة فكان أنصارياً مهاجرياً. أخى النبي بينه وبين عثمان بن مظعون وقتل يوم أحد شهيداً.

الأحمر والأسود فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله؟ قال الجنة. قالوا: ابسط يدك. فبايعوه. وما قال العباس بن عباد ذلك إلا ليشد العقد له عليهم. وقيل: بل قاله ليؤخر الأمر ليحضر عبد الله بن أبي بن سلول فيكون أقوى لأمر القوم.

فكان أول من بايعه أبو أمامة أسعد بن زُرارة^(١)، وقيل: أبو الهيثم بن التيهان^(٢)، وقيل البراء بن معرور ثم بايع القوم فبايعوا. فلما بايعوه صرخ الشيطان من رأس العقبة: يا أهل الجبابب هل لكم في مُذَمَّم^(٣) والصبأة معه قد اجتمعوا على حربكم؟

فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأفرغن لك أي عَدُوَّ الله. ثم قال: ارفضوا إلى رحالكم. فقال له العباس بن عباد: والذي بعثك بالحق نبياً لئن شئت لنميلن غداً على أهل منى بأسيا فنا. فقال: لم نؤمر بذلك. فرجعوا فلما أصبحوا جاءهم جلة قريش فقالوا: قد بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه وتبايعونه على حربنا وإنه والله ما من حي من أحياء العرب أبغض إلينا أن تنشب بيننا وبينهم الحرب منكم فحلف من هناك من مشركي الأنصار ما كان من هذا شيء فلما سار الأنصار من مكة قال البراء بن معرور: يا معشر الخزرج قد رأيت أن لا أستدبر الكعبة في صلاتي فقالوا له: إن رسول الله ﷺ

(١) هو أسعد بن زُرارة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، ويقال له أسعد الخير، أبو أمامة.

هو أول الأنصار إسلاماً، وكان سبياً في إسلام أهل المدينة. شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة وبايع فيها، وكان نقيب بني النجار. هو أول من صلى الجمعة بالمدينة في هزيمة من حرة بني بياضة. مات في السنة الأولى من الهجرة في شوال قبل بدر.

(٢) هو أبو الهيثم مالك بن التيهان بن مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم الأنصاري الأوسي. شهد العقبة، وكان أحد النقباء. شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ومات سنة ٢٠ أو ٢١، وقيل أنه أدرك صفين وشهدا مع علي وقتل بها وهو الأكثر.

(٣) يريد بمُذَمَّم: مُحَمَّداً - عكس اسمه لعنه الله.

يستقبل الشام فنحن لا نخالفه فكان يصلي إلى الكعبة فلما قدم مكة سأل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: لقد كنت على قبة لو صبرت عليها فرجع إلى قبة رسول الله ﷺ، فلما بايعوه ورجعوا إلى المدينة فكان (١) قدومهم في ذي الحجة فأقام رسول الله ﷺ بمكة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وهاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول وقدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت منه.

وقد كانت قريش لما بلغهم إسلام من أسلم من الأنصار اشتدوا على من بمكة من المسلمين وحرصوا على أن يفتنوهم فأصابهم جهد شديد وهي الفتنة الآخرة وأما الأولى فكانت قبل هجرة الحبشة وكانت البيعة في هذه العقبة على غير الشروط في العقبة الأولى فإن الأولى كانت على بيعة النساء وهذه البيعة كان على حرب الأحمر والأسود.

ثم أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة فكان أول من قدمها أبو سلمة (٢) ابن عبد الأسد وكانت هجرته قبل البيعة بسنة، ثم هاجر بعده عامر بن ربيعة (٣) حليف بني عدي مع امرأته ليلى ابنة أبي حثمة، ثم عبدالله بن جحش (٤) ومعه أخوه أبو أحمد وجميع أهله، فاغلقت دارهم وتتابع الصحابة، ثم هاجر عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة (٥) فنزلا في بني عمرو بن عوف، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن

(١) لا لزوم للقاء هنا، وهي موجودة في الأصول (م).

(٢) أبو سلمة بن عبد الأسد هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، اسمه عبدالله بن عبد الأسد، ابن عمه النبي ﷺ. كان قديم الإسلام. هاجر إلى الحبشة معه امرأته أم سلمة ثم عاد وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وجرح بأحد جرحاً اندمل ثم انتقض فمات منه في جمادى الآخرة سنة ٣ هـ.

(٣) هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد، أبو عبدالله، حليف الخطاب بن نفيل العدوي.

أسلم قديماً بمكة، وهاجر إلى الحبشة هو وامرأته، وعاد إلى مكة ثم هاجر إلى المدينة أيضاً. شهد بدرًا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ توفي سنة ٣٢ هـ.

(٤) هو عبدالله بن جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مُرة بن كثير بن غنم بن دودوان، أبو محمد الأسدي، ابن عمه رسول الله ﷺ وحليف بني عبد شمس.

أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر الهجرتين إلى أرض الحبشة مع أخيه أبي أحمد وعبيدالله وأختهم زينب بنت جحش. وهاجر إلى المدينة، شهد بدرًا وقتل يوم أحد.

(٥) هو عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. كان إسلامه قديماً قبل أن يدخل =

هشام^(١) إلى عياش بن أبي ربيعة بالمدينة وكان أخاهما لأمهما فقالا له : إن أمك قد نذرت أنها لا تستظل ولا تمتشط فرقاً لها وعاد وتتابع الصحابة بالهجرة إلى أن هاجر رسول الله ﷺ .

= النبي ﷺ دار الأرقم ، وهاجر إلى الحبشة ، ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة هو وعمر بن الخطاب . قتل يوم اليرموك ، وقيل ؛ مات بمكة .

(١) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أبو عبد الرحمن القرشي ، المخزومي . شهد بدرًا كافرًا وأسلم يوم الفتح فحسن إسلامه ، وشهد حنينًا ، وخرج إلى الشام مجاهدًا في خلافة عمر حتى استشهد يوم اليرموك سنة ١٥ .

الفهرس

٥٤٤	نسب رسول الله ﷺ وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده
٥٦٥	ذكر القواطم والعواتك
٥٦٩	ذكر نكاح النبي ﷺ خديجة
٥٧٠	ذكر حلف الفضول
٥٧١	ذكر هدم قريش الكعبة وبنائها
٥٧٤	ذكر الوقت الذي أرسل فيه رسول الله ﷺ
٥٧٥	ذكر ابتداء الوحي إلى النبي ﷺ
٥٧٨	ذكر المعراج برسول الله ﷺ
٥٨٢	ذكر الاختلاف في أول من أسلم
٥٨٤	ذكر أمر الله تعالى نبيه ﷺ بإظهار دعوته
٥٨٨	ذكر تعذيب المستضعفين من المسلمين

- ٥٩٢ ذكر المستهزئين ومن كان أشد الأذى للنبي ﷺ
- ٥٩٦ ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة
- ٥٩٨ ذكر إرسال قريش إلى النجاشي في طلب المهاجرين
- ٦٠١ ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب
- ٦٠١ ذكر إسلام عمر بن الخطاب
- ٦٠٤ ذكر أمر الصحيفة
- ٦٠٦ ذكر وفاة أبي طالب وخديجة وعرض رسول الله ﷺ نفسه على العرب
- ٦٠٩ ذكر أول عرض رسول الله ﷺ نفسه على الأنصار وإسلامهم
- ٦١٠ ذكر بيعة العقبة الأولى وإسلام سعد بن معاذ
- ٦١٢ ذكر بيعة العقبة الثانية

الكامل في التلخيص

للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم
محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
المعروف "بابن الأثير" الجزري الملقب بعز الدين
المتوفى سنة "٦٣٠" هـ

من سنة ١ لغاية سنة ٢٩ للهجرة

تحقيق
أبي الفداء عبد الله القاسبي

المجلد الثاني

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر هجرة النبي ﷺ

لما تتابع أصحاب رسول الله ﷺ بالهجرة أقام هو بمكة ينتظر ما يؤمر به من ذلك وتخلف معه علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق، فلما رأت قريش ذلك حذروا خروج رسول الله ﷺ فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وتشاوروا فيها فدخل معهم إبليس في صورة شيخ وقال: أنا من أهل نجد سمعتُ بخبركم فحضرتُ وعسى أن لا تعدموا مني رأياً.

وكانوا عتبة، وشيبة. وأبا سفيان، وطعيمة بن عدي وحبیب بن مطعم. والحرث بن عامر، والنضر بن الحارث، وأبا البختري بن هشام وربيعه بن الأسود، وحكيم بن حزام، وأبا جهل. ونُبَيْهَا، ومنبهاً ابني الحجاج، وأميه بن خلف وغيرهم فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما كان وما نأمنه على الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأياً.

فقال بعضهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب الشعراء قبله، فقال النجدي: ما هذا لكم برأي لو حبستموه يخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فلا وشكوا أن يشبوا عليكم فينزعوهم من أيديكم، فقال آخر: نخرجه وننفية من بلدنا ولا نبالي أين وقع إذا غاب عنا، فقال النجدي: ألم تروا حُسن حديثه وحلاوة منطقه؟ لو فعلتم ذلك لحلَّ على حي من أحياء العرب فيغلب عليهم بحلاوة منطقه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم ويأخذ أركانكم من أيديكم، فقال أبو جهل: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى نسيباً ونعطي كل فتى منهم سيفاً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه،

فإذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ورضوا منا بالعقل^(١)، فقال النجدي: القول ما قال الرجل هذا الرأي. فتفرقوا على ذلك.

فأتى جبريل النبي ﷺ، فقال: لا تَبِتُ الليلة على فراشك، فلما كان العتمة اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: لعلي بن أبي طالب نَمَ على فراشي واتشح بيردي الأخضر فثم فيه فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه وأمره أن يؤدي ما عنده من وديعة وأمانة وغير ذلك وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب فجعله على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من ﴿يَس وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ إلى قوله ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٢) ثم انصرف فلم يروه فأتاهم آت، فقال: ما تنتظرون؟

قالوا: محمداً. قال: خيكم الله خرج عليكم ولم يترك أحداً منك إلا جعل على رأسه التراب وانطلق لحاجته.

فوضعوا أيديهم على رؤوسهم فرأوا التراب وجعلوا ينظرون فيرون علياً نائماً وعليه بُرْدُ النبي ﷺ فيقولون: إِنَّ محمداً لنائم فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا^(٣)، فقام علي عن الفراش فعرفوه وأنزل الله في ذلك ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرِجُوكَ﴾^(٤) الآية، وسأل أولئك الرهط علياً عن النبي ﷺ، فقال: لا أدري أمرتموه بالخروج فخرج.

فضربوه وأخرجوه إلى المسجد فحبسوه ساعة ثم تركوه ونجى الله رسوله من مكرهم وأمره بالهجرة.

(١) أي الدية .

(٢) يس : ١ : ٩ .

(٣) وسبب المانع لهم من التقحم عليه في الدار مع قصر الجدار وهم إنما جاؤوا لقتله ما ذكر في الخبر أنهم همُّوا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار ، فقال بعضهم لبعض والله : إنها للسبة في العرب أن يتحدث عنا إنما تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا ، فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج أهد . من السهيلي (م) .

(٤) الأنفال : ٢٠ .

وقام عليٌّ يؤدي أمانة النبي ﷺ ويفعل ما أمره .

وقالت عائشة : كان رسول الله ﷺ لا يخطئه أحد طرفي النهار أن يأتي بيت أبي بكر إما بكرة وإما عشية حتى كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله بالهجرة أتانا بالهاجرة ، فلما رآه أبو بكر ، قال : ما جاء هذه الساعة إلا لأمر حدث ، فلما دخل جلس على السرير وقال : أخرج من عندك . قال : يا رسول الله إنما هما ابتائي وما ذاك ؟ فذاك أبي وأمي . قال : إن الله قد أذن لي في الخروج ، فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله . قال : الصحبة .

فبكى أبو بكر من الفرح فاستأجرا عبد الله بن أريقط من بني الدليل بن بكر وكان مشركاً يدلّهما على الطريق ، ولم يعلم بخروج رسول الله ﷺ غير أبي بكر وعلي وآل أبي بكر فأما علي فأمره رسول الله ﷺ أن يتخلف عنه حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده ثم يلحقه . وخرجا من خَوْخَة^(١) في بيت أبي بكر في ظهر بيته ثم عمدا إلى غار ثور^(٢) فدخلاه وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما بمكة نهاره ثم يأتيهما ليلاً وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره ثم يأتيهما بها ليلاً ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بطعامهما مساء فأقاما في الغار ثلاثاً وجعلت قريش مائة ناقة لمن رده عليهما ، وكان عبد الله بن أبي بكر إذا غدا من عندهما أتبع أثره بالغنم حتى يعفي أثره ، فلما مضت الثلاث وسكن الناس أتاها دليلهما ببعيريهما فأخذ رسول الله ﷺ أحدهما بالثمن فركبه وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بسفرتيهما^(٣) ونسيت أن تجعل لهما عصاماً فحلت نطاقيهما^(٤) فجعلته عصاماً وعلقت السفارة به وكان يقال لأسماء «ذات النطاقين» لذلك .

ثم ركبا وسارا وأردف أبو بكر موله عامر بن فهيرة يخدمهما في الطريق فساروا ليلتهم ومن الغد إلى الظهر ورأوا صخرة طويلة فسوّى أبو بكر عندها مكاناً ليقيل فيه

(١) الخَوْخَة : كوة في البيت تؤدي إليه الضوء . والخَوْخَة - أيضاً - : باب صغير وسط باب كبير نُصِبَ حاجزاً بين دارين .

(٢) غار ثور : غار في جبل ثور وهو جبل بمكة .

(٣) السفارة : جراب يوضع فيه طعام المسافرين والعصام : الرباط .

(٤) النَّطَاق : حزام يشد به الوسط .

رسول الله ﷺ وليستظل بظلها فنام رسول الله ﷺ وحرسه أبو بكر حتى رحلوا بعد ما زالت الشمس وكانت قريش قد جعلت لمن يأتي بالنبي ﷺ دية فتبعهم سُرَاقَة بن مالك بن جُعْشُم المدلجي^(١) فلحقهم وهم في أرضٍ صلبة فقال أبو بكر: يا رسول الله أدركنا الطلب.

فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٢) ودعا عليه رسول الله ﷺ فأرتطمت^(٣) فرسه إلى بطنها وثار من تحتها مثل الدخان فقال: ادع لي يا محمد ليخلصني الله ولك علي أن أرد عنك الطلب.

فدعا له فتخلص فعاد يتبعهم، فدعا عليه الثانية فساخت قوائم فرسه في الأرض أشد من الأولى فقال: يا محمد قد علمت أن هذا من دعائك علي فادع لي ولك عهد الله أن أرد عنك الطلب.

فدعا له فخلص وقرب من النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله خذ سهماً من كنانتي وإن إبلي بمكان كذا فخذ منها ما أحببت. فقال: لا حاجة لي في إبلك.

فلما أراد أن يعود عنه قال له رسول الله ﷺ كيف بك يا سُرَاقَة إذا سُورَتْ بسواري كِسْرَى قال: كسرى بن هرمز، قال: نعم. فعاد سُرَاقَة فكان لا يلقاه أحد يريد الطلب إلا قال: كفيتم ما ههنا ولا يلقي أحداً إلا رده. قالت: أسماء بنت أبي بكر: لما هاجر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبي بكر فقالوا: أين أبوك؟ قلت: لا أدري. فرفع أبو جهل يده فلطم خدي لطمة طرح قُرْطِي^(٤) وكان فاحشاً خبيثاً.

ومكثنا ملياً لا ندري أين توجه رسول الله ﷺ؟ حتى أتى رجل من الجن من أسفل مكة والناس يتبعونه يسمعون صوته ولا يرون شخصه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أمّ معبد

(١) هو سُرَاقَة بن مالك بن جُعْشُم بن مالك بن عمرو الكناني المدلجي، أبو سفيان. مات سنة ٢٤ هـ أول خلافة عثمان، وقيل بعد عثمان.

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) ارتطم: احتبس. (القاموس).

(٤) القُرْط. ما يعلق في شحمة الأذن من الحلي.

هما نزلا بالهدى واغتديا به فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيالقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجاري وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدهما للمؤمنين بمرصد^(١)

قالت: فلما سمعنا قوله عرفنا أن وجهه كان إلى المدينة وقدم بهما دليلهما^(٢) قباء فنزل على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين حين كادت الشمس تعتدل فنزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهمد أخى بني عمرو بن عوف، وقيل نزل على سعد بن خيثمة وكان عزباً وكان ينزل عنده العزاب من أصحاب النبي ﷺ: وكان يقال لبيته: بيت العزاب والله أعلم.

ونزل أبو بكر على خبيب بن أساف بالسُّنح^(٣) وقيل: نزل على خارجة بن زيد أخى بني الحارث بن الخزرج. وأما علي فإنه لما فرغ من الذي أمره به رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة. فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة، وقد تفتت قدماه، فقال النبي ﷺ ادعوا لي علياً قيل: لا يقدر أن يمشي فأتاه النبي ﷺ واعتنقه وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرها على قدميه فلم يشتكهما بعد حتى قُتل، ونزل بالمدينة على امرأة لا زوج لها^(٤). فرأى إنساناً يأتيها كل ليلة ويعطيها شيئاً فاستراب بها

(١) وأورد السهيلي زيادة وهي:

سلوا أختكم عن شاتكم وإنائها فإتكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاهها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنأ لديها بحالب يرددها في مصدر ثم مورد
وقد جاوب على هذا الصوت بعد ذلك حسان بقصيدته التي أولها:

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم وقد سر من يسري إليهم ويغتدي
(٢) وقد ذكر ابن هشام في سيرته أنه سلك بهم طريق أسفل مكة، ثم مضى بهم على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان، ثم سلكوا على أسفل أمج، ثم عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخزار، ثم سلك بهما ثنية المرة، ثم سلك بهما القفا، ثم أجاز بهما مدلجة لفف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مرجح من ذي العضوين ثم بطن ذي كشر، ثم أخذ بهما على الحد أحد، ثم على الأجرد، ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة نعهن، ثم على العباديد، ثم الفاجة، ثم هبط بهما العرج، ثم ثنية العائر حتى هبط بهما بطن ريم، حتى قدما قباء.

(٣) السُّنح: إحدى محال المدينة كان بها منزل أبي بكر رضي الله عنه وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي المدينة.

(٤) الذي في ابن هشام أن المرأة كانت في قباء وأن علياً نزل على كلثوم بن هدم الأوسي وكان شيخاً كبيراً أول من مات من مسلمي الأنصار.

فسألها عنه فقالت: هو سهل بن حنيف^(١) قد علم أنني امرأة لا زوج لي فهو يكسر أصنام قومه ويحملها إليّ ويقول احتطبي بهذه، فكان علي يذكر ذلك عن سهل بن حنيف بعد موته.

وأقام رسول الله ﷺ بقباء^(٢) يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجدهم، ثم خرج يوم الجمعة، وقيل: أقام عندهم أكثر من ذلك والله أعلم. وأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي ببطن الوادي، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.

قال ابن عباس: ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، واستنبيء يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين؛ وهاجر يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين، واختلف العلماء في مقامه بمكة بعد أن أوحى إليه، فقال أنس وابن عباس رضي الله عنهم من رواية أبي سلمة عنه وعائشة: أنه أقام بمكة عشر سنين ومثلهم قال من التابعين ابن المسيب والحسن وعمرو بن دينار، وقيل: أقام ثلاث عشرة سنة قاله ابن عباس من رواية أبي حمزة وعكرمة أيضاً عنه ولعل الذي قال أقام عشر سنين أراد بعد إظهار الدعوة فإنه بقي سنين يسيرة، ومما يقوي هذا القول قول صرمة بن أبي أنس الأنصاري:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً مواتياً^(٣)

فهذا يدل على مقامه ثلاث عشرة سنة، لأنه قد زاد على عشر سنين، فلو كان خمس عشرة لصح الوزن وكذلك ست عشرة وسبع عشرة، وحيث لم يستقم الوزن بأن يقول ثلاث عشرة قال بضع عشرة ولم ينقل في مقام زيادة على عشر سنين إلا ثلاث عشرة وخمس عشرة، وقد روي عن قتادة قول غريب جداً وذلك أنه قال: نزل القرآن

(١) هو سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة الأنصاري الأوسي، أبو سعد. شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وثبت يوم أحد معه ﷺ وكان بايعه يومئذ على الموت وكان يرمى بالنبل عن النبي ﷺ، وشهد مع علي صفين وولاه بلاد فارس، ومات بالكوفة سنة ٣٨ هـ.

(٢) قباء: قرية قرب المدينة على ميلين منها - وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، وفيها مسجد التقوى.

(٣) ثوى: أقام. مواتياً: موافقاً.

على النبي ﷺ بمكة ثمانين سنين ولم يوافقته غيره^(١).

ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة

فمن ذلك تجميعه ﷺ بأصحابه الجمعة في اليوم الذي نزل فيه من قباء في بني سالم في بطن واد لهم: وهي أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ في الاسلام وخطبهم وهي أول خطبة، وكان رجل من قُباء يريد المدينة فركب ناقته وأرخى زمامها فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا قالوا: هلم يا رسول الله إلى العدد والعدة والمنعة فيقول: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده وهو يومئذ مَرَبْدٌ^(٢) لغلّامين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء وهما سهل وسهيل ابنا عمرو من بني النجار، فلما بركت لم ينزل عنها ثم وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به، فالتفت خلفها ثم رجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ووضعت جرانها^(٣) فنزل عنها رسول الله ﷺ واحتمل أبو أيوب الأنصاري رحله وسأل رسول الله ﷺ عن المربد فقال معاذ بن عفراء هو ليتين لي وسأرضيهما من ثمنه فأمر به رسول الله ﷺ أن يبنى مسجداً، وقام عند أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه.

وقيل: إن موضع المسجد كان لبني النجار فيه نخل وحرث وقبور المشركين فقال رسول الله ﷺ: ثامنوني به. فقالوا: لا نبغي به إلا ما عند الله.

فأمر به فبنى مسجده وكان قبله يصلي حيث أدركته الصلاة وبناه هو والمهاجرون والأنصار وهو الصحيح. وفيها بني مسجد قُباء. وفيها أيضاً توفي كلثوم بن الهدم، وتوفي بعده أسعد بن زُرارة وكان نقيب بني النجار فاجتمع بنو النجار وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يقيم لهم نقيباً فقال لهم: أنتم إخواني^(٤) وأنا نقيبكم. فكان فضيلة لهم. وفيها مات أبو أحيحة بالطائف، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمي بمكة مشركين. وفيها بنى النبي ﷺ بعائشة بعد مقدمه المدينة بثمانية أشهر؛ وقيل: بسبعة أشهر في ذي

(١) لعله حذف الممدد الطويلة المتقطعة فإنّ الوحي انقطع ثلاث سنين فإذا لاحظنا ذلك نجد كثيراً وافقوه لربما أن المؤلف أحدهم (م).

(٢) المَرَبْد: موقف الإبل ومَحْبِسها، وهو أيضاً: ما يجفف فيه التمر. جمعه: مَرَبِد.

(٣) جرانها: عنقها.

(٤) كذا في المطبوعة، ولعلها (أخوالي).

القعدة وقيل : في شوال وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهي ابنة ست سنين ، وقيل : ابنة سبع سنين . وفيها هاجرت سودة بنت زمعة زوج رسول الله ﷺ وبناته ما عدا زينب ، وهاجر أيضاً عيال أبي بكر ومعهم ابنه عبدالله وطلحة بن عبيدالله . وفيها زيد في صلاة العصر ركعتان بعد مقدمه المدينة بشهر . وفيها ولد عبدالله بن الزبير وقيل : في السنة الثانية في شوال ، وكان أول مولود للمهاجرين بالمدينة ، وكان النعمان بن بشير أول مولود للأنصار بعد الهجرة وقيل : إن المختار بن أبي عبيد ، وزياد بن أبيه ولدا فيها . وفيها على رأس سبعة أشهر عقد رسول الله ﷺ لعمه حمزة لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليتعرضوا لغير قريش فلقي أبا جهل في ثلاثمائة رجل فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني ، وكان يحمل اللواء أبو مرثد وهو أول لواء عقده . وفيها أيضاً عقد لواء لعبدة بن الحارث بن المطلب وكان أبيض يحمله مسطح بن أثاثة فالتقى هو والمشركون فكان بينهم الرمي دون المسايقة ، وكان سعد بن أبي وقاص أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وكان المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان مسلمين بمكة فخرجوا مع المشركين يتوصلان بذلك فلما لقيهم المسلمون إنحاز إليهم . وقال بعضهم : كان لواء أبي عبدة أول لواء عقده وإنما اشتبه ذلك لقرب بعضها ببعض ، وكان على المشركين أبو سفيان بن حرب ، وقيل : مكرز بن حفص بن الأخيف ، وقيل عكرمة بن أبي جهل .

و (الأخيف) بالخاء المعجمة والياء المثناة من تحتها .

وفيها عقد لواء لسعد بن أبي وقاص وسيّره إلى الأبواء^(١) ، وكان يحمل اللواء المقداد بن الأسود وكان مسيره في ذي القعدة وجميع من معه من المهاجرين فلم يلق حرباً .

جعل الواقدي هذه السرايا جميعها في السنة الأولى من الهجرة ، وجعلها ابن إسحاق في السنة الثانية فقال : على رأس اثني عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة خرج غازياً واستخلف على المدينة سعد بن عباد فبلغ ودان^(٢) يريد قريشاً وبني

(١) الأبواء : قرية بين مكة والمدينة .

(٢) قرية جامعة بين مكة والمدينة في نواحي الفرع ، بينها وبين الأبواء ثمانية أميال قريب من الجحفة لضمرة وغفار وكنانة .

ضمرة من كنانة وهي غزاة الأبواء بينهما ستة أميال فوادعته فيها بنو ضمرة ورئيسهم مخشى بن عمرو ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً.

وذكر ابن إسحاق بعد هذه الغزوة غزوة عُبيدة بن الحارث ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب. وفيها كان غزوة بوطه^(١)، خرج رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه في شهر ربيع الآخر يعني سنة اثنتين يريد قريشاً حتى بلغ بواط من ناحية رضوى وكان في غير قريش أمية بن خلف الجمحي في مائة رجل ومعهم ألفان وخمسمائة بعير فرجع ولم يلق كيداً، وكان يحمل لواء رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ^(٢).

(بواط) بضم الباء الموحدة وبالطاء المهملة. وفيها غزا رسول الله ﷺ غزوة العشيرة من ينبع في جمادى الأولى يريد قريشاً حين ساروا إلى الشام فلما وصل العشيرة وادع بني مدلج وحلفاءهم من ضمرة ورجع ولم يلق كيداً، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وكان يحمل لواءه حمزة. وفي هذه الغزوة كنى النبي ﷺ علياً أبا تراب في قول بعضهم. وفيها أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة^(٣) فخرج رسول الله ﷺ حتى بلغ وادياً يقال له سفوان من ناحية بدر وفاته كرز وكان لواؤه مع علي واستخلف على المدينة زيد^(٤) بن حارثة^(٥). وفيها بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص في سرية ثمانية رهط فرجع ولم يلق كيداً. وفيها جاء أبو قيس بن الأسلت إلى رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فقال: ما أحسن ما تدعو إليه سأنظر في أمري ثم أعود فلقه عبد الله بن أبي المنافق فقال كرهت قتال الخزرج فقال أبو قيس: لا أسلم إلى سنة فمات في ذي القعدة.

(١) بواط : جبال جُهينة على أبراد من المدينة .

(٢) انظر في الغزوة : سيرة ابن هشام ٢١/٣ - عيون الأثر لابن سيد الناس ٢٢٦/١ .

(٣) أي : حواشيها .

(٤) في الأصول : يزيد بن حارثة - وهو غلط صححناه من سيرة ابن هشام ، والحلية ، وتسمى هذه الغزوة بدر الصغرى ، أو غزوة سفوان (م) .

(٥) انظر في الغزوة : سيرة ابن هشام ٢١/٣ - عيون الأثر ٢٢٦/١ : ٢٢٧ .

ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة

وفي هذه السنة غزا رسول الله ﷺ في قول بعض أهل السير غزوة الأبواء، وقيل : ودان وبينهما ستة أميال واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة سعد بن عباد وكان لواؤه أبيض مع حمزة بن عبد المطلب وقد تقدم ذكرها . وفيها زوج علي بن أبي طالب فاطمة في صفر .

ذكر سرية عبدالله بن جحش

أمر رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح أن يتجهز للغزو فتجهز فلما أراد المسير بكى صباة إلى رسول الله ﷺ فبعث مكانه عبدالله بن جحش في جمادى الآخرة معه ثمانية رهط من المهاجرين ، وقيل : اثنا عشر رجلاً وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يكره أحداً من أصحابه ففعل ذلك ثم قرأ الكتاب وفيه يأمره بنزول نخلة بين مكة والطائف فيرصد قريشاً ويعلم أخبارهم فأعلم أصحابه فساروا معه وأضل سعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان بعيراً لهما يتعقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبدالله ونزل بنخلة فمرت غير لقريش تحمل زيباً وغيره فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبدالله بن المغيرة وأخوه نوفل والحكم بن كيسان فأشرف لهم عكاشة بن محصن وقد حلق رأسه فلما رآوه قالوا : عمار لا بأس عليكم - وذلك آخر يوم من رجب - فرمى واقد بن عبدالله التيمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان والحكم وهرب نوفل وغنم المسلمون ما معهم ، فقال عبدالله بن جحش : إن لرسول الله ﷺ خمس ما غنمتم وذلك قبل أن يفرض الخمس ، وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون وأول خمس في الإسلام ، وأقبل عبدالله بن جحش وأصحابه بالغير والأسرى إلى المدينة .

فلما قدموا قال لهم رسول الله ﷺ : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام؟! فوقف العير والأسيرين فسقط في أيديهم وعنفهم المسلمون، وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام.

وقالت اليهود: تفائل بذلك على رسول الله ﷺ عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمر وعمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب، وواقد وقدت الحرب، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾^(١) الآية فلما نزل القرآن وفرج الله عن المسلمين قبض رسول الله ﷺ العير وكانت أول غنيمة أصابوها وفدى رسول الله ﷺ الأسيرين فأما الحكم فأقام مع رسول الله ﷺ حتى قُتل يوم بئر معونة، وقيل كان قتلهم عمرو بن الحضرمي وأخذ العير آخر يوم من الجمادى وأول ليلة من رجب.

وفيها صُرِفَت القبلة من الشام إلى الكعبة، وكان أول ما فرضت القبلة إلى بيت المقدس والنبي ﷺ بمكة وكان يحب استقبال الكعبة وكان يصلي بمكة ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه ذلك وكان يؤثر أن يصرف إلى الكعبة فأمره الله أن يستقبل الكعبة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من قدومه المدينة، وقيل: على رأس ستة عشر شهراً في صلاة الظهر. وفيها أيضاً في شعبان فرض صوم شهر رمضان وكان لما قدم المدينة رأى اليهود تصوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان لم يأمرهم بصوم عاشوراء ولم ينههم. وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر قبل الفطر بيوم أو يومين. وفيها خرج رسول الله ﷺ إلى المصلى فصلى بهم صلاة العيد وكان ذلك أول خروجه خرجها وحملت بين يديه العنزة^(٢) وكانت للزبير وهبها له النجاشي وهي اليوم للمؤذنين في المدينة.

(١) البقرة : ٢١٧ .

(٢) العنزة : عصا في رأسها سنان الرمح قدر نصف الرمح .

ذكر غزوة بدر الكبرى

وفي السنة الثانية كانت وقعة بدر الكبرى في شهر رمضان في سابع عشرة، وقيل :
تاسع عشرة وكانت يوم الجمعة .

وكان سببها قتل عمرو بن الحضرمي وإقبال أبي سفيان بن حرب في غير لقريش
عظيمة من الشام وفيها أموال كثيرة ومعها ثلاثون رجلاً أو أربعون، وقيل : قريباً من
سبعين رجلاً من قريش منهم مخزومة بن نوفل الزهري، وعمرو بن العاص فلما سمع
بهم رسول الله ﷺ ندب المسلمين إليهم وقال : هذه غير قريش فيها أموالهم فأخرجوا
إليها لعل الله أن ينفلكموها، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك لأنهم
لن^(١) يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي حرباً، وكان أبو سفيان قد سمع أن النبي ﷺ يريد
فحذر، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة يستنفر قريشاً ويخبرهم الخبر
فخرج ضمضم إلى مكة .

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا
أفرعتها فقصتها على أخيها العباس واستكتمته خبرها قالت : رأيت راكباً على بعير له
واقفاً بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته أن انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث قالت :
فأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد فمثل بعيره على الكعبة ثم صرخ مثلها ثم
مثل بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة عظيمة وأرسلها فلما كانت
بأسفل الوادي ارفضت فما بقي بيت من مكة إلا دخل فلقة منها؛ فخرج العباس فلقي
الوليد بن عتبة بن ربيعة وكان صديقه فذكرها له واستكتمه ذلك فذكرها الوليد لأبيه عتبة
ففشا الخبر فلقي أبو جهل العباس فقال له : يا أبا الفضل أقبل إلينا .

(١) كذا في المطبوعة . ولعلها : لم .

قال : فلما فرغتُ من طوافي أقبلت إليه فقال لي : متى حدثت فيكم هذه النبوة؟

وذكر رؤيا عاتكة ، ثم قال : ما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم فستربص بكم هذه الثلاث فإن يكن حقاً وإلا كتبنا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب . قال العباس : فما كان مني إليه إلا أني جحدت ذلك وأنكرته فلما أمسيت أتاني نساء بني عبد المطلب وقلن لي : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم وقد تناول نساءكم ولم تنكر عليه ذلك قال قلت : والله كان ذلك ولأعرضن له فإن عاد كفيتكموه . قال : فغدوت اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أحب أن أدركه فرأيت في المسجد فمشيت نحوه أعرض له ليعود فأوقع به فخرج نحو باب المسجد يشتد قال قلت : ما باله قاتله الله أكل هذا فرقاً من أن أشاتمته؟ وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره قد جدّعه ، وحول رحله وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أدري إن تدركوها الغوث الغوث فشغلني عنه وشغله عني قال : فتجهز الناس سراعاً ولم يتخلف من أشرافهم أحد إلا أبو لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة^(١) وعزم أمية بن خلف الجمحي على القعود فإنه كان شيخاً ثقيلاً بطيئاً فأتاه^(٢) عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها نار وما يتبخر به وقال : يا أبا علي

(١) وذلك في مقابلة ماله عليه من الدين وقدره أربعة آلاف درهم بسبب الربا وأفلس فاستأجره بها ، كذا في السير (م) .

(٢) بل سبب ذلك كما رواه البخاري في صحيحه في غزوة بدر أن سعد بن معاذ سيد الأوس كان صديقاً لأمية بن خلف وكان أمية إذا مرّ بالمدينة نزل على سعد وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمراً فنزل على أمية بمكة فقال لأمية : انظر لي ساعة خلوة لعلي أطوف بالبيت .

فخرج به قريباً من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال : يا أبا صفوان من هذا الذي معك ؟ فقال ؛ هذا سعد . فقال له أبو جهل : لا أراك تطوف بمكة آمناً وقد أويتم الصبابة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً . فقال له سعد ، ورفع صوته عليه - : أما والله لئن منعتني هذا لأمنعك ما هو أشد عليه منه طريقك على المدينة .

فقال له أمية : لا ترفع صوتك على أبي الحكم سيد أهل الوادي .

فقال سعد : دعنا عنك يا أمية ، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنهم قاتلوك .

قال : بمكة . قال : لا أدري .

استجمر فإنما أنت من النساء. فقال: «قبحك الله وقبح ما جئت به»، وتجهز وخرج معهم.

وعزم عتبة بن ربيعة أيضاً على القعود فقال له أخوه شيبة: إن فارقنا قومنا كان ذلك سبة علينا فامض مع قومك فمشى معهم فلما أجمعوا على المسير ذكروا ما بينهم وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة بن الحارث فخافوا أن يؤتوا من خلفهم فجاءهم إبليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجي وكان من أشراف كنانة وقال: أنا جار لكم فأخرجوا سراغاً وكانوا تسعمائة وخمسين رجلاً، وقيل: كانوا ألف رجل وكانت خيلهم مائة فرس فنجا منها سبعون فرساً وغنم المسلمون ثلاثين فرساً وكان مع المشركين سبعمائة بعير، وكان مسير رسول الله ﷺ لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وقيل: أربعة عشر؛ وقيل: بضعة عشر رجلاً، وقيل: ثمانية عشر، وقيل: كانوا سبعة وسبعين من المهاجرين، وقيل: ثلاثة وثمانون والباقون من الأنصار؛ فقبل جميع من ضرب له رسول الله ﷺ بسهم من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً ومن الأوس أحد وسبعون رجلاً ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً.

ولم يكن فيهم غير فارسين أحدهما المقداد بن عمرو الكندي ولا خلاف فيه، والثاني قيل: كان الزبير بن العوام، وقيل كان مرثد بن أبي مرثد^(١)، وقيل المقداد وحده.

= ففرع لذلك أمية فزعاً شديداً، فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان ألم تري إلى ما قال لي سعد. قالت: وما قال لك؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي. قال: بمكة. قال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة.

فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس، قال: أدركوا عيركم، فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا عنك. فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذ غلبتني فوالله لأشتري أجود بعير مكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزني. فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي! قال: لا، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً.

فلما خرج أمية لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره فلم يزل بذلك حتى قتله الله تعالى ببدر. (١) هو مرثد بن أبي مرثد الغنوي (ت ٣ هـ): شهد هو وأبوه بدرًا، أخى النبي ﷺ بينه وبين أوس بن الصامت، وتوفي في غزوة الربيع.

وكانت الإبل سبعين بعيراً فكانوا يتعاقبون عليها، البعير بين الرجلين والثلاثة والأربعة، فكان بين النبي ﷺ وعليّ، وزيد بن حارثة بعير، وبين أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف بعير، وعليّ مثل هذا، وكان فرس المقداد اسمه «سبحة» وفرس الزبير اسمه «السيل»، وكان لواؤه مع مصعب بن عمير بن عبد الدار ورايته مع علي بن أبي طالب.

وعلى الساقة قيس بن أبي صعصعة الأنصاري فلما كان قريباً من الصفراء بعث بسيس بن عمرو. وعدي بن أبي الزغباء الجهنين يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ وترك الصفراء يساراً وعاد إليه بسيس بن عمرو يخبره أن العير قد قاربت بدرّاً ولم يكن عند رسول الله ﷺ والمسلمين علم بمسير قريش لمنع عيرهم، وكان قد بعث عليّاً والزبير وسعداً يلتمسون له الخبر بيدراً فأصابوا راوية لقريش فيهم أسلم غلام بني الجحجاج، وأبوي سار غلام بني العاص فأتوا بهما النبي ﷺ وهو قائم يصلي فسألوهما فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكّره القوم خبرهما وضربوهما لينخبروهما عن أبي سفيان فقالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما، وفرغ رسول الله ﷺ من الصلاة وقال: إذا صدقاكم ضربتموها، وإذا كذباكم تركتموها! صدقا أنهما لقريش أخبراني أين قريش؟

قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى. فقال رسول الله ﷺ: كم القوم؟ قالا: كثير، قال: كم عدتهم؟ قالا: لا ندري، قال: كم ينحرون؟ قالا: يوماً تسعاً، ويوماً عشراً. قال: القوم بين التسعمائة إلى الألف. ثم قال: لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالا: عتبة، وشيبة ابنا ربيعة، والوليد، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود، وأبو جهل، وأمّية بن خلف، ونُبَيْه، ومُنْبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ودّ.

فأقبل رسول الله ﷺ على أصحابه وقال: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها».

ثم استشار أصحابه فقال أبو بكر، فأحسن، ثم قال عمر فأحسن، ثم قام

المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله أمض لِمَا أَمَرَكَ اللهُ فنحنُ معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(١) ولكن أذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد^(٢) - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه».

فدعا له بخير ثم قال رسول الله ﷺ: «أشيروا عليَّ أيها الناس، وإنما يريد الأنصار لأنهم كانوا عدته للناس وخاف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة وليس عليهم أن يسير بهم فقال له سعد بن معاذ: «لكأنك تريدنا يا رسول الله».

قال: أجل. قال: قد آمنا بك، وصدّقناك، وأعطيناك عهدنا، فأمض يا رسول الله لِمَا أَمَرْتَ، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا الخير فخضت لنخوضه معك وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غداً، إنا لصيرُّ عند الحرب صدُق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرُّ به عينك فسرُّ بنا على بركة الله.

فسار رسول الله ﷺ فقال: «أبشروا فإن الله قد وعَدني إحدى الطائفتين، والله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم. ثم انحط على بدر فنزل قريباً منها.

وكان أبو سفيان قد ساحل^(٣) وترك بدرًا يساراً ثم أسرع فنجأ فلما رأى أنه قد أحرز عِيره أرسل إلى قريش وهم بالجُحفة^(٤) إن الله قد نجَّى عيركم وأموالكم فأرجعوا.

فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نردَّ بدرًا - وكان بدر موسماً من مواسم العرب تجتمع لهم بها سوق كل عام - فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجُزرَ، ونُطعمَ الطعام، ونسقي الخمر. وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً. فقال الأخنس بن

(١) المائدة : ٢٤ .

(٢) برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر .

(٣) أي : سار محاذياً لساحل البحر .

(٤) الجُحفة : كانت قرية كبيرة على طريق مكة على أربع مراحل ، وهي ميقات أهل مكة والشام إن لم يمروا على المدينة ، وسميت بالجحفة لأن السيل جَحَفَهَا ، بينها وبين البحر ستة أميال .

شَرِيقُ الثَّقَفِي وَكَانَ حَلِيفاً لِبَنِي زُهْرَةَ وَهُمْ بِالْجَحْفَةِ : يَا بَنِي زُهْرَةَ قَدْ نَجَّى اللَّهُ أَمْوَالَكُمْ وَصَاحِبَكُمْ فَأَرْجِعُوا ، فَرَجَعُوا فَلَمْ يَشْهَدْهَا زُهْرِيُّ وَلَا عَدَوِيُّ وَشَهِدَهَا سَائِرُ بَطُونِ قُرَيْشٍ ، وَلَمَّا كَانَتْ قُرَيْشٌ بِالْجَحْفَةِ رَأَى جَهِيمُ بْنُ الصَّلْتِ بْنُ مَخْرَمَةَ بْنُ الْمُطَلِّبِ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ رُؤْيَا فَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ رَجُلًا أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ وَمَعَهُ بَعِيرٌ لَهُ فَقَالَ : قَتَلَ عَتَبَةً ، وَشَيْبَةَ ، وَأَبُو جَهْلٍ - وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ قَتَلَ يَوْمَئِذٍ - وَرَأَيْتُهُ ضَرْبَ لَبَّةٍ بَعِيرُهُ ثُمَّ أَرْسَلَهُ فِي الْعَسْكَرِ فَمَا بَقِيَ خَبَاءٌ إِلَّا أَصَابَهُ مِنْ دَمِهِ . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : وَهَذَا أَيْضاً نَبِيٌّ مِنْ بَنِي الْمُطَلِّبِ سَيَعْلَمُ غَدًا مَنْ الْمَقْتُولُ !

وكان بين طالب بن أبي طالب وهو في القوم وبين بعض قريش محاوره فقالوا : والله قد عرفنا أن هواكم مع محمد ، فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع ، وقيل : إنما كان خرج كرهاً فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا فيمن رجع إلى مكة وهو الذي يقول :

يا رب إنا يغزون طالب في مِقْنَبٍ (١) من هذه المقاب
فليكن المسلوب غير السالب وليكن المغلوب غير الغالب

ومضت قريش حتى نزلت بالعدوة القصوى من الوادي وبعث الله السماء وكان الوادي دهساً (٢) فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منه ما لبّد لهم الأرض ولم يمنعهم المسير ، وأصاب قريشاً منه ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به فقال : الحُبَابُ بن المنذر بن الجموح : يا رسول الله أهذا منزل أنزلك الله ، ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخره؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله فإن هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء سواه من القوم فننزله ثم نُغَوِّرُ ما وراءه من

(١) المِقْنَب : كمبر - من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أوزهاء ثلاثمائة .

(٢) الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب .

القلب^(١) ثم نبني عليه حوضاً ونملأه ماء فنشرب ماء ولا يشربون ثم نقاتلهم^(٢). ففعل رسول الله ﷺ ذلك.

فلما نزل جاءه سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله نبني لك عريشاً^(٣) من جريد فتكون فيه ونترك عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا الله عليهم كان ذلك مما أحببناه وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلدحت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويحاربون معك.

فأثنى عليه خيراً، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش، وأقبلت قريش بخيلائها وفخرها، فلما رآها قال: « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحادُّك^(٤) وتُكذِّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم^(٥) الغداة.

ورأى عتبة بن ربيعة على جمل أحمر فقال: إن يكن عند أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يُرشدوا. وكان خُفاف بن أيماء بن رخصة الغفاري أو أبوه أيماء بعث إلى قريش حين مروا به أبناءً له بجزائر أهداها لهم وعرض عليهم المدد بالرجال والسلاح.

فقال قريش: إن كنا إنما نقاتل الناس فما بنا من ضعف وإن كنا نقاتل الله كما زعم محمد فما لأحدٍ بالله طاقة.

(١) القلب جمع قلب وهو البئر.

(٢) ضعيف؛ قال العلامة النقاد محمد ناصر الدين الألباني في نقده لأحاديث فقه السيرة للغزالي ٢٤٠ هـ ١:

« رواه ابن هشام ٦٦/٢ عن ابن اسحاق قال: « حدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحُبَاب... » وهذا سند ضعيف لجهالة الوساطة بين ابن اسحاق والرجال من بني سلمة، وقد وصله الحاكم ١٢٦/٣ : ١٢٧ من حديث الحباب وفي سنده من لم أعرفه.

قال الذهبي في تلخيصه: قلت: حديث منكر وسنده (كذا الأصل ولعله سقط منه « وإه » أو نحوه). ورواه الأموي من حديث ابن عباس - كما في البداية ٢٦٧/٣ - وفيه الكلبي وهو كذاب. أ هـ.

(٣) العريش: ما يستظل به.

(٤) تحادُّك: تعاديك.

(٥) أي: لقمهم الحين - يعني حين هلاكهم.

فلما نزلت قريش أقبل جماعة، منهم حكيم بن حزام حتى وردوا حوض النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أتركوهم. فما شرب منه رجل إلا قتل يومئذ إلا حكيم نجا على فرس له يقال: له الوجيه، وأسلم بعد ذلك فحسُنَ إسلامه وكان يقول إذا اجتهد في يمينه؛ لا والذي نَجَّاني يوم بدر. ولما اطمأنت قريش بعثوا عمرو بن وهب الجمحي ليحزر المسلمين ^(١) فجال بفرسه حولهم ثم عاد فقال: هم ثلاثمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون، ولقد رأيت البلاء ^(٢) تحمل المنايا نواضح ^(٣) يثرب تحمل الموت الناقع، ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله لا يُقتل رجلٌ منهم إلا يقتل رجلاً منكم فإذا أصابوا أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك فرُّوا رأيكم.

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في القوم فأتى عتبة بن ربيعة فقال: « يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها هل لك أن لا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ »

قال: وما ذاك؟ قال: ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي. قال: قد فعلتُ على دمه وما أصيب من ماله فأت ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فلا أخشى أن يفسد أمر الناس غيره.

فقام عتبة في الناس فقال: إنكم ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً والله لئن أصبتموهم لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته. قال حكيم بن حزام: فانطلقت إلى أبي جهل فوجدته قد نثل درعاً ^(٤) وهو يهيئها فأعلمته ما قال عتبة فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعثت ما قال لكن رأيتُ ابنه أبا حذيفة فيهم وقد خافكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال له: هذا حليفك يريد أن يرجع إلى مكة بالناس وقد رأيتُ ثارك بعينك فأنشد خفرتك ومقتل أخيك.

(١) أي: يعرف مقدارهم.

(٢) بلايا: جمع بلية وهي الناقة والدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت.

(٣) جمع ناضح وهي الفاقة التي يستقى عليها.

(٤) أي: أخرج.

فقام عامر وصرخ : واعمره واعمره ، فحميت الحرب واستوثق الناس على الشر فلما بلغ عتبة قول أبي جهل « انتفخ سحره » قال : سيعلم المصفرُّ استه من انتفخ سحره أنا أم هو؟ ثم ألتمس بيضة يدخلها رأسه فما وجد من عظم هامته فاعتجر (١) ببرد له وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان سيء الخلق فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه ، أو لأموتن دونه .

فخرج إليه حمزة فضربه فأطن قدمه (٢) بنصف ساقه فوقع على الأرض ثم حبا إلى الحوض فاقتحم فيه ليبر يمينه ، وتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض . ثم خرج عتبة ، وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة ، فخرج إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة كلهم من الأنصار ، فقالوا : من أنتم؟ قالوا : من الأنصار . فقالوا : أكفاء كرام وما لنا بكم من حاجة؟ ليخرج إلينا أكفأونا من قومنا . فقال النبي ﷺ : قم يا حمزة ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي ، فقاموا ، ودنا بعضهم من بعض فبارز عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان أمير القوم عتبة ، وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد ، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما قد أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلي على عتبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة إلى أصحابه وقد قطعت رجله فلما أتوا به النبي ﷺ قال : « ألسن شهيديا يا رسول الله »؟ قال : نعم ، قال : « لوراني أبو طالب لعلم أننا أحق منه بقوله :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل .

ثم مات ، وتزاحف القوم ودنا بعضهم من بعض وأبو جهل يقول : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لم نعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه (٣) وكان رسول الله

(١) الاعتجار : لف العمامة .

(٢) أي : أطارها .

(٣) وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فُتْنُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال : ١٩) .

ﷺ قد أمر أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال : إن اكتنفكم القوم فأنضحوهم ^(١) عنكم بالنبل ، ونزل في العريش ومعه أبو بكر وهو يدعو ويقول :

اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الأرض ، اللهم انجز لي ما وعدتني ، ولم يزل حتى سقط رداؤه فوضعه عليه أبو بكر ثم قال له :

كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك . واغفى رسول الله ﷺ في العريش إغفاءة ، وانتبه ثم قال : يا أبا بكر أتاك نصر الله ، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع ! وانزل الله ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ ^(٢) الآية ، وخرج رسول الله ﷺ ، وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ ^(٣) وحرص المسلمون وقال :

والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة .

فقال : عمير بن الحمام الأنصاري وبيده تمرات يأكلهن « بَخِ بَخِ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء » ! ثم ألقى التمرات من يده وقاتل حتى قُتل .

ورُمِيَ مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل ؛ ثم رُمِيَ حارثة بن سراقة الأنصاري فقتل ، وقاتل عوف بن عفراء حتى قتل ، واقتتل الناس قتالاً شديداً ، فأخذ رسول الله ﷺ حِفْنة من التراب ورمى بها قريشاً وقال : « شاهت الوجوه » ، وقال لأصحابه : « شُدُّوا عليهم » ، فكانت الهزيمة فقتل الله من قتل من المشركين ، وأسر من أسر منهم .

ولما كان رسول الله ﷺ في العريش وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشحاً بالسيف في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كَرَّةَ العدو فرأى رسول الله

(١) أي : أرموهم .

(٢) الأنفال : ٩ .

(٣) القمر : ٤٥ .

ﷺ في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس من الأسر، فقال له رسول الله ﷺ: لكأنك تكره ذلك يا سعد؟

قال أجبل: يا رسول الله أول وقعة أوقعها الله بالمشركين كان الإثخان (١) أحب إلي من استبقاء الرجال. وكان أول من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح وقريش محيطة به يقولون: لا يخلص إلى أبي الحكم. قال معاذ: فجعلته من شأني فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه وضربني ابنه عكرمة فطرح يدي من عاتقي فتعلقت بجلدة من جثتي فقاتلت عامة يومي وإني لاسحبها خلفي فلما آذنتني جعلت عليها رجلي، ثم تمطيت حتى طرحتها. وعاش معاذ إلى زمان عثمان رضي الله عنه.

ثم مر بأبي جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق (٢) ثم مر به ابن مسعود وقد أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتل فوجده بآخر رمق قال: فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال وبما أخزاني؟ أأعمد من رجل قتلتموه؟! أخبرني لمن الدائرة؟ قلت: لله ولرسوله.

فقال له أبو جهل: لقد ارتقيت يا رُوَيْعِي الغنم مرتقى صعباً. قال: فقلتُ إني قاتلك.

قال: ما أنت بأول عبد قتل سيده أما إن أشد شيء لقيته اليوم قتلك إياي وألا قتلتني رجل من المطيبين الأحلاف. فضربه عبد الله فوق رأسه بين رجليه، فحمله إلى رسول الله ﷺ فسجد شكراً لله.

وكان عبد الرحمن بن عوف قد غنم أذراعاً فمر بأمية بن خلف وابنه علي فقالا له: نحن خير لك من هذه الأذراع. فطرح الأذراع وأخذ بيده وبيد ابنه ومشى بهما. فقال له

(١) الإثخان: كثرة القتل.

(٢) الذي في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف قال:

إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن فكأنني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرّاً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل. فقلت: يا بن أخي وما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه.

فقال لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله. قال: فما سرنى أني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقيرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء.

أمية : مَنْ الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره؟ قال : حمزة بن عبد المطلب . قال أمية : هو الذي فَعَلَ بنا الأفاعيل . ورأى بلالُ أمية - وكان يعذبه بمكة فيخرج به إلى رَمَضَاء مكة فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ويقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ - فلما رآه بلال قال : أمية رأس الكفر؟! لا نجوتُ إنْ نجا، ثم صرخ : يا أنصار الله رأسُ الكفر رأسُ الكفر، أمية بن خلف، لا نجوتُ إنْ نجا .

فأحاط بهم المسلمون وقتل أمية وابنه علي ، وكان عبد الرحمن يقول : « رحم الله بلالاً ذهب أدراعي وفجّعني بأسيري » .

وقُتِلَ حنظلة بن أبي سفيان بن حرب قتله علي بن أبي طالب .

ولما انهزم المشركون أمر النبي ﷺ أن لا يُقتل أبو البختري بن هشام لأنه كان أخف القوم على رسول الله ﷺ وهو بمكة ؛ وكان ممن اهتم في نقض الصحيفة فلقية المُجَذَّر (١) بن زياد البلوي حليف الأنصار ومعه زميل له ، فقال له : إن رسول الله قد نهى عن قتلك . فقال : وزميلي . فقال المجذر : لا والله . قال : إذا والله لأموتن أنا وهو ، ولا تتحدث نساء قريش أني تركت زميلي حرصاً على الحياة . فقتل ثم أخبر رسول الله ﷺ بخبره . وجيء بالعباس أسره أبو اليسر وكان مجموعاً (٢) ، وكان العباس جسيماً . ف قيل لأبي اليسر : كيف أسرته؟ قال : أعاني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك بهيئة كذا وكذا .

فقال رسول الله ﷺ : لقد أعانك عليه ملكٌ كريم . ولما أمسى العباس مأسوراً بات رسولُ الله ﷺ ساهراً أول ليلة ، فقال له أصحابه : يا رسول الله مالك لا تنام . فقال : سمعتُ تضرُّ (٣) العباس في وثاقه فمنع مني النوم . فقاموا اليه فأطلقوه . فنام رسول الله ﷺ . وقد كان رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومئذ : قد عرفت رجالاً من بني هاشم وغيرهم أخرجوا كُرْهاً فَمَنْ لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، وَمَنْ لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فإنه أخرج كُرْهاً (٤) ، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل أبناءنا وآباءنا وإخواننا ونترك العباس ! والله لئن لقيته لأحمنه بالسيف .

(١) المجذر : - على وزن معظم - واسمه عبدالله .

(٢) أي : صغير الجثة .

(٣) أي تلويه وتألمه وتقلبه ظهراً لبطن .

فبلغ النبي ﷺ فقال لعمر: يا أبا حفص أما تسمع قول أبي حذيفة يضرب وجه عم رسول الله بالسيف؟

فقال أبو حذيفة: لا أزال خائفاً من تلك الكلمة ولا يكفرها عني إلا الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيداً.

وقد كان رسول الله ﷺ قال لأصحابه: قد رأيت جبريل وعلى ثناياه النقع^(١). فقال رجل من بني غفار: أقبلت أنا وابن عم لي فصعدنا جبلاً يشرف بنا على بدر ونحن مشرکان ننظر لمن تكون الدائرة فننتهب فدنت منا سحابة فسمعت فيها حممة الخيل وسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم. قال: فأما ابن عمي فمات مكانه، وأما أنا فكذت أهلك فتماسكت. وقال أبو داود المازني، إني لاتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل سيفي إليه فعرفت أنه قتله غيري. وقال سهل بن حنيف: كان أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف. فلما هزم الله المشركين وقتل منهم من قتل وأسر من أسر أمر رسول الله ﷺ أن تطرح القتلى في القليب فطرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها فذهبوا به ليخرجوه فتقطع وطرحوا عليه من التراب والحجارة ما غيبه، ولما ألقوا في القليب وقف عليهم رسول الله ﷺ، وقال:

« يا أهل القليب بُسَّ عشيرة النبي كُتِمَ لنبیکم، کذبتموني وصدَّقني الناس. »

ثم قال: يا عتبة، يا شيبه، يا أمية بن خلف، يا أبا جهل بن هشام - وعدد من كان في القليب - هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً. فقال له أصحابه: أتكلّم قوماً موتى! فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني.

ولما قال ﷺ لأهل القليب ما قال رأى في وجه أبي حذيفة بن عتبة الكراهية وقد تغير فقال: لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله ما شككت في أبي وفي مصرعه ولكنه كان له عقلٌ وحلمٌ وفضلٌ فكنْتُ أرجو له الاسلام، فلما رأيت ما مات عليه من الكفر أحزني ذلك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

ثم إن رسول الله ﷺ أمر فجمع ما في العسكر فأختلف المسلمون، فقال من جمعه:

(١) النقع: الغبار الساطع.

هو لنا . وقال الذين كانوا يقاتلون العدو: والله لولا نحن ما أصبتموه نحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ وهو في العريش: والله ما أنتم بأحق به منا لقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه . ولكن خفنا كربة العدو على رسول الله ﷺ فقمنا دونه . فنزع الله الأنفال من أيديهم وجعلها إلى رسول الله ﷺ ، فقسّمها بين المسلمين على سواء ، وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية ، وزيد بن حارثة بشيراً إلى أهل السافلة من المدينة ، فوصل زيد وقد سؤو التراب على رقية بنت رسول الله ﷺ وكانت زوجة عثمان بن عفان خلفه رسول الله ﷺ عليها وقسم له ، فلما عاد رسول الله ﷺ لقيه الناس يهنئونه بما فتح الله عليه ، فقال سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري : إن لقينا الأعجائز صلماً^(١) كالبدن المعقلة^(٢) فنحرناها فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال : يا بن أخي أولئك الملاء من قريش ، وكان في الأسرى النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ، فأمر علي بن أبي طالب بقتل النضر فقتله بالصفراء ، وأمر عاصم بن ثابت بقتل عقبة بن أبي معيط ؛ فلما أرادوا قتله جزع من القتل ، وقال : مالي أسوة بهؤلاء - يعني الأسرى - ؟ ثم قال : يا محمد من للصبيّة؟ قال : النار . فقتله بعرق الظبية صبراً^(٣) .

وكان في الأسرى سهيل بن عمرو أسره مالك بن الدخشم^(٤) الأنصاري ، فلما أتى به النبي ﷺ قال عمر بن الخطاب : دعني انزع ثنيتيه يا رسول الله فلا يقوم عليك خطيباً أبداً - وكان سهيل أعلم -^(٥) .

فقال رسول الله ﷺ : دعه يا عمر فسيقوم مقاماً تحمده عليه . فكان مقامه ذلك عند موت النبي ﷺ ، وسنذكره عند خبر الردة إن شاء الله .

ولما قدم به المدينة قالت له سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ : أعطيتكم بأيديكم كما

(١) جمع : صلعاء وهي التي انتثر شعرها من الهرم والشيخوخة .

(٢) أي : المقيدة .

(٣) أخرجه البيهقي ٣٢٣/٦ قتل الصبر يقال لمن يقتل بغير حرب وإنما يحبس ثم يقتل .

(٤) هو مالك بن الدخشم بن مالك بن غنم بن عوف .

شهد العقبة ، وبدر في قول ، وهو الذي أرسله رسول الله ﷺ فأحرق مسجد الضرار هو ومعن بن عدي .

(٥) أي : مشقوق الشفة العليا .

تفعل النساء! ألا متم كراماً. فسمع رسول الله ﷺ قولها فقال لها: يا سودة على الله وعلى رسوله (١)؟

فقالت: يا رسول الله ما ملكت نفسي حين رأيته أن قلت ما قلت. وقال رسول الله ﷺ: استوصوا بالأسرى خيراً. وكان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه.

فكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحيسمان بن أياس الخزاعي فقالوا: ما وراءك؟

قال: قُتِلَ عتبة وشيبة، وأبو الحكم، ونُبَيْه، ومنبه ابنا الحجاج، وعدد أشراف قريش. فقال صفوان بن أمية: والله إن يعقل (٢) فاسألوه عني. فقالوا: ما فعل صفوان. قال: هو ذاك جالس في الحجر وقد رأيت أباه وأخاه حين قُتِلَا. ومات أبو لهب بمكة بعد وصول خبر مقتل قريش بتسعة أيام، وناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيشمت محمد وأصحابه، ولا تبعثوا في فداء أسراكم لا يشتط عليكم محمد. وكان الأسود بن عبد يغوث قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة، وعقيل، والحارث. وكان يحب أن يبكي على بنيهِ فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة فقال لغلامه وقد ذهب بصره: أنظر هل أحلَّ البكاء لِعَلِّي أبكي على زمعة فإن جوفي قد احترق. فرجع إليه، وقال له: إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته فقال:

أبكي أن يضل لها بعيرٌ	ويمنعها من النوم السهود!
ولا تبكي على بكرٍ ولكن	على بدرٍ تقاصرت الجدود!
على بدر سراة بني هُصَيص	ومخزوم ورهط أبي الوليد (٣)
فبكي إن بكيت على عقيل	وبكى حارثاً أسد الأسود
وبكيهم ولا تسمى (٣) جميعاً	فمالا بي حكيمة من نديد
ألا قد ساد بعدهم أناس	ولولا يوم بدر لم يسودوا

(١) رواية ابن هشام: أعلى الله ورسوله تحرضين؟

(٢) أي: لا يعقل.

(٣) هذا البيت والبيتان اللذان بعده مجرورات والذي يظهر انها مدخلة في هذه القصيدة، ولا حاجة لأن تقول في القصيدة إقواء وهو اختلاف المجرى بكسر وضم فذلك لو كان بيت واحد أما وقد اتفقت ثلاثة أبيات فالأظهر أنها وحدها قصيدة وكذلك الثلاثة المرفوعة. (م).

يعني أبا سفيان .

ثم إن قريشاً أرسلت في فداء الأسارى ، فأول من فدى أبو وداعة السهمي فداه ابنه المطلب ، وفدى العباس نفسه . وعقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وحليفه عتبة بن عمرو بن جحدم أمره رسول الله ﷺ بذلك ، فقال : لا مال لي . فقال له رسول الله ﷺ : أين المال الذي وضعت عند أم الفضل وقلت لها : إن أصبت فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعبيد الله كذا . قال : والذي بعثك بالحق ما علم به أحدٌ غيري وغيرها وإنني لأعلم أنك رسول الله . وفدى نفسه وابني أخويه وحليفه ، وكان قد أخذ مع العباس عشرون أوقية من ذهب ، فقال : أحسبها في فدائي . فقال النبي ﷺ : لا ذاك شيء أعطاناه الله عز وجل .

وكان في الأسارى عمرو بن أبي سفيان أسره علي فقيلاً : لآبيه آفد عمراً . فقال : لا أجمع عليّ دمي ومالي يقتل ابني حنظلة وأفدي عمراً فتركه ولم يفكه ثم إن سعد بن النعمان الأنصاري خرج إلى مكة معتمراً فأخذه أبو سفيان وكانت قريش لا تعرض لحاج ولا معتمر فحبسه أبو سفيان ليفدي به عمراً ابنه وقال :

أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه تفاقدتم لا تسلموا السيد الكهلا
فإن بني عمرو لثام أذلة لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا
فمشى بنو عمرو بن عوف إلى النبي ﷺ فطلبوا منه عمرو بن أبي سفيان ففادوا به سعداً .

وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله ﷺ وكان من أكثر رجال مكة مالاً وأمانة وتجارة ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت خديجة زوج رسول الله ﷺ فسأله أن يزوجه زينب ففعل قبل أن يوحى إليه ، فلما أوحى إليه آمنت به زينب وكان رسول الله ﷺ مغلوباً بمكة لم يقدر أن يفرق بينهما ، فلما خرجت قريش إلى بدر خرج معهم فأسر فلما بعثت قريش في فداء الأسارى بعثت زينب في فداء أبي العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها معها ، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا » . فأطلقوها أسيرها وردوا القلادة وأخذ رسول الله ﷺ عليه أن يرسل زينب إليه بالمدينة وسار إلى مكة ، وأرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة مولاه ورجلاً من

الأنصار ليصحبها زينب من مكة، فلما قدم أبو العاص أمرها باللحاق بالنبي ﷺ فتجهزت سراً وأركبها كنانة بن الربيع أخو أبي العاص بغيراً وأخذ قوسه وخرج بها نهاراً فسمعت بها قریش فخرجوا في طلبها فلحقوها بذی طوی وكانت حاملاً فطرحت حملها لما رِيَعَتْ^(١) لخوفها، ونثر كنانة أسهمه ثم قال: والله لا يدنو مني أحدٌ إلا وضعت فيه سهماً.

فأتاه أبو سفيان بن حرب وقال: خرجت بها علانية فيظن الناس أن ذلك عن ذل وضعف منا ولعمري ما لنا في حبسها حاجة فأرجع بالمرأة ليتحدث الناس أننا رددناها.

ثم أخرجها ليلاً وسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدا بها على رسول الله ﷺ فأقامت عنده فلما كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام بأمواله وأموال رجال من قریش فلما عاد لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأخذوا ما معه وهرب منهم، فلما كان الليل أتى إلى المدينة فدخل على زينب فلما كان الصبح خرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة فكبر وكبر الناس فنادت زينب من صفة النساء: أيها الناس إنني قد أجرت أبا العاص.

فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده ما علمت بشيء من ذلك وإنه ليجير على المسلمين أدناهم. وقال لزينب: لا يخلصن إليك فلا يحل لك. وقال للسرية الذين أصابوه: إن رأيتم أن تردوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك وإن أبيتم فهو في الله الذي أفاءه عليكم وأنتم أحق به.

قالوا: يا رسول الله بل نرده عليه، فردوا عليه ماله كله حتى الشظاظ. ثم عاد إلى مكة فرد على الناس مالهم وقال لهم: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، والله ما منعي من الاسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أننا أردت أكل أموالكم. ثم خرج فقدم على النبي ﷺ فرد عليه أهله بالنكاح الأول، وقيل بنكاح جديد.

وجلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد بدر وكان شيطاناً ممن كان يؤذي النبي وأصحابه، وكان ابن وهب في الأسارى فقال صفوان: لا خير في العيش بعد من أصيب ببدر. فقال عمير: صدقت ولولا دين علي وعيال أخشى ضيعتهم لركبت

(١) وسبب ترويعها كما ذكره أصحاب السيد أن هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى هو أول من أدركها فروعها بالرمح وهي في هودجها فطرحها ما في بطنها (م).

إلى محمد حتى أقتله . فقال صفوان : دينك عليّ وعيالك مع عيالي أسوتهم . فسار إلى المدينة فقدمها فأمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب بإدخاله عليه ، فأخذ عمر بحمالة سيفه ، وقال لرجال معه من الأنصار : أدخلوا على رسول الله ﷺ واحذروا هذا الخبيث . فلما رآه رسول الله ﷺ قال لعمر : اتركه ، ثم قال : ادن يا عمير ما جاء بك . قال : جئت لهذا الأسير . قال : أصدّقني . قال : ما جئت إلا لذلك . قال : بل قعدت أنت وصفوان وجري بينكما كذا وكذا . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله هذا الأمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فالحمد لله الذي هداني للإسلام فقال رسول الله ﷺ : فقهاوا أخاكم في دينه وعلموه القرآن وأطلقوا له أسيره . ففعلوا . فقال : يا رسول الله كنت شديد الأذى للمسلمين فأحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعو إلى الله وأؤدي الكفار في دينهم كما كنت أؤدي أصحابك . فأذن له فكان صفوان يقول أبشروا الآن بوقعة تأتيكم تنسيكم وقعة بدر ، فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الله فاسلم معه ناس كثير وكان يؤذي من خالفه .

وقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو وكان رسول الله ﷺ يشاور أبا بكر وعمر وعلياً في الأسارى فأشار أبو بكر بالفداء ، وأشار عمر بالقتل فمال رسول الله ﷺ إلى الفداء^(١) فأنزل الله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢) وكان الأسرى سبعين فقتل من المسلمين عقوبة بالمفاداة^(٣) يوم أحد سبعون وكسرت رباعية رسول الله ﷺ وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وانهزم أصحابه فأنزل الله تعالى ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا ﴾^(٤) ، وكان جميع من قتل من المسلمين ببدر أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين^(٥) وثمانية من الأنصار^(٦) .

(١) في المطبوعة : (القتل) ! - خطأ .

(٢) الأنفال : ٦٧ .

(٣) هذا الكلام باطل ويرده صريح الآية وهو قوله تعالى ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ ... ﴾ وهذا يفيد امتناع العذاب فكيف يقع بعد ذلك في أحد !

(٤) آل عمران : ١٦٥ .

(٥) وهم : عبيدة بن الحارث بن المطلب - وعمير أخو سعد بن أبي وقاص الزهري - وذو الشمالين ،

وعاقل بن بكير من بني سعد ، ومهجع عبد عمر بن الخطاب ، وصفوان بن بيضاء الفهري (م) .

(٦) وهم : سعد بن خيثمة ، وبشر بن عبد المنذر ، ويزيد بن الحارث بن فصحم ، وعمير بن الحمام الحرامي ، ورافع بن المعلّى ومعاذ ومعوذ ابنا عفراء ، وحارثة بن سراقة .

وردّ رسول الله ﷺ جماعةً استصغروهم منهم: عبد الله بن عمر، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب، وزيد بن ثابت، وأسيد بن ظهير،^(١) وضرب رسول الله ﷺ لثمانية نفر بسهم في الأنفال لم يحضروا الوقعة منهم عثمان بن عفان كان رسول الله ﷺ خلفه على زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، لمرضها وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد كان أرسلهما يتجسسان خبر العير، وأبولبابة خلفه على المدينة، وعاصم بن عديّ خلفه على العالية، والحارث بن حاطب رده إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم، والحارث بن الصمة كسر بالروحاء، وخوات بن جبير كسر في بدر أسفل سيفه ذي الفقار وكان لمنبه بن الحجاج - وقيل: كان للعاص بن منه - قتله عليّ صبراً وأخذ سيفه ذا الفقار فكان للنبي ﷺ فوهبه لعليّ.

(رَحَضَ) بفتح الراء المهملة والحاء المهملة والضاد المعجمة. و (الْحُبَار) بضم الحاء المهملة والباء الموحدة. (أُسَيْد بن ظهير) بضم الهمزة والظاء المشالة و (خَدِيج) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة.

(١) كذا في الطبري وكتب السير - وهو الصواب، وفي الأصول: أسيد بن حضير وهو خطأ لانه كان من النقباء عن بني عبد الأشهل يوم العقبة الثانية.

ذكر غزوة بني قينقاع^(١)

لما عاد رسول الله ﷺ من بدر أظهرت يهود له الحسد بما فتح الله عليه وبغوا ونقضوا العهد وكان قد وادعهم حين قدم المدينة مهاجراً فلما بلغه حسدهم جمعهم بسوق بني قينقاع . فقال لهم : احذروا ما نزل بقريش وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، فقالوا : يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة . فكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبينه . فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوق بني قينقاع فجلست عند صائغ لأجل حلي لها ، فجاء رجل منهم فخل^(٢) درعها إلى ظهرها وهي لا تشعر فلما قامت بدت عورتها فضحكوا منها ، فقام إليه رجل من المسلمين فقتله^(٣) ونبذوا العهد إلى رسول الله ﷺ وتحصنوا في حصونهم فغزاهم رسول الله ﷺ وحاصرهم خمس عشرة ليلة ، فنزلوا على حكمه فكتفوا وهو يريد قتلهم وكانوا حلفاء الخزرج فقام إليه عبدالله بن أبي بن سلول فكلمه فيهم فلم يجبه ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ فرأى الغضب في وجه رسول الله ﷺ ، فقال : ويحك أرسلني . فقال : لا أرسلك حتى تحسن إلى موالي أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع^(٤) قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدتهم في غداة واحدة وإنني والله لأخشى الدوائر؛ فقال النبي ﷺ : هُم لك خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم ، وغنم رسول

(١) انظر : ابن سيد الناس ٢٩٤/١ : ٢٩٦ - ابن هشام ١٣٧/٣ : ١٣٨ - ...

(٢) في الأصول : (فخل) - بالحاء المهملة - خطأ ، وفي ابن هشام (فعقده إلى ظهرها) .

فخل ؛ أي جمع أسفل درعها إلى أعلاه بشوكة (م) .

(٣) في ابن هشام زيادة : فشدت اليهود على المسلم فقتلوه فوق الشر .

(٤) الحاسر : ما لا درع له .

الدارع : الذي عليه درع .

الله ﷺ والمسلمون ما كان لهم من مال ولم يكن لهم أرضون إنما كانوا صاغة، وكان الذي أخرجهم عبادة بن الصامت الأنصاري فبلغ بهم ذباب^(١) ثم ساروا إلى أذرعات من أرض الشام، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى هلكوا، وكان قد استخلف على المدينة أبا لبابة وكان لواء رسول الله ﷺ مع حمزة، وقسم الغنيمة بين أصحابه وخمسة، وكان أول خمس أخذه رسول الله ﷺ في قول. ثم انصرف رسول الله ﷺ وحضر الأضحى وخرج إلى المصلى فصلى بالمسلمين، وهو أول صلاة عيد صلاها، وضحى فيه رسول الله ﷺ بشاتين، وقيل: بشاة وكان أول أضحى رآه المسلمون، وضحى معه ذوو اليسار، وكانت الغزاة في شوال بعد بدر، وقيل: كانت في صفر سنة ثلاث وجعلها بعضهم بعد غزوة الكدر.

(ذباب) بكسر الذال المعجمة وباءين موحدتين .

(١) قال ياقوت : ذباب - بالكسر - جبل بالمدينة . وقال : ذكره الحازمي بكسر أوله ، وعن العمراني . (ذباب) بوزن الذباب الطائر ، وفي البكري أيضاً بضم أوله .

ذكر غزوة الكُذُر^(١)

قال ابن إسحاق : كانت في شوال سنة اثنتين ، وقال الواقدي : كانت في المحرم سنة ثلاث ، وكان قد بلغ النبي ﷺ اجتماع بني سليم على ماء لهم يقال له « الكُذُر »^(٢) فسار رسول الله ﷺ إلى الكدر فلم يلق كيداً^(٣) وكان لواؤه مع علي بن أبي طالب ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وعاد ومعه النعم والرعاء ، وكان قدومه في قول لعشر ليال مضين من شوال ، وبعد قدومه أرسل غالب بن عبد الله الليثي في سرية إلى بني سليم وغطفان فقتلوا فيهم ، وغنموا النعم ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ، وعادوا منتصف شوال .

(الكُذُر) بضم الكاف وسكون الدال المهملة .

(١) أنظر : ابن سيد الناس ٢٩٧/١ : ٢٩٨ - ابن هشام ١٣٥/٣ : ١٣٦ .

(٢) قرقرة الكُذُر : قيل بناحية المعدن ، قرية من الأرحضية بينهما وبين المدينة ثمانية بُرْد .

(٣) أي : حرباً .

ذكر غزوة السويق^(١)

كان أبو سفيان قد نذر بعد بذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبرّ يمينه حتى جاء المدينة ليلاً واجتمع بسلام بن مشكم سيد النضير فعلم منه خبر الناس، ثم خرج في ليلته فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة فأتوا العريض فحرقوا في نخلها، وقتلوا رجالاً من الأنصار وحليفاً له، واسم الأنصاري: معبد بن عمرو، وعادوا ورأى أن قد برّ في يمينه. وجاء الصريخ فركب رسول الله ﷺ وأصحابه، فأعجزهم وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جُرب السويق يتخفون بها للنجاء وكان ذلك عامة زادهم فلذلك سميت غزوة السويق، ولما رجع رسول الله ﷺ والمسلمون، قالوا: يا رسول الله ﷺ أنطمع أن تكون لنا غزوة. قال: نعم، وقال أبو سفيان بمكة وهو يتجهز:

كروا على يشرب وجمعهم	فإن ما جمعوا لكم نفل
إن يك يوم القلب كان لهم	فإن ما بعده لكم دُول
آليت لا أقرب النساء ولا	يمسُّ رأسي وجلدي الغسل
حتى تبيروا قبائل الأوس والـ	خزرج إنَّ الفؤاد يشتعل

فأجابه كعب بن مالك بقوله:

يا لهف أم المسبحين على	جيش ابن حرب بالحرّة الفشل
إذا يطرحون الرحال ^(٢) من شيم الطـ	ير ويرقى لقنة الجبل

(١) انظر: ابن سيد الناس ٢٩٦/١ : ٢٩٧ - ابن هشام ١٣٦/٣ .

(٢) الرحال جمع رحل : ما يوضع على ظهر البعير وفي الأصول: رجال - بالجيم - غلط (م).

جاؤوا بجمع لوقيس مبركه ما كان إلا كمفحص الدئل^(١)
عار من النصر والثراء ومن أبطال أهل البطحاء والاسل

وفي ذي الحجة منها مات عثمان بن مظعون فدفن بالبقيع ، وجعل رسول الله ﷺ على رأس القبر حَجْرًا علامة لقبره . وقيل : إن الحسن بن علي ولد فيها . وقيل : إن علي بن أبي طالب بنى بفاطمة على رأس اثنين وعشرين شهراً ، فإذا كان هذا صحيحاً فالأول باطل .

وفي هذه السنة^(٢) كتب المعاقلة وقربه بسيفه .

(سلام) بتشديد اللام^(٣) و (مَشْكَم) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الكاف . و (العُرَيْض) بضم العين المهملة وفتح الراء وآخره ضاد معجمة واد بالمدينة .

* * *

(١) مِفْخَص : المكان الذي يتخذ الطائر ليجثم فيه (م) .

الدئل : دويبة كابن عرس . (م) . .

(١) هذه العبارة منقولة من الطبري محرفة ، ونصها فيه : (وقيل إن في هذه السنة كتب رسول الله ﷺ المعاقلة فكان معلقاً بسيفه) .

والمعاقل : الديات جمع معقلة . والذي فهمته من ذلك أن رسول الله أمر بكتابة الديات أي في العمد وشبهه والخطأ ، وعلق الكتاب بسيفه ، والمذكور في الأصل تحريف . (م) .

(٣) ومثله القسطلاني قد ضبطه بالتشديد ، ولكن الشعر الذي أورده ابن هشام في سيرته لابي سفيان بن حرب يفيد التخفيف بحسب الوزن وهو :

سقاني فرواني كميتا مدامة على عجل مني سلام بن مشكم
ورأيت في شرح السيرة للخشني ما نصه : أراد أن يقول سلام بتشديد اللام لكنه خففه لضرورة الشعر . (م) .

ودخلت السنة الثالثة من الهجرة

في المحرم سنة ثلاث . سمع رسول الله ﷺ أن جَمْعاً من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان، وبني محارب بن حفص، تجمعوا ليصيبوا من المسلمين فسار إليهم في أربعمئة وخمسين رجلاً، فلما صار بذى القصة لقي رجلاً من ثعلبة فدعاه إلى الاسلام فأسلم وأخبره أن المشركين أتاهم خبره فهربوا إلى رؤوس الجبال فعاد ولم يلق كيداً، وكان مقامه اثنتي عشرة ليلة . وفيها في جمادى الاولى غزا بني سليم ببُحْران، وسبب هذه الغزوة أن جمعاً من بني سليم تجمعوا ببُحْران من ناحية الفرع، فبلغ ذلك النبي ﷺ فسار إليهم في ثلاثمئة فلماً بلغ بُحْران وجدّهم قد تفرقوا فانصرف ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عشر ليال واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم .

(القصة) بفتح القاف والصاد المهملة . (وبُحْران) بالباء الموحدة والحاء المهملة الساكنة .

ذكر قتل كعب بن الأشرف اليهودي

وفي هذه السنة قتل كعب بن الأشرف وهو أحد بني نبهان من طييء، وكانت أمه من بني النضير وكان قد كبر عليه قتل من قتل بيدر من قريش فسار إلى مكة وحرّض على رسول الله ﷺ ويكى أصحاب بدر، وكان يشبب بنساء المسلمين^(١) حتى آذاهم، فلما عاد إلى المدينة قال رسول الله ﷺ : من لي من ابن الأشرف؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصاري : أنا لك به، أنا أقتله . قال : فأفعل إن قدرت على ذلك . قال : يا رسول الله

(١) التشبيب : ذكر أيام اللهو والشباب ، والتشبيب بالمرأة التغزل بحسنها .

لا بد لنا ما نقول^(١). قال : قولوا ما بدا لكم فأنتم في حلٍّ من ذلك .

فاجتمع محمد بن مسلمة ، وسلطان بن سلامة بن وقش وهو أبو نائلة ، والحاتر بن أوس بن معاذ - وكان أخا كعب من الرضاعة - وعباد بن بشر ، وأبو عبس بن جبر . ثم قدّموا إلى ابن الأشرف أبا نائلة فتحدث معه ثم قال له : ^(٢) يا ابن الأشرف إني قد جئتُك لحاجة فأكتبها عليّ . قال : افعل . قال : كان قدوم هذا الرجل شُوماً على العرب ، قطع عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت البهائم . فقال كعب : قد كنت أخبرتك بهذا ، قال : أبو نائلة : وأريد أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك قال : ترهنوني أبناءكم^(٣) . قال : أردت أن تفضحنا إنّ معي أصحابي على مثل رأيي تبيعهم وتحسن ونجعل عندك رهناً من الحلقة ما فيه وفاء - وأراد أبو نائلة بذكر الحلقة وهي السلاح أن لا ينكر السلاح إذا جاء مع أصحابه - فقال : إنّ في الحلقة لوفاء .

فرجع أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم فأخذوا السلاح وساروا إليه ، وشيّعهم النبي ﷺ إلى بقيع الغرقد ، ودعا لهم فلما انتهوا إلى حصن كعب هتف به أبو نائلة وكان كعب قريب عهد بعُرس فوثب إليه وعليه ملحفة وتحدثوا ساعة وسار معهم إلى شُعب العجوز ، ثم إن أبا نائلة أخذ برأس كعب وشَمَّ بيده وقال : ما رأيت كالليلة طيباً أعرف قط ، ثم مشى ساعة وعاد لمثلها حتى أطمأنّ كعب ثم مشى ساعة وأخذ بفود^(٤) رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوّ الله فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغنِ شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرتُ مغولاً^(٥) في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحةً لم يبق حولنا حصنٌ ألا

(١) ولا يخفى أنّ هذا الحديث الشريف أساس لترجيح المصلحة العامة ونسيان كل ما سواها من الشخصيات فإنّ كعب بن الأشرف لما كان عقبة كؤوداً في سبيل نشر الدعوة إلى الله ولم يمكن قتله إلا بالتناول من رسول الله ﷺ والطعن في الإسلام فأباح لهم ذلك ، ولا شيء أعظم من هذه الفسحة ، ولو عقل المسلمون لعلموا أنّ مصلحة الإسلام فوق كل شيء ويسامح لأجله كل شيء (م) .

(٢) الذي في صحيح البخاري ١١٥/٥ : ١١٦ أنه محمد بن مسلمة الأنصاري .

(٣) الذي في صحيح البخاري : (أرهنوني نساءكم . قالوا : كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ! قال : فأرهنوني أبناءكم . قالوا : كيف نرهنك أبناءنا فيسبّ أحدهم فيقال : رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ، ولكننا نرهنك الأمة) .

قال سفيان : يعني السلاح .

(٤) الفود : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن وناحية الرأس .

(٥) المغُول : حديدة تجعل في وسط السوط فيكون لها غلافاً وشبه مشتمل إلا أنه أدق وأطول منه ونصل طويل

أو سيف دقيق له قفا (م) .

أَوْقَدَتْ عَلَيْهِ نَارَ، قَالَ : فَوَضَعَتْهُ فِي ثُنْتِهِ^(١) ثُمَّ تَحَامَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى بَلَغَتْ عَانَتَهُ وَوَقَعَ عَدُوُّ اللَّهِ وَقَدْ أُصِيبَ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ مَعَاذٍ أَصَابَهُ بَعْضُ أَسْيَافِنَا . قَالَ : فَخَرَجْنَا عَلَى بُعَاثٍ وَقَدْ أَبْطَأَ عَلَيْنَا صَاحِبُنَا فَوَقَفْنَا لَهُ سَاعَةً وَقَدْ نَزَفَهُ الدَّمُ ، ثُمَّ أَتَانَا فَاحْتَمَلْنَاهُ وَجِئْنَا بِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ ، وَتَفَلَّ عَلَى جُرْحٍ صَاحِبِنَا وَعُدْنَا إِلَى أَهْلِنَا فَأَصْبَحْنَا وَقَدْ خَافَتْ يَهُودُ لَوْقَعَتِنَا بِعَدُوِّ اللَّهِ فَلَيْسَ بِهَا يَهُودِيٌّ إِلَّا وَهُوَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ . قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودٍ فَاقْتُلُوهُ » . فَوُثِبَ مُحِيصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ^(٢) عَلَى ابْنِ سُنَيْنَةَ الْيَهُودِيِّ وَهُوَ مِنْ تِجَارِ يَهُودٍ فَقَتَلَهُ وَكَانَ يَبَايِعُهُمْ ، فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ حَوِيصَةُ وَهُوَ مُشْرِكٌ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ قَتَلْتَهُ أَمَا وَاللَّهِ لَرُبِّ شَحْمٍ فِي بَطْنِكَ مِنْ مَالِهِ ، وَضَرَبَهُ . فَقَالَ مُحِيصَةُ . لَقَدْ أَمَرَنِي بِقَتْلِهِ مَنْ لَوْ أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ لَقَتَلْتُكَ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنْ كَانَ لِأَوَّلِ إِسْلَامِ حَوِيصَةَ ، فَقَالَ : إِنْ دِينًا بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى لَعَجِبْتُ ثُمَّ أَسْلَمَ .

(عَبْسُ ابْنِ جَبْرِ) بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ . وَ (جَبْرِ) بِالْجِيمِ وَالْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ وَ (سُنَيْنَةَ) تَصْغِيرُ سُنْ .

وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا تَزَوَّجَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أُمَّ كَلْثُومَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَنَى بِهَا فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ . وَفِيهَا وَلَدَ السَّائِبُ بْنُ زَيْدٍ^(٣) ابْنُ أُخْتِ نَمِيرٍ . وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ وَفِيهَا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ أَنْمَارٍ ، يُقَالُ لَهَا : دَوَامٌ وَقَدْ ذَكَرْنَا قَوْلَ ابْنِ إِسْحَاقَ قَبْلَ ذَلِكَ . وَفِيهَا كَانَ غَزْوَةُ الْفَرْدَةِ وَكَانَ أَمِيرَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، وَهِيَ أَوَّلُ سَرِيَةٍ خَرَجَ فِيهَا زَيْدٌ أَمِيرًا ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهَا أَنَّ قَرِيشًا خَافَتْ مِنْ طَرِيقِهَا الَّتِي كَانَتْ تَسْلُكُ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ بَدْرِ فَسَلَكُوا طَرِيقَ الْعِرَاقِ فَخَرَجَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ . فِيهِمْ صَفْوَانُ بْنُ أُمِيَّةَ ، وَأَبُو سَفْيَانَ وَكَانَ عَظِيمَ

(١) الثُّنْيَةُ - بِالضَّمِّ - هِيَ الْعَانَةُ أَوْ مَرِيطَاءُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّرَةِ وَالَّذِي فِي ابْنِ جَرِيرٍ الشَّدَوَةُ وَهِيَ لَحْمُ الثَّدْيِ أَوْ حَلْمَتُهُ .

(٢) هُوَ مُحِيصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ كَعْبٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ مَجْدَعَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، الْأَوْسِيُّ ، أَبُو سَعْدٍ .
بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ فَدَكٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَشَهِدَ أَحَدًا وَالْخَنْدَقَ وَمَا بَعْدَهُمَا مِنَ الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا (أَنْظَرُ : أَسَدُ الْغَابَةِ ٥ / ١٢٠ - تَجْرِيدُ ٢ / ٦٣) .

(٣) كَذَا فِي الْمَطْبُوعَةِ ابْنُ زَيْدٍ - وَهُوَ ابْنُ يَزِيدٍ :
هُوَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ سَعِيدَ بْنِ ثَمَامَةَ بْنِ الْأَسَدِ ، وَقِيلَ السَّائِبُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ سَعِيدَ بْنِ عَائِذَ بْنِ الْأَسَدِ ، ابْنُ أُخْتِ النَّمْرِ ، أَبُو يَزِيدَ . تَوَفَّى سَنَةَ ٨٠ وَقِيلَ ٨٢ . (أَنْظَرُ : أَسَدُ الْغَابَةِ ٢ / ٣٢١ : ٣٢٢) .

تجارتهم الفضة، وكان دليلهم فرات بن حيان من بكر^(١) بن وائل فبعث رسول الله ﷺ زيدا فلقاهم على ماء يقال له الفردة فأصاب العير وما فيها وأعجزه الرجال فقدم بها على رسول الله ﷺ وكان الخمس عشرين ألفاً، وقسم الأربعة أخماس على السوية وأتى بفرات بن حيان أسيراً فأسلم فأطلقه رسول الله ﷺ.

(الفردة) ماء بنجد وقد اختلف العلماء في ضبطه فقليل فردة بالفاء المفتوحة والراء الساكنة وبه مات زيد الخيل ويرد ذكره، وضبطه ابن الفرات في غير موضع فردة بالقاف، وقال ابن إسحاق : وسير زيد بن حارثة إلى الفردة ماء من مياه نجد ضبطه ابن الفرات أيضاً بفتح الفاء والراء فإن كانا مكانين وإلا فقد ضبط ابن الفرات أحدهما خطأ.

ذكر قتل أبي رافع

في هذه السنة، في جمادى الآخرة قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي، وكان يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله ﷺ، فلما قتل كعب بن الأشرف وكان قتلته من الأوس. قالت الخزرج : والله لا يذهبون بها علينا عند رسول الله ﷺ - وكانا يتصاولان تصاول الفحلين - فتذاكر الخزرج من يعادي رسول الله ﷺ كأبن الأشرف فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخير فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله فأذن لهم فخرج إليه من الخزرج عبد الله بن عتيك^(٢) وسمعود بن سنان^(٣)، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة^(٤)، وخزاعي بن الأسود^(٥) حليف لهم وأمر عليهم عبد الله بن عتيك فخرجوا حتى

-
- (١) في الأصول : ابن بكر - وهو خطأ صححناه من ابن جرير وغيره (م) .
 (٢) هو عبد الله بن عتيك الأنصاري ، أخو جابر بن عتيك الأوسي من بني مالك بن معاوية ، وهو أحد قتلة أبي رافع بن أبي الحقيق اليهودي . قتل باليمامة شهيد ١٢ . (انظر : أسد الغابة ٣/ ٣٠٦) .
 (٣) مسعود بن سنان الأسلمي ، حليف بني غنم ، من بني سلمة من الأنصار ، شهد أحداً وقتل يوم اليمامة . (انظر أسد : ١٦٢/٥) .
 (٤) أبو قتادة : هو الحارث بن ربيعي بن بلدمة بن خناس بن عبيد بن غنم الخزرجي السلمي . قيل كان بدرياً ، وروي أن رسول الله ﷺ قال : اللهم بارك ، في شعره وبشره . وقال ؛ أفلح وجهك . (انظر : أسد الغابة ٦/ ٢٥٠) .
 (٥) هو خزاعي بن أسود الأسلمي حليف الأنصار ، كان ممن سار إلى قتل أبي رافع . (انظر أسد الغابة ١/ ١٠١ ، ٢/ ١٣١) .

قَدِمُوا خَيْر فأتوا دار أبي رافع ليلاً، فلم يَدْعُوا باباً في الدار إلا أغلقوه على أهله وكان في عُلْيَةٍ فاستأذنوا عليه فخرجت امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: نفس من العرب يلتمسون الميرة. قالت: ذاك صاحبكم فادخلوا عليه.

فدخلوا، فلما دخلوا أغلقوا باب العلية ووجدوه على فراشه وابتدروه، فصاحت المرأة فجعل الرجل منهم يريد قتلها فيذكر نهي النبي ﷺ إياهم عن قتل النساء والصبيان فيُمسك عنها، وضربوه بأسيا فهم، وتحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه، حتى أنفذه، ثم خرجوا من عنده، وكان عبد الله بن عتيك سيء البصر فوقع من الدرجة فوثت^(١) رجله وثاً شديداً، فأحتملوه واختفوا وطلبتهم يهود في كل وجه فلم يروهم فرجعوا إلى صاحبهم فقال المسلمون: كيف نعلم أن عدو الله قد مات؟ فعاد بعضهم ودخل في الناس فرأى الناس حوله وهو يقول: لقد عرفت صوت ابن عتيك ثم قلت؟ أين ابن عتيك. ثم صاحت امرأته وقالت: مات والله. قال: فما سمعت كلمة ألد إلى نفسي منها، ثم عاد إلى أصحابه وأخبرهم الخبر وسمع صوت الناعي يقول: انعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، وساروا حتى قدموا على النبي ﷺ، واختلفوا في قتله، فقال رسول الله ﷺ: «هاتوا أسيا فكم» فجاءوا بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس، هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام.

وقيل في قتله^(٢): إن رسول الله ﷺ بعث إلى أبي رافع اليهودي وكان بأرض الحجاز رجلاً من الأنصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ فلما دنوا منه غربت الشمس وراح الناس بسرهم، فقال عبد الله بن عتيك لأصحابه: أقيموا مكانكم، فإني أنطلق وأتلطف للبواب لعلني أدخل. فأنطلق فأقبل حتى دنا من الباب فتقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته فهتف به البواب إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب. فدخل، وأغلق الباب، وعلق المفاتيح على وتد، قال: فقممت فأخذتها ففتحت بها الباب وكان أبو رافع يسمر عنده في علالي له، فلما أراد النوم ذهب عنه السمار فصعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقته على من داخل، فقلت: إن علموا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله. قال: فأنتهيت إليه فإذا هو في

(١) الوثء، والوثاءة، وصم يصيب اللحم لا يبلغ العظم أو توجع فيه بلا كسر.

(٢) هذه الرواية واقعة لما في صحيح البخاري ١١٥/٥ : ١١٦ ط. الشعب

بيتٍ مظلم وسط عياله لا أدري أين هو؟ فقلت: أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنى عني شيئاً وصاح فخرجت من البيت غير بعيد ثم دخلتُ عليه فقلت: ما هذا الصوت؟ قال: لأملك الويل إن رجلاً في البيت ضربني بالسيف. قال: فضربته فأثخنه فلم أقتله ثم وضعتُ حد السيف في بطنه حتى أخرجته من ظهره، فعرفتُ أنني قتلتُه فجعلتُ أفتح الأبواب وأخرج حتى أنتهيتُ إلى درجة فوضعتُ رجلي وأنا أظن أنني انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة وانكسرت ساقِي فعصبتها بعمامتي وجلست عند الباب فقلت: والله لا أبرح حتى أعلم أقتلته أم لا. فلما صاح الديك قام الناعي فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز فأنطلقتُ إلى أصحابي فقلت: النجاء قد قتل الله أبا رافع، فأنتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: أبسط رجلك فبسطتها فمسحها فكأنني لم أشتكها قط، قيل: كان قتل أبي رافع في ذي الحجة سنة أربع من الهجرة والله أعلم.

(سَلَام) بتشديد اللام و (حُقَيْق) بضم الحاء المهملة وفتح القاف الأولى تصغير حق.

وفيهما تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب في شعبان، وكانت قبله تحت (خُنَيْس) - بضم الخاء المعجمة وبالنون المفتوحة وبالياء المعجمة باثنتين من تحت وبالسین المهملة - وهو ابن حذافة السهمي فتوفي فيها.

ذكر غزوة أُحُد^(١)

وفيها في شوال لسبع ليال خلون منه كانت وقعة أُحُد، وقيل للنصف منه. وكان الذي أهاجها وقعة بدر، فإنه لما أُصِيب من المشركين مَنْ أُصِيب ببدر مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية وغيرهم ممن أُصِيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بها فكلّموا أبا سفيان؛ ومن كان له في تلك العير تجارة وسألوهم أن يعينوهم بذلك المال على حرب رسول الله ﷺ ليدركوا ثأرهم منهم ففعلوا وتجهز الناس وأرسلوا أربعة نفر وهم عمرو بن العاص، وهبيرة بن أبي وهب، وابن الزبعرى وأبو عزة الجمحي، فساروا في العرب ليستنفروهم، فجمعوا جمعاً من ثقيف وكنانة وغيرهم واجتمعت قريش بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وتهامة، ودعا جبير بن مطعم غلامه وَحْشِيَّ بن حرب وكان حبشياً يقذف بالحربة قلماً يخطيء فقال له: اخرج مع الناس فإن قتلت عم محمد بعمي طعيمة بن عديّ فأنت عتيق، وخرجوا معهم بالظُّعُن^(٢) لثلاث يفرّوا، وكان أبو سفيان قائد الناس فخرج بزوجه هند بنت عتبة وغيره من رؤساء قريش، خرجوا بنسائهم، خرج عكرمة بن أبي جهل بزوجه أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج الحارث بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد، وخرج صفوان بن أمية ببريرة - وقيل: برزة بنت مسعود الثقفية أخت عروة بن مسعود وهي أمّ ابنه عبد الله بن صفوان - وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهي أمّ ولده عبد الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبي طلحة بسلافة بنت سعد؛ وهي أمّ بنيه

(١) أنظر: ابن سيد الناس ٢/٢ : ٢٥ - ابن هشام ٣/١٤٥ : ١٧٢ .

(٢) الظُّعُن: الهودج والمراد به النساء هنا .

مسافع والجلال وكلاب وغيرهم، وكان مع النساء الدفوف يبكين على قتلى بدر يحرضن بذلك المشركين.

وكان مع المشركين أبو عامر الراهب الأنصاري وكان خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ ومعه خمسون غلاماً من الأوس - وقيل : كانوا خمسة عشر - وكان يعد قريشاً أنه لو لقي محمداً لم يتخلف عنه من الأوس رجلاً فلما ألتقى الناس بأحد كان أبو عامر أول من لقي في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر. فقالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق. فقال : لقد أصاب قومي بعدي شر. ثم قاتلهم قتالاً شديداً حتى راضخهم بالحجارة.

وكانت هند كلما مرت بوحشي أو مر بها قالت له : يا أبا دُسمَة (١) أشف واستشف - وكان يكنى أبا دُسمَة - فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل بطن السبخة من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة. فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قال : إني رأيت بقرأ فأولتها خيراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً (٢)، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها.

وكان رأي عبد الله بن أبي - بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ يكره الخروج، وأشار بالخروج جماعة ممن استشهد يومئذ وأقامت قريش يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وخرج رسول الله ﷺ حين صلى الجمعة فالتقوا يوم السبت نصف شوال فلما لبس رسول الله ﷺ سلاحه وخرج ندم الذين كانوا أشاروا بالخروج إلى قريش وقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ ونشير عليه، فالوحي يأتيه فيه فاعتذروا إليه وقالوا : اصنع ما شئت. فقال : « لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته (٣) فيضعها حتى يقاتل ».

فخرج في ألف رجل واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فلما كان بين المدينة وأحد عاد عبد الله بن أبي بثلاث الناس. فقال : أطاعهم وعصاني وكان من تبعه أهل النفاق

(١) الدُسمَة : بضم الأول وسكون الثاني غبرة إلى سواد كما يقول الناس اليوم للأسود يا أبا سمرة (م) .

(٢) ثلماً : أي شقاً . وثلم السيف : صيره غير ماضي القطع .

(٣) اللأمة : لباس الحرب .

والريب واتبعهم عبد الله بن حرام أخو بني سلمة يُدْكَرهم الله أن لا يخذلوا نبيهم . فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم وانصرفوا . فقال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم . وبقي رسول الله ﷺ في سبعمئة فصار في حرّة بني حارثة وبين أموالهم ، فمر بمال رجل من المنافقين يقال له : مربع بن قيطي وكان ضرير البصر ، فلما سمع حسن رسول الله ﷺ ومن معه قام يحثي التراب في وجوههم ويقول : إن كنت رسول الله ﷺ فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي وأخذ حفنة من تراب في يده ، وقال : لو أعلم أنني لا أصيب غيرك لضربت به وجهك ، فابتدروه ليقتلوه ، فقال النبي ﷺ : « لا تفعلوا فهذا الأعمى ، أعمى البصر وأعمى القلب » ، فضربه سعد بن زيد بقوس فشجّه ، وذبح فرس بذنبه فأصاب كلاب^(١) سيف صاحبه فاستله ، فقال له رسول الله ﷺ : سيوفكم فإني أرى السيوف ستسئل اليوم .

وسار رسول الله ﷺ ، حتى نزل بعدوة الوادي ، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وكان المشركون ثلاثة آلاف . منهم سبعمئة دارع ، والخيّل مائتي فرس ، والظعن خمس عشرة امرأة ، وكان المسلمون مائة دارع ، ولم يكن من الخيل غير فرسين فرس لرسول الله ﷺ ، وفرس لأبي بردة بن نيار^(٢) ، وعرض رسول الله ﷺ المقاتلة ، فردّ زيد بن ثابت ، وابن عمر ، وأسيد بن ظهير^(٣) والبراء بن عازب ، وعرابة بن أوس ، وأبا سعيد الخدري ، وغيرهم ، وأجاز جابر بن سُمرة ، ورافع بن خديج .

وأرسل أبو سفيان إلى الأنصار يقول : خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة لنا إلى قتالكم . فردوا عليه بما يكره ، وتعبى^(٤) المشركون ، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل ، وكان لواؤهم مع بني عبد الدار ، فقال لهم أبو سفيان : إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم فإما أن تكفونا وإما أن تخلوا بيننا وبين اللواء ، يحرضهم بذلك . فقالوا : ستعلم إذا آلتقينا كيف نصنع ، وذلك أراد .

(١) الكلاب : بالتشديد والتخفيف المسمار في قائم السيف أو ذؤاب السيف (م) .

(٢) هو أبو بردة هانيء بن نيار شهد الفتح وكانت معه راية حارث بن الحارث وشهد مع علي بن أبي طالب حروبه ، توفي أول خلافة معاوية .

(أسد الغابة ٣٠ / ٦ : ٣١) .

(٣) هو أسيد بن ظهير بن رافع بن عدي بن زيد الأوسي الأنصاري ، (أنظر أسد الغابة ١ / ١١٤) .

(٤) تعباً .

واستقبل رسول الله ﷺ المدينة وترك أحداً خلف ظهره، وجعل وراءه الرماة، وهم خمسون رجلاً وأمر عليهم عبد الله بن جبير^(١) أخا خوات بن جبير وقال له: أنضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، واثبت مكانك لا تؤتين من قبلك.

وظاهر رسول الله ﷺ بين درعين وأعطى اللواء مُصعب بن عمير وأمر الزبير على الخيل ومعه المقداد، وخرج حمزة بالجيش بين يديه، وأقبل خالد وعكرمة، فلقيهما الزبير والمقداد فهزما المشركين، وحمل النبي ﷺ وأصحابه فهزموا أبا سفيان، وخرج طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين، وقال: يا معشر أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة فهل أحد منكم يعجله سيفي إلى الجنة أو يعجلني سيفه إلى النار؟

فبرز إليه علي بن أبي طالب فضربه عليّ فقطع رجله فسقط وأنكشفت عورته، فناشده الله والرحم فتركه فكبر رسول الله ﷺ وقال لعليّ: ما منعك أن تجهز عليه قال: إنه ناشدني الله والرحم فاستحييت منه. وكان بيد رسول الله ﷺ سيف فقال: مَنْ يأخذه بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، حتى قام أبو دجانة^(٢) فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: تضرب به العدو حتى ينحني. قال: أنا أخذه. فأعطاه إياه. وكان شجاعاً، وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء علم الناس أنه يقاتل - فعصب رأسه بها وأخذ السيف وجعل يتبختر بين الصفيين فقال رسول الله ﷺ: «إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن^(٣)». فجعل لا يرتفع له شيء إلا حطمه حتى انتهى إلى نسوة في سفح الجبل معهن دفوف لهن فيهن امرأة تقول:

(١) هو عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن أمروء القيس، الأوسي الأنصاري. شهد العقبة، وبدراً وقتل يوم أحد. (أنظر أسد الغابة ٣/١٩٤).

(٢) هو سماك بن خرشة، وقيل سماك بن أوس بن خرشة بن لوزان بن عبدود بن زيد الخزرجي الأنصاري، أبو دجانة.

شهد بدراً وكان من الأبطال الشجعان، دافع عن الرسول يوم أحد، وشهد اليمامة، وشرك في قتل مسيلمة.

(أنظر أسد: ٦/٩٦).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٧/١٢٣.

نحن بنات طارق نمشي على النمارق^(١) مشي القطا البوارق
والمسك في المفارق والدر في المخانق^(٢) إن تُقبِلُوا نُعَانِقْ
ونفرشُ النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق^(٣)
وتقول أيضاً :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الأدبار^(٤) ضرباً بكل بتار
فرفع السيف ليضربها ثم أكرم سيف رسول الله ﷺ أن يضرب به امرأة، وكانت
المرأة هند والنساء معها يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن .

واقتل الناس قتالاً شديداً وأمعن^(٥) في الناس حمزة وعلي وأبودجانة في رجال
من المسلمين، وأنزل الله نصره على المسلمين وكانت الهزيمة على المشركين، وهرب
النساء مُصَعَّدَات في الجبل، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون . فلما نظر بعض الرماة
إلى العسكر حين انكشف الكفار عنه أقبلوا يريدون النهب، وثبتت طائفة وقالوا: نطيع
رسول الله ونثبت مكاننا فأنزل الله تعالى : ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا
وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(٦) يعني أتباع أمر رسول الله ﷺ . قال ابن مسعود: وما
علمت أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت الآية . فلما فارق بعض
الرماة مكانهم رأى خالد بن الوليد قلةً من بقي من الرماة، فحمل عليهم فقتلهم وحمل
على أصحاب النبي ﷺ من خلفهم فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على
المسلمين فهزموهم وقتلوهم، وقد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء فبقي مطروحاً لا
يدنو منه أحد، فأخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته فأجتمعت قريش حوله وأخذته
صواب^(٧) فقتل عليه، وكان الذي قتل أصحاب اللواء عليّ - قاله أبو رافع، قال: فلما

(١) النمارق ؛ جمع نمركة ، وهي الطنفسة فوق الرحل .

(٢) المخانق : أراد الأعناق .

(٣) الوامق : المحب .

(٤) تريد الذين يحمون أعقاب الناس . والبتار: السيف القاطع .

(٥) أي : أبعد في القتل .

(٦) آل عمران : ١٥٢ .

(٧) ولذلك غير حسان بن ثابت بقوله في عمرة الحارثية :

فلولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بيع الجلائب

قتلهم أبصر النبي ﷺ جماعة من المشركين فقال لعلي: أحمل عليهم، ففرقهم وقتل فيهم، ثم أبصر جماعة أخرى فقال له: أحمل عليهم، فحمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم، فقال جبريل: يا رسول الله هذه المواساة. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ». فقال جبريل: «وَأَنَا مِنْكُمَا»، قال: فسمعوا صوتاً: «لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عَلِيٌّ»^(١).

وكسرت رباعية^(٢) رسول الله ﷺ السُّفْلَى وشقَّت شفته وكَلِمَ^(٣) في وجنته وجبهته في أصول شعره، وعلاه ابن قمئة بالسيف وكان هو الذي أصابه - وقيل أصابه عتبة بن أبي وقاص، وقيل: عبد الله بن شهاب الزهري جد محمد بن مسلم، وقيل: إن عتبة بن أبي وقاص وابن قمئة الليثي الأدرمي من بني تيم بن غالب^(٤) وكان أدرم ناقص الذقن وأبي بن خلف الجمحي، وعبد الله بن حميد الأسدي أسد قريش تعاقدوا على قتل رسول الله ﷺ، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته وأما عتبة فرماه بأربعة أحجار فكسر رباعيته اليمنى وشق شفته. وأما ابن قمئة فكلم وجنته ودخل من حلق المغفر فيها وعلاه بالسيف فلم يطق أن يقطع فسقط رسول الله ﷺ فجحشت ركبته^(٥)، وأما أبي بن خلف فشده عليه بحربة فأخذها رسول الله ﷺ منه وقتله بها، وقيل: بل كانت حربة الزبير أخذها منه، وقيل: أخذها من الحارث بن الصمة، وأما عبد الله بن حميد فقتله أبودجانة الانصاري.

ولما جرح رسول الله ﷺ جعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه ويقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله؟»^(٦).

وقاتل دونه نفر خمسة من الأنصار فقتلوا، وترس^(٧) أبودجانة^(٨) رسول الله ﷺ

(١) قال في المقاصد: هو أثره وإه.

أنظر في نقده: اللآلي المصنوعة ١/١٨٩ - كشف الخفاء ٢/٥٠٦ : ٥٠٧.

(٢) الرباعية: السن بين الثنية والتاب وهي أربع أسنان. رباعيتان في الفك الأعلى ورباعيتان في الفك الأسفل.

(٣) كَلِمَ: جرح.

(٤) في الأصول: تميم بن غالب - وزهو خطأ (م).

(٥) أي: خدش جلد ركبته.

(٦) يتفق عليه: أخرجه البخاري ٥/١٢٧ - مسلم الجهاد رقم ١٠٤.

(٧) ترَسَ: أي صير نفسه ترساً يقيه النبل.

(٨) وفي صحيح البخاري: أن أبا طلحة هو الذي جوب عليه بجحفة أي ترس، ولا مانع من التعدد (م).

بنفسه فكان يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ فكان رسول الله ﷺ يناوله السهم ويقول: أرم فذاك أبي وأمي، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان ^(١) فردّها رسول الله ﷺ بيده فكانت أحسن عينيه.

وقاتل مصعب بن عمير ومعه لواء المسلمين فقتل قتله ابن قمئة الليثي وهو يظن أنه النبي ﷺ فرجع إلى قريش، وقال: قتلت محمداً فجعل الناس يقولون: قتل محمد، قتل محمد، ولما قُتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب. وقاتل حمزة حتى مرّ به سباع بن عبد العزى الغبشاني، فقال له حمزة: هلمّ إليّ يا بن مقطّعة البظور وكانت أمه أم أنمار ختانة بمكة فلما ألتقيا ضربه حمزة فقتله. قال وحشي: إني والله لأنظر إلى حمزة وهو يهذ الناس بسيفه هذاً ما يلقي شيئاً يمر به إلا قتله، وقتل سباع بن عبد العزى قال: فهزرت حربتي ودفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجله، وأقبل نحوي فقلب فوق فأمهلته حتى مات، جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت إلى العسكر، فرضي الله عن حمزة وأرضاه.

وقتل عاصم بن ثابت مسافع بن طلحة وأخاه كلاب بن طلحة بسهمين فحُمِلَا إلى أمهما سلافة ^(٢) وأخبراها أن عاصماً قتلها فنذرت إن أمكنها الله من رأسه أن تشرب فيه الخمر.

وبرز عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مع المشركين وطلب المبارزة فأراد أبو بكر أن يبرز إليه فقال رسول الله ﷺ: شم سيفك وأمتعنا بك، وانتهى أنس بن النضر ^(٣) عم أنس بن مالك إلى عمر وطلحة في رجال من المهاجرين قد ألقوا بأيديهم فقال: « ما يحبسكم؟ »

قالوا: قد قُتل النبي ﷺ! قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا على ما مات

(١) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد الأوسي، الأنصاري.

شهد العقبة، وبدراً، وأحداً، والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وأصيبت عينه يوم بدر وقيل يوم أحد وقيل الخندق، فردّها النبي ﷺ. توفي سنة ٢٣.

(أنظر: أسد الغابة ٤/٣٨٩ : ٣٩١).

(٢) في الأصول: سلامة، وهو خطأ.

(٣) هو أنس بن النضر بن ضمضم. الأنصاري، وهو ابن عم أنس بن مالك رضي الله عنه وقيل فيه قوله ﷺ (إن من عباد الله من لو قسم على الله تعالى لأبره).

(أنظر: أسد الغابة ١/١٥٥ : ١٥٦).

عليه .

ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل فوجد به سبعون ضربة وطعنة ، وما عرفه إلا اخته عرفته بحسن بنانه .

وقيل : إن انس بن النضر سمع نفرأ من المسلمين يقولون لما سمعوا أن النبي ﷺ قُتل : ليت لنا من يأتي عبد الله بن أبي بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا . فقال لهم أنس : يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد ، اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ، ثم قاتل حتى قتل .

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك قال : فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله حي لم يُقتل فأشار إليه « أنصت » ^(١) فلما عرفه المسلمون نهضوا نحو الشعب ومعه علي ، وأبو بكر ، وعمر ، وطلحة ، والزبير ، والحارث بن الصمة وغيرهم ، فلما أسند إلى الشعب أدركه أبي بن خلف ، وهو يقول : يا محمد لا نجوت إن نجوت . فعطف عليه رسول الله ﷺ فطعنه بالحربة في عنقه ، وكان أبي يقول بمكة لرسول الله ﷺ إن عندي العود فرساً أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليه ، فيقول له النبي ﷺ : « بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى » ، فلما رجع إلى قريش وقد خدشه رسول الله ﷺ خدشاً غير كبير قال : قتلي محمد . قالوا : والله ما بك بأس . قال : إنه قد كان قال لي « أنا أقتلك » فوالله لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف ^(٢) .

وقاتل رسول الله ﷺ يوم أحد قتالاً شديداً ، فرمى بالنبل حتى فني نبله ، وانكسرت سية ^(٣) قوسه ، وانقطع وتره .

ولما جرح رسول الله ﷺ جعل علي ينقل له الماء في درقته من المهراس ^(٤) ويغسله فلم ينقطع الدم فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي وأحرقت حصيراً وجعلت على

(١) أمره ﷺ بالإنصات لثلاث يعرف مكانه المشركون فيجتمعون عليه - وهو جريح - ليقتلوه .

(٢) سرف موضع على ستة أميال من مكة من طريق مرو ، وقيل سبعة وتسعة ، واثناعشر ، بنى به رسول الله ﷺ بميمونة بنت الحارث وفيه ماتت .

(٣) هو ماء بجبل أحد ، ويجنبه دفن حمزة بن عبد المطلب أسد الله رضي الله عنه .

(٤) هو ما عطف من طرفي القوس .

الجرح من رماده فانقطع الدم .

ورمى مالك بن زهير الجشمي النبي ﷺ فأتقاه طلحة بيده . فأصاب السهم خنصره ، وقيل : رماه حبان بن العرقة فقال : حس^(١) فقال رسول الله ﷺ لو قال : باسم الله لدخل الجنة والناس ينظرون إليه . وقيل : إن يده شلت إلا السبابة والوسطى والأول أثبت .

وصعد أبو سفيان ومعه جماعة من المشركين في الجبل ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس لهم أن يعلونا » ، فقاتلهم عمر وجماعة من المهاجرين حتى أهبطوهم ونهض رسول الله ﷺ إلى الصخرة ليعلوها وكان عليه درعان فلم يستطع فجلس تحته طلحة حتى صعد فقال رسول الله ﷺ : « أوجب طلحة » .

وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين . فيهم عثمان بن عفان وغيره إلى الأعوص ، فأقاموا به ثلاثاً ثم أتوا النبي ﷺ فقال لهم حين رأيهم ، لقد ذهبتم فيها عريضة .

والتقى حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود وهو ابن شعوب فدعاه أبو سفيان فأتاه فضرب حنظلة فقتله فقال رسول الله ﷺ : « إنه لتغسله الملائكة ، فسلوا أهله » فُسئِلَتْ صاحبه . فقالت : خرج وهو جنب سمع الهائعة^(٢) فقال رسول الله ﷺ : « لذلك غسلته الملائكة » .

وقال أبو سفيان : يذكر صبره ومعاونة بن شعوب إياه على قتل حنظلة .

ولو شئت نجتني كمي ^(٣) طمرة ^(٤)	ولم أحمل النعماء لابن شعوب
فما زال مهري مزجر الكلب منهم	لذن غدوة حتى دنت لغروب
أقاتلهم وأدعي يا آل غالب	وادفعهم عني بركن صليب
فبكي ولا ترعى مقالة عاذل	ولا تسأمي من عبرة بنحيب
أباك وأخواناً لنا قد تابعوا	وحق لهم من عبرة بنصيب

(١) هو كلمة كانوا يقولونها عند مس الألم (م) .

(٢) الهائعة : الصوت تفرع منه وتخاف من عدو (م) .

(٣) الفرس الذي خالط لون حمرة سواد (م) .

(٤) الطمر : الفرس الجواد ، أو الطويل القوائم الخفيف أو المستعد للعدو (م) .

وسليّ الذي قد كان في النفس أنني
ومن هاشم قرماً نجيباً^(١) ومصبباً^(٢)
ولو أنني لم أشف منهم قرونة
فأجابه حسان بقوله :

ذكرتُ القروم الصيد^(٤) من آل هاشم
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم
ألم يقتلوا عمراً وعتبة وابنه
غداة دعا العاصي علياً فراعته
ولست لزور قلته بمصيب
عشاء وقد سميته بنجيب
وشية والحجاج وابن حبيب
بضربة غضب بله بخضيب

ووقعت هند وصواحباتها على القتلى يمثلن بهم واتخذت هند من آذان الرجال
وآنافهم خدماً^(٥) وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وخشياً، وبقرت عن كبدة حمزة
فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها.

ثم أشرف أبو سفيان على المسلمين فقال : أفي القوم محمد؟ ثلاثاً. فقال رسول
الله ﷺ : لا تجيبوه. ثم قال : أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاثاً؟ ثم قال : أفي القوم
عمر بن الخطاب؟ ثلاثاً. ثم آلتفت إلى أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا. فقال عمر :
كذبت أي عدو الله قد أبقى الله لك ما يخزيك. فقال : آغلُ هُبَل، آغلُ هُبَل. فقال
رسول الله ﷺ : « قولوا الله أعلى وأجل ». فقال أبو سفيان : إن لنا العزى ولا عزى
لكم. فقال رسول الله ﷺ : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. فقال أبو سفيان : أنشدك الله
يا عمر أقتلنا محمداً. قال عمر : اللهم لا وإنه ليسمع كلامك. فقال : أنت أصدق من
ابن قمئة. ثم قال : هذا يوم بدر والحرب سجال، أما إنكم ستجدون في قتلكم مثله والله ما
رضيت ولا سخطت ولا نهيت ولا أمرت.

(١) أراد حمزة رضي الله عنه .

(٢) أراد مصعب بن عمير صاحب لواء النبي ﷺ . (م) .

(٣) أي : حزناً .

(٤) أي الملوك المتكبرين (م) .

(٥) جمع خدمة الخلخال (م) .

واجتاز به الحليس بن زبان سيد الأحابيش وهو يضرب في شِدْق (١) حمزة بزج
الرمح ويقول: ذق عُقُق. فقال الحليس: يا بني كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه
كما ترون لحماً. فقال أبو سفيان: اكتمها عني فإنها زلة. وكانت أم أيمن حاضنة رسول
الله ﷺ ونساء من الأنصار يسقين الماء فرماها حبان (٢) بن العرقة بسهم فأصاب ذيلها
فضحك، فدفع النبي ﷺ إلى سعد بن أبي وقاص سهماً وقال: ارمه. فرماه فأصابه
فضحك النبي ﷺ، وقال: «استقاد لها سعد، أجاب الله دعوتك، وسدد رميتك». ثم
انصرف أبو سفيان ومن معه، وقال: إن موعدكم العام المقبل. ثم بعث رسول الله ﷺ
علياً في أثرهم، وقال: أنظر فإن جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن
ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأناجزنهم. قال
علي: فخرجت في أثرهم فامتطوا الإبل وجنبوا الخيل يريدون مكة، فأقبلت اصيح (٣)
ما أستطيع أن أكتم وكان رسول الله ﷺ أمره بالكتمان. وأمر رسول الله ﷺ رجلاً أن ينظر
في القتلى فرأى سعد بن الربيع الأنصاري وبه رَمَق فقال للذي رآه: «أبلغ رسول الله
ﷺ عني السلام وقل له: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومي السلام
وقل لهم: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ أذى وفيكم عين تطرف». ثم
مات. ووجد حمزة ببطن الوادي قد بُقِرَ بطنه عن كبده ومُثِّلَ به فجدع أنفه وأذناه فحين
رآه رسول الله ﷺ قال: «لولا أن تحزن صفية أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يكون في
أجواف السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش لأمثلهن بثلاثين رجلاً
منهم. وقال المسلمون: لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب، فأنزل الله في ذلك
﴿وإن عاقبتُم فعاقبُوا بِمِثْلِ مَا عَوْيْتُم بِهِ﴾ (٤) الآية فعفا رسول الله ﷺ وصبر ونهى
عن المثلة.

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب فقال رسول الله ﷺ لأبنها الزبير: «لتردها لثلاثي ما

(١) الشِدْق: جانب الفم مما تحت الخد، وكانت العرب تمتدح رحابة الشدقين لدلالاتها على جهازة الصوت.

(٢) في الأصول: حفانة - وهو خطأ صححناه من السيرة الحلبية، والقاموس، وضبط المؤلف في آخر العروة يفيد ذلك (م).

(٣) كذا في ابن جرير وغيره، وفي الأصول أصفح وهو لا معنى له (م).

(٤) النحل: ١٢٦.

بأخيها حمزة فلقوها الزبير فأعلمها بأمر النبي ﷺ فقالت : إنه بلغني أنه مُثل بأخي وذلك في الله قليل فما أرضانا بما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن .»

فأعلم الزبير النبي ﷺ بذلك فقال : خَلَّ سبيلها . فأتته وصَلَّت عليه واسترجعت ، وأمر رسول الله ﷺ به فدُفن .

وكان في المسلمين رجل اسمه قزمان وكان رسول الله ﷺ يقول إنه من أهل النار فقاتل يوم أحد قتالاً شديداً فقتل من المشركين ثمانية أو تسعة ، ثم جرح فحُمِل إلى داره ، وقال له المسلمون . أبشر قزمان . قال بم أبشر ! وأنا ما قاتلتُ إلا عن أحساب قومي . ثم اشتد عليه جرحه فأخذ سهماً ففقطعه رواهشه ^(١) فنزف الدم فمات ، فأخبر رسول الله ﷺ فقال : أشهد أني رسول الله . وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق اليهودي قال ذلك اليوم لليهود : يا معشر يهود لقد علمتم أن نصر محمد عليكم حق . فقالوا : إن اليوم يوم السبت . فقال : لا سبت . وأخذ سيفه وعدته وقال : إن قتلت فمالي لمحمد يصنع به ما يشاء . ثم غدا فقاتل حتى قتل . فقال رسول الله ﷺ : « مخيريق خير يهود » . ^(٢)

وقتل اليمان أبو حذيفة قتله المسلمون وكان رسول الله ﷺ رفعه وثابت بن قيس بن وقش مع النساء فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان : ما ننتظر أفلا نأخذ أسيافا فنلحق برسول الله ﷺ لعل الله أن يرزقنا الشهادة؟ ففعلا ودخلا في الناس ولا يعلم بهما ؛ فأما ثابت فقتله المشركون ، وأما اليمان فأختلفت عليه سيوف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبي أبي . فقالوا : والله ما عرفناه . فقال : يغفر الله لكم . وأراد رسول الله ﷺ أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين .

واحتمل بعض الناس قتلاهم إلى المدينة ، فأمر رسول الله ﷺ بدفنهم حيث صرَعُوا ، وأمر أن يدفن الإثنين والثلاثة في القبر الواحد وأن يقدّم إلى القبلة أكثرهم قرآناً وصلّى عليهم ، فكان كلما أتى شهيد جعل حمزة معه ، وصلى عليهما ، وقيل : كان يجمع تسعة من الشهداء وحمزة عشرهم فيصلّي عليهم .

ونزل في قبره عليّ ، وأبو بكر ، وعمر ، والزبير ، وجلس رسول الله ﷺ على حفرة .

(١) الراهشان : عِرْقَان في باطن الذراعين أو الرواهش عروق ظاهر الكف . قاموس (م) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤٥/٣ ، ٨٧/١٠ (ترتيب) .

وأمر أن يُدفن عمرو بن الجموح، وعبد الله بن حرام في قبر واحد وقال: كانا متصافيين في الدنيا.

فلما دفن الشهداء انصرف رسول الله ﷺ فلقيته حمزة بنت جحش^(١) فنعى لها أخاها عبد الله فاسترجعت له ثم نعى أخاها حمزة فاستغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فولولت وصاحت؛ فقال: «إن زوج المرأة منها ليمكن».

ومر رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار فسمع البكاء والنوائح فذرفت عيناه بالبكاء وقال: «لكن حمزة لا بواكي له»^(٢). فرجع سعد بن معاذ إلى دار بني عبد الأشهل فأمر نساءهم أن يذهبن فيبكين على حمزة.

ومر رسول الله ﷺ بامرأة من الأنصار قد أصيب أبوها وزوجها فلما نعى لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: هو بحمد الله كما تحبين.

قالت: أرونيه، فلما نظرت إليه قالت: كُلُّ مصيبةٍ بعدك جليل. وكان رجوعه إلى المدينة يوم السبت يوم الوقعة.

(نيار) بالنون المكسورة والياء تحتها نقطتان وآخره راء.

و(جُبَيْر) بضم الجيم تصغير جبر، و(خَوَات) بالخاء المعجمة والواو المشددة وبعد الألف تاء فوقها نقطتان، و(حِبَان) بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة وآخره نون، و(الحُلَيْس) بضم الحاء المهملة تصغير حلس: وزبان: بالزاي والباء الموحدة وآخره نون.

(١) حَمْنَةُ بنت جَحْش أمها أميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ، وكانت ممن قال في الإفك على عائشة رضي الله عنها.

(انظر أسد الغابة ٦٩/٧ : ٧١).

(٢) أخرجه ابن ماجه رقم ١٥٩١ - والحاكم في المستدرک ٣٨١/١ ، ١٩٥/٣ - . والبيهقي ٧٠/٤ ، والطبراني في الكبير ١٩٥/٣ ، وعبد الرزاق رقم ٦٦٩٤ .

ذكر غزوة حمراء الأسد

لما كان الغد من يوم الأحد أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالغزو، وقال: « لا يخرج معنا إلا مَنْ حضر بالأمس ».

فخرج ليظن ^(١) الكفار به قوة، وخرج معه جماعة جرحى يحملون نفوسهم وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد - وهي من المدينة على سبعة أميال - فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ومر به معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم، ومشركهم عيبة نصح ^(٢) لرسول الله ﷺ بتهامة، وكان معبد مشركاً فقال: يا محمد لقد عَزَّ علينا ما أصابك. ثم خرج من عند النبي ﷺ فلقى أبا سفيان ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ ليستأصلوا المسلمين بزعمهم فلما رأى أبو سفيان معبداً. قال: ما وراءك؟

قال: محمدٌ قد خرج في أصحابه يطلبكم في جَمْعٍ لم أر مثله، قد جمع معه مَنْ تخلف عنه وندموا على ما صنعوا، وما ترحل حتى ترى نواصي الخيل.

قال: فوالله قد أجمعنا الرجعة لنسأصل بقيتهم. قال: إني أنهاك عن هذا. فثنى ذلك ^(٣) أبا سفيان ومَنْ معه، ومر بأبي سفيان ركبٌ من عبد القيس. فقال لهم: بلغوا عني محمداً رسالة وأحمّل لكم إبلكم هذه زيباً بعكاظ. قالوا: نعم. قال: أخبروه أننا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم.

فمروا بالنبي ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه فقال ﷺ: حسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) أي: ليعلم.

(٢) يريد: موضع سره.

(٣) معناه: صرفه وردّه.

ثم عاد إلى المدينة، وظفر في طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص وبأبي عزة عمرو بن عبيد الله الجمحي، وكان قد تخلف عن المشركين بحمراء الأسد، ساروا وتركوه نائماً وكان أبو عزة قد أُسرَ يوم بدر فأطلقه رسول الله ﷺ بغير فداء لأنه شكاه إليه فقراً وكثرة عيال فأخذ رسول الله ﷺ عليه العهد أن لا يقاتله ولا يُعِين على قتاله فخرج معهم يوم أُحد وحرّض على المسلمين فلما أُتي به رسول الله ﷺ، قال له: يا محمد امنن عليّ. قال: المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين. وأمر به وقتل.

وأما معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية وهو الذي جدّ أنف حمزة ومثّل به مع من مثّل به وكان قد أخطأ الطريق فلما أصبح أتى دار عثمان بن عفان فلما رآه قال له عثمان: أهلكني وأهلك نفسك. فقال: أنت أقربهم مني رَحِماً وقد جئتُك لتجيرني. وأدخله عثمان داره وقصد رسول الله ﷺ ليشفع فيه فسمع رسول الله ﷺ، يقول: إن معاوية بالمدينة فأطلبوه، فأخرجوه من منزل عثمان وانطلقوا به إلى النبي ﷺ، فقال عثمان: والذي بعثك بالحق ما جئت الا لأطلب له أماناً فهِبْه لي.

فوهبه له وأجلّه ثلاثة أيام، وأقسم لئن أقام بعدها ليقتلنه فجهزه عثمان وقال له: ارتحل. وسار رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد وأقام معاوية ليعرف أخبار النبي ﷺ. فلما كان اليوم الرابع قال النبي ﷺ: إن معاوية أصبح قريباً ولم يبعد فأطلبوه فطلبه زيد بن حارثة وعمار فأدركاه بالحماة فقتلاه، وهذا معاوية جد عبد الملك بن مروان بن الحكم لأمه.

وفيها قيل: ولد الحسن بن علي في النصف من شهر رمضان. وفيها علفت فاطمة بالحسين وكان بين ولادتها وحملها خمسون يوماً.

وفيها حملت جميلة بنت عبد الله ^(١) بن أبي عامر ^(٢) غسيل الملائكة في شوال.

(١) عبارة المؤلف مرتبة وغير صحيحة وأصلها في الطبري هكذا، وفيها حملت فيما قيل جميلة بنت عبد الله بن أبي عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر في شوال.

أقول: وعبد الله هذا هو الذي خلع طاعة يزيد بن معاوية وبايعه أهل المدينة بالإمرة ووجه يزيد إلى المدينة مسلم بن عقبة في جيش، وكانت النهاية وقعة الحرة المشؤومة (م).

(٢) هي جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول تزوجها حنظلة بن عامر فقتل عنها يوم أحد، ثم خلف عليها ثابت بن قيس بن شماس فمات عنها، ثم خلف عنها مالك بن الدخشم.

(أنظر أسد الغابة ٥٤/٧).

ودخلت السنة الرابعة من الهجرة

ذكر غزوة ^(١) الرجيع

في هذه السنة في صفر كانت غزوة الرجيع، وكان سببها أن رهطاً من غُضَل والقارة قدموا على النبي ﷺ فقالوا: إنَّ فينا إسلاماً فأبعث لنا نفرأ يفقهوننا في الدين ويقرؤنا القرآن. فبعث معهم ستة ^(٢) نفر وأمر عليهم عاصم بن ثابت ^(٣) - وقيل: مرثد بن أبي مرثد - فلما كانوا بالهَدَاة ^(٤)، غدروا واستصرخوا عليهم حياً من هُذَيْل يقال لهم: بنو لحيان ^(٥) فبعثوا لهم مائة رجل فالتجأ المسلمون إلى جبل فاستنزلوهم وأعطوهم العهد فقال عاصم: والله لا أنزل على عهد كافر، اللهم خبّر نبيك عنا، وقتلهم هو ومرثد، وخالد بن البكير، ونزل إليهم ابن الدثنة، وخُبَيْب بن عدي ^(٦) ورجل آخر فأوثقوهم. فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أتبعكم فقتلوه.

وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة فباعوهما بمكة فأخذ خبيبا بنو الحارث بن عامر بن

(١) تسمية المصنف ليوم الرجيع بغزوة فيه نظر وهو في هذا الكتاب يسلك هذا الصنع كثيراً فلا يعني المعنى الاصطلاحي له (غزوة).

(٢) في البخاري: إنهم عشرة. قال السهيلي وهو أصح.

(٣) هو عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح قيس بن عصمة الأنصاري الأوسي شهد بدرأ.

(أسد الغابة ٣/١١١/١١٢).

(٤) الهَدَاة: بلدة بأعلى مر الظهران.

(٥) بنو لحيان عشيرة من هذيل الشمال تقيم في الجهة الشرقية من مكة.

انظر: (قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ٣٠٢ - الرحلة الحجازية للبنوني ص ٥٢ - تاريخ سينا لنعوم شعير

٦٦٤).

(٦) هو خُبَيْب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة الأنصاري الأوسي شهد بدرأ.

(انظر أسد الغابة ١/١٢٠: ١٢١).

نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحد فأخذوه ليقتلوه بالحارث فينما خبيب عند بنات الحارث استعار من بعضهن موسى يستحد بها للقتل فدب صبي لها فجلس على فخذ خبيب والموسى في يده فصاحت المرأة، فقال خبيب: أتخشين أن أقتله. إن الغدر ليس من شأننا. فكانت المرأة تقول: ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب؛ لقد رأيته وما بمكة ثمرة وإن في يده لقطفاً من عنب يأكله ما كان ألا رزقاً رزقه الله خبيياً. فلما خرجوا من الحرم بخبيب ليقتلوه قال: ردوني أصلي ركعتين، فتركوه فصلاهما فجرت سنة لمن قتل صبراً، ثم قال خبيب: لولا أن تقولوا جزع لزدت، وقال أبياتاً منها:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ فِي اللَّهِ مُصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يَبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَلُو مَمْرَعٍ^(١)

اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً^(٢) ثم صلبوه. وأما عاصم بن ثابت فإنهم أرادوا رأسه لبيعوه من سلافة بنت سعد وكانت نذرت أن تشرب الخمر في رأس عاصم لأنه قتل ابنها بأحد فجاءت النحل فمنعته، فقالوا: دعوه حتى يمسي فنأخذه. فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً، وكان عاهد الله أن لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك فمنعه الله في مماته كما منع في حياته، وأما ابن الدثنة فان صفوان بن أمية بعث به مع غلامه نسطاس إلى التنعيم ليقتله بأبيه فقال نسطاس: أنشدك الله أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك. قال: ما أحب أن محمداً الآن مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، ثم قتله نسطاس.

(خَبِيب) بضم الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة بعدها ياء تحتها نقطتان وآخره باء موحدة أيضاً. و(البُكَيْر) بضم الباء الموحدة تصغير بكر.

ذكر إرسال عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان

ولما قُتِلَ عاصم وأصحابه بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار، وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب، قال عمرو: فخرجت أنا ومعي

(١) الأوصال: جمع وصل وهو العضو، والشلو- بالكسر الجسد وممنوع مقطع.

(٢) أي متفرقين، وفي رواية: ولا تبق منهم أحداً (م).

بعيرٌ لي وبرجلٍ صاحبي علة فكنت أحمله على بعيري حتى جئنا بطن يأجج^(١) فعقلنا بعيرنا في فناء شعب وقلت لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبي سفيان لنقتله فإن خشيت شيئاً فآلحق بالبعير فأركبه ، وآلحق برسول الله ﷺ وأخبره الخبر وخلّ عني فإني عالمٌ بالبلد .

فدخلنا مكة ومعني خنجر قد أعددتُهُ إن عاقني إنسان ضربته به فقال لي صاحبي : هل لك أن نبدأ فنطوف ونصلي ركعتين فقلتُ : إن أهل مكة يجلسون بأفئدتهم وأنا أعرفُ بها فلم يزل بي حتى أتينا البيت فطُفْنَا وصلينا ثم خرجنا فمررنا بمجلس لهم فعرفني بعضهم فصرخ بأعلى صوته هذا عمرو بن أمية . فثار أهل مكة إلينا وقالوا : ما جاء إلّا لشرٍّ ، وكان فاتكاً متشيطناً في الجاهلية .

فقلت لصاحبي : النجاء هذا والله الذي كنت أحذر ، أما أبو سفيان فليس إليه سبيل فأنج بنفسك فخرجنا نشد حتى صعدنا الجبل فدخلنا غاراً فبتنا فيه ليلتنا ننتظر أن يسكن الطلب . قال : فوالله إني لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك التيمي يختل بفرس له فقام على باب الغار فخرجتُ إليه فضربته بالخنجر تحت الثدي فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ورجعتُ إلى مكاني فوجدوه وبه رمق فقالوا : مَنْ ضربك؟ قال : عمرو بن أمية . ثم مات ولم يقدر يخبرهم بمكاني وشغلهم قتل صاحبهم عن طلبي فاحتملوه ، ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب ، ثم خرجنا إلى التنعيم فإذا بخشبة خبيب ، وحوله حرس فصعدتُ خشبته فاحتللتها واحتملته على ظهري فما مشيتُ به إلّا نحو أربعين خطوة حتى نذروا بي ؛ فطرحته فاشتدوا في أثري فأخذتُ الطريق فأعيوا ورجعوا وانطلق صاحبي فركب البعير وأتى النبي ﷺ فأخبره ، وأما خبيب فلم يُر بعد ذلك ، وكأن الأرض ابتلعتهُ . قال : وسرتُ حتى دخلتُ غاراً بضجنان^(٢) ومعني قوسي وأسهمي فبينا أنا فيه إذ دخل عليّ رجلٌ من بني الدئل أعور طويل يسوق غنماً فقال : مَنْ الرجل؟ قلت : من بني الدئل فاضطجع معي ورفع عقيرته يتغنى ويقول :

(٣) بالهمزة وجيمين مكان من مكة على ثمانية أميال ، قاله الأصمعي . وقال غيره : موضع صلب فيه خبيب بن عدي الأنصاري أ هـ . معجم البلدان ولعل الأخير أقرب لأنه يفيد أنه بجوار مكة كما تفيدُه عبارة المؤلف (م) .

(٢) جبل بتهامة .

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمين
ثم نام فقتلته أسوأ قتلة ثم سرت فإذا رجلان بعثتهما قريش يتجسسان أمر رسول
الله ﷺ، فرميت أحدهما بسهم فقتلته، واستأسرت الآخر فقدمت على النبي ﷺ
وأخبرته الخبر فضحك حتى بدت نواجذه ودعا لي بخير.

وفي هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة أم المساكين من بني هلال
في شهر رمضان، وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث فطلقها، وولى المشركون الحج
في هذه السنة.

ذكر بئر معونة

في هذه السنة في صَفَر قتل جمع من المسلمين ببئر معونة، وكان سبب ذلك أن أبا براء بن عازب بن عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة سيد بني عامر بن صعصعة قدم المدينة وأهدى للنبي ﷺ هدية فلم يقبلها، وقال: يا أبا براء لا أقبل هدية مشرك، ثم عَرَضَ عليه الإسلام، فلم يبعد عنه ولم يسلم، وقال: إنَّ أمرك هذا حسن، فلو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعوهم إلى أمرك لرجوت أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله ﷺ أخشى عليهم أهل نجد. فقال أبو براء: أنا لهم جار. فبعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً فيهم المنذر بن عمر والأنصاري، والحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان، وعامر بن فهيرة وغيرهم - قيل: كانوا أربعين - فساروا حتى نزلوا ببئر معونة^(١) من أرض بني عامر، وحرّة بني سليم فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي ﷺ إلى عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر إلى الكتاب وعدا على حرام فقتله. فلما طعنه قال: الله أكبر فزت ورب الكعبة.

واستصرخ بني عامر فلم يجيبوه وقالوا: لن نخفر أبا براء فقد أجارهم، فاستصرخ بني سليم، عصىة، ورعل، وذكوان، فأجابوه وخرجوا حتى أحاطوا بالمسلمين، فقاتلوهم حتى قُتِلُوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد الأنصاري، فإنهم تركوه وبه رَمَقَ فعاش حتى قُتِلَ يوم الخندق. وكان في سرح القوم عمرو بن أمية ورجلٌ من الأنصار فرأيا الطير تحوم على العسكر فقالا: إنَّ لها لشأناً فأقبلا ينظران فإذا القوم صرعى وإذا الخيل واقفة فقال عمرو: نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر. فقال الأنصاري: لا أرغب بنفسى عن موطن فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل، فأخذوا عمرو بن أمية أسيراً، فلما

(١) هو بئر بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم وقيل هي من جبال يقال لها أبلّة من طريق المصعد من المدينة إلى مكة.

علم عامر أنه من مَعَدَّ أطلقه، وخرج عمرو حتى إذا كان بالقرقرة لقي رجلين من بني عامر فنزلا معه ومعهما عقد من رسول الله ﷺ ولم يعلم به عمرو فقتلهما ثم أخبر النبي ﷺ الخبر فقال له: لقد قتلت قتيلين لأدينيهما، ثم قال رسول الله ﷺ هذا عمل أبي براء، فشق عليه ذلك. وكان فيمن قتل عامر بن فهيرة^(١)، فكان عامر بن الطفيل يقول: مَنْ الرجل منهم لما قُتِلَ رُفِعَ بين السماء والأرض؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة. وقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء على عامر بن الطفيل:

بني أم البنين ألم يرعكم وأنتم من ذوائب أهل نجد
تهكم عامر بأبي براء ليخفره وما خطاً كعمد
في أبيات له، فقال كعب بن مالك:

لقد طارت شعاعاً كل وجه خفارة ما أجار أبو براء
في أبيات أخرى. فلما بلغ ربيعة بن أبي براء ذلك حمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه فقال: إن مت فدمي لعمي. وأنزل الله عز وجل في أهل بئر معونة قرآناً ﴿بَلِّغُوا قَوْمَنَا عَنَّا أَنَا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فِرَاضِي عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ﴾ ثم نسخت.

(مَعُونَة) بفتح الميم وضم العين المهملة وبعد الواو نون، و(حرام) بالحاء المهملة والراء و(مَلْحَان) بكسر الميم وبالحاء المهملة.

ذكر إجلاء بني النضير

وكان سبب ذلك أن عامر بن الطفيل أرسل إلى النبي ﷺ يطلب دية العامريين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية - وقد ذكرنا ذلك - فخرج النبي ﷺ إلى بني النضير يستعينهم فيها ومعه جماعة من أصحابه، فيهم أبو بكر؛ وعمر، وعلي، فقالوا: نَعَمْ نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ، ثم خلا بعضهم ببعض وتآمروا على قتله وهو جالس إلى جنب

(١) هو مولى أبي بكر الصديق يكنى أبا عمرو. كان مولوداً من مولودي الأزد مملوك للطفيل بن عبدالله بن سخبرة أخي عائشة لأمها.

كان من السابقين للإسلام، أسلم قبل دخول النبي ﷺ لدار الأرقم بن أبي الأرقم - أسلم وهو مملوك وحسن إسلامه، وعذب في الله فاشتراه أبو بكر فاعتقه. شهد بدرًا وأُحُدًا وقتل يوم بئر معونة.

(أسد الغابة ٣/ ١٣٦ : ١٣٧).

جدار فقالوا: مَنْ يعلو هذا البيت فيُلقي عليه صخرة فيقتله ويريحنا منه؟ فانتدب له عمرو بن جحاش، فنهاهم عن ذلك سَلَام بن مِشْكَم وقال: هو يعلم. فلم يقبلوا منه، وصعد عمرو بن جحاش، فأتى الخبر من السماء إلى رسول الله ﷺ بما عزموا عليه، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيكم وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما أبطأ قام أصحابه في طلبه فأخبرهم الخبر، وأمر المسلمين بحربهم، ونزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فقطع النخل وأحرق وأرسل إليهم عبد الله بن أبي وجماعة معه أن أثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلّمكم وإن قوتلتهم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم وقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا النبي ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم مَنْ سار إلى الشام، فكان ممن سار إلى خيبر كنانة بن الربيع وحيّ بن أخطب، وكان فيهم يومئذ أم عمر وصاحبة عُرْوَة بن الورد التي ابتاعوا منه^(١) وكانت غفارية. فكانت أموال النضير لرسول الله ﷺ وحده يضعها حيث شاء، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف وأبا دُجانة ذكرا فقراً فأعطاهما ولم يُسلم من بني النضير إلا يامين بن عمير بن كعب وهو ابن عم عمرو بن جحاش، وأبو سعيد بن وهب وأحرزا أموالهما. واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وكانت رايته مع عليّ بن أبي طالب.

(سَلَام) بتشديد اللام، و(مِشْكَم) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة والكاف.

(١) أي إنّ بني النضير ابتاعوا أم عمرو من عورة بن الورد بحيلة كما هو دأب اليهود. حكى قصتها السهيلي في السيرة.

غزوة ذات الرقاع

أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد بني النضير شهري ربيع ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان حتى نزل نخلاً وهي غزوة الرقاع سميت بذلك لأجل جبل كانت الوقعة به، فيه سواد وبياض وحمرة؛ فاستخلف على المدينة عثمان بن عفان فلقى المشركين ولم يكن قتال وخاف الناس بعضهم بعضاً فنزلت صلاة الخوف، وقد اختلف الرواة في صلاة الخوف، وهو مستقصى في كتب الفقه، وجاء رجل من محارب إلى النبي ﷺ فطلب منه أن ينظر إلى سيفه فأعطاه السيف فلما أخذه وهزه قال: يا محمد أما تخافني. قال: لا قال: أما تخافني وفي يدي السيف. قال: لا. يمنعي الله منك. فردّ السيف إليه^(١) وأصاب المسلمون امرأة منهم وكان زوجها غائباً فلما أتى أهله أخبر الخبر فحلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب النبي ﷺ دماً وخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ فنزل رسول الله ﷺ فقال: من يحرسنا الليلة؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فأقاما بفهم شعب نزل رسول الله ﷺ واضطجع المهاجري وحرس الأنصاري أول الليل وقام يصلي، وجاء زوج المرأة فرأى شخصه فعرف أنه ربيثة القوم^(٢) فرماه بسهم، فوضعه فيه فانتزعه وثبت قائماً يصلي، ثم رماه بسهم آخر فأصابه فنزعه وثبت يصلي، ثم رماه بالثالث فوضعه فيه فانتزعه، ثم ركع وسجد، ثم أيقظ صاحبه وأعلمه فوثب، فلما رآهما الرجل علم أنهما علماً به، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري قال: سبحان الله ألا أيقظتني أول ما رماك. قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها فلما تابع عليّ الرمي أعلمتُك وأيم الله لولا خوفي أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ

(١) قال ابن هشام في السيرة وفيه نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة ١١).

(٢) الربيثة: الطليعة.

بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها^(١) وقيل إنّ هذه الغزوة كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة.

(١) وفي العودة من هذه الغزوة اشترى الرسول من جابر بن عبد الله جملة بأوقية وصار يسرع بعد أن كان يبطيء في المشي فلما وصلوا المدينة أمر بلالاً أن يؤديه أوقية وزيادة وأعاد إليه جملة أيضاً (م).

ذكر غزوة بدر الثانية

وُسِّمَتْ أيضاً غزوة السويق، وفي شعبان منها خرج رسول الله ﷺ إلى بدر لميعاد أبي سفيان بن حرب حتى نزل بدرًا فأقام عليها ثمان ليالٍ ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة إلى مَرِّ الظهران^(١) - وقيل: إلى عُسفان - ثم رجع ورجعت قريش معه فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق^(٢)، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن رواحة. وفيها تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة. وفيها أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود. وفيها في جمادى الأولى مات عبد الله بن عثمان بن عفان، وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ، وصلى عليه رسول الله ﷺ وكان عمره ست سنين. وفيها ولد الحسين بن علي بن أبي طالب في قول، وولي الحج فيها المشركون.

(١) مَرِّ الظهران، موضع على مرحلة من مكة.

(٢) يطلق على ما يصنع من الحنطة والشعير وعلى الخمر وهو المراد هنا.

الأحداث في السنة الخامسة من الهجرة

فيها تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وهي ابنة عمته كان زوجها مولاه زيد بن حارثة، وكان يقال له: زيد بن محمد فخرج رسول الله ﷺ يريد، وعلى الباب ستر من شعر فرفعته الريح فرآها وهي حاسرة فأعجبته^(١)، وكرهت إلى زيد فلم يستطع أن يقربها، فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: أراك فيها شيء؟ قال: لا والله، فقال له رسول الله ﷺ ﴿أُمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾^(٢) ففارقها زيد وحلت، وأنزل الوحي على النبي ﷺ فقال: مَنْ يبشر زينب، إن الله قد زوجنيها؟ وقرأ عليهم قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ الْآيَةَ﴾ فكانت زينب تفخر على نساءه وتقول زوجكن هلوكن وزوجني الله من السماء. وفيها كانت غزوة دومة الجندل^(٣)، في ربيع الأول، بسببها أنه بلغ النبي ﷺ أن بها جمعاً من المشركين فغزاهم فلم يلقَ كيلاً، وخلف على لمدينة سباع بن عرفة الغفاري وغنم المسلمون إبلاً وغنماً وجدت لهم، وماتت أم سعد بن عبادة وسعد مع النبي ﷺ في هذه الغزاة. وفيها وادع رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزاري أن يرعى بتغلمين وما والاها.

(عُيْنَةُ) بضم العين تصغير عين.

(١) هذه الرواية باطلة زورها الملاحدة اختلقوها أذهان أعداء المسلمين، وقد تغلغل في نفوس العلماء من حيث لا يعلمون فافتكروا في رواية الخبر فاتخذوه أساساً واعرضوا عن أن الله تعالى أعمله أنها قد صارت له زوجاً.

والعجيب من ابن الأثير مع جلالة قدره ينقل هذه الرواية المزيفة التي هي طعن صريح في رسول الله ﷺ. وقد قلد فيها ابن جرير قبله وقد وقع كلاهما في هوة الضلالة من حيث لا يشعر ولو عرضت كل الرواية على كتاب الله تعالى لما قدم أحد على هذا الأفك العظيم. (م - بتصرف).

(٢) الأحزاب : ٣٧.

(٣) انظر ابن سيد الناس ٥٤/٢ : ٥٥.

ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب

وكانت في شوال، وكان سببها أن نفرًا من يهود من بني النضير، منهم سلام بن أبي الحقيق، وحُيَّي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وغيرهم حَزَبُوا الأحزاب على رسول الله ﷺ فقدموا على قريش بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: نكون معكم حتى نستأصله. فأجابوهم إلى ذلك ثم أتوا على غطفان فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أن قريشاً معهم على ذلك فأجابوهم، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عُيَيْنَةُ بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في مرة، ومِسر بن ربيعة الأشجعي في أشجع.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ أمر بحفر الخندق وأشار به سَلَمَانُ الفارسي وكاد أول مشهد شهده مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حُرٌّ، فعمل فيه رسول الله ﷺ رغبة في الأجر وحثاً للمسلمين وتسليلاً عنه جماعة من المنافقين بغير علم رسول الله ﷺ فأنزل الله في ذلك: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾^(١) الآية، وكان الرجل من المسلمين إذا نأبته نائبة لحاجة لا بد منها يستأذن رسول الله ﷺ فيقضي حاجته ثم يعود فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢) الآية، وقسم الخندق بين المسلمين فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان كل يدعيه أنه منهم، فقال رسول الله ﷺ: «سلمان منا سلمان منا أهل البيت»^(٣).

وجعل لكل عشرة أربعين ذراعاً فكان سلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وعمرو بن عوف وستة من الأنصار يعملون فخرجت عليهم صخرة كسرت المِعْوَا فأعلموا النبي ﷺ فهبط إليها ومعه سلمان فأخذ المعول وضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة حَتَّى لَكَانَ مَصْبَاحاً في جوف بيت مظل فكبر رسول الله ﷺ والمسلمون، ثم الثانية كذلك، ثم الثالثة كذلك ثم خرج وق

(١) النور: ٦٣.

(٢) الفتح: ١٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/٢٠٠ (تهذيب) - والحاكم في المستدرک ٣/٥٩٨ - والطبراني في

الكبير ٦/٢٦١.

صدعها فسأله سلمان عما رأى من البرق فقال رسول الله ﷺ : أضاءت الحيرة وقصور كسرى في البرقة الأولى ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضاء لي في الثانية القصور الحمر من أرض الشام والروم وأخبرني أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء وأخبرني أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا ، فاستبشرو المسلمون وقال المنافقون : ألا تعجبون يعدكم الباطل ، ويخبركم أنه ينظر من يثرب الحيرة ، ومدائن كسرى ، وإنها تفتح لكم ، وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا فأنزل الله ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١) فأقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من كنانة وتهامة ، وأقبلت غطفان ومن تابعهم حتى نزلوا إلى جنب أحد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فجعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف فنزل هناك ، ورفع الذراري والنساء في الآطام .

وخرج حبي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد سيد قريظة وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه فأغلق كعب حصنه ولم يأذن له وقال : إنك امرؤ مشؤم وقد عاهدت محمداً ولم أر منه إلا الوفاء . قال حبي : يا كعب قد جئت بك بجزال الدهر وبيحر طام جئت بك بقريش وقادتها وساداتها ، وغطفان بقادتها وقد عاهدوني أنهم لا يبرحون حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه . قال كعب : جئتني بذل الدهر وبجهام (٢) قد هراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ، ويحك يا حبي دعني ومحمداً ولم يزل به يفتله في الذروة والغارب (٣) حتى حمّله على الغدر بالنبي ﷺ ففعل ونكث العهد ، وعاهده حبي إن عادت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك .

فعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ونجم النفاق من بعض المنافقين ، وأقام رسول الله ﷺ والمشركون عليه بضعا وعشرين ليلة قريباً من شهر ، ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل ، فلما اشتد البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري قائدي غطفان فأعطاهما

(١) الأحزاب : ١٢ .

(٢) هو النعيم الذي لا مطر فيه .

(٣) ذروة البعير وغاربه معروفان جعلاً مثلاً لازالته عن رأيه .

ثلاث ثمار المدينة على أن يرجعوا بمن معهما عن رسول الله ﷺ فأجابا إلى ذلك، فاستشار رسول الله ﷺ سعد بن معاذ، وسعد بن عباد فقالا: يا رسول الله شيء تحب أن تصنعه أم شيء أمرك الله به أو شيء تصنعه لنا؟ قال: بل لكم رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم، فقال سعد بن معاذ: قد كنا نحن وهم على الشرك ولا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى أو يبعأ فحين أكرمنا الله بالاسلام نعطيهم أموالنا! ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فترك ذلك رسول الله ﷺ. ثم إن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود أحد بني عامر بن لؤي، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب الفهري خرجوا على خيولهم وأجتازوا بني كنانة وقالوا: تجهزوا للحرب وستعلمون من الفرسان.

وكان عمرو بن عبدود قد شهد بدرًا كافرًا وقاتل حتى كثرت الجراح فيه ولم يشهد أحداً وشهد الخندق معلماً حتى يُعرف مكانه، فأقبل هو وأصحابه حتى وقفوا على الخندق ثم تيمموا مكاناً ضيقاً فأقتحموه فجالت بهم خيولهم في السبخة بين الخندق وطلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين فأخذوا عليهم الثغرة^(١) وكان عمرو قد خرج معلماً فقال له علي: يا عمرو إنك عاهدت أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خصلتين إلا اخذت إحداهما. قال: أجل. قال له علي: فإني أدعوك إلى الله والاسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فإني ادعوك إلى النزال. قال: والله ما أحب أن أقتلك. قال علي: ولكنني أحب أن أقتلك. فحمي عمرو عند ذلك فنزل عن فرسه وعقره ثم أقبل على علي فتجاولا وقتله علي وخرجت خيلهم منهزمة، وقتل مع عمرو رجلان قتل علي أحدهما وأصاب آخر سهم فمات منه بمكة.

ورمي سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله رماه جبان بن قيس بن العرقة بن عبد مناف من بني هضيص بن عامر بن لؤي، والعرقة أمه، وإنما قيل لها: العرقة لطيب ريح عرقها وهي قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وهي جدة خديجة أم أبيها، أو هي أم عبد

(١) وروى السهيلي عن ابن سحاق أن عمراً دعا المسلمين للمبارزة وعرض رسول الله ﷺ الأمر ثلاث مرات ولا يقوم إلا علي كرم الله وجهه ففي الثالثة. قال له: إنه عمرو. قال: وإن كان عمراً فنزل إليه وقتله وكبر فكبر المسلمون فرحاً بقتله.

مناف بن الحارث جد أبيه، فلما رمى سعداً قال: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعِرْقَةِ. فقال النبي ﷺ: عرق الله وجهك في النار. ولم يُقطع الأكل من أحد الأُمات فقال سعد: اللهم إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئاً فَأَبْقِنِي لَهَا فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَقَاتِلَهُمْ مِنْ قَوْمِ آذَوْا نَبِيَّكَ وَكَذَّبُوهُ، اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا فَاجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً وَلَا تُمَتِّنِي حَتَّى تَقْرَعَ عَيْنِي مِنْ بَنِي قَرِيطَةَ، وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

وقيل: إِنْ الَّذِي رَمَى سَعْدًا هُوَ أَبُو أَسَامَةَ الْجَشْمِيُّ حَلِيفُ بَنِي مَخْزُومٍ، فَلَمَّا قَالَ سَعْدٌ مَا قَالَ: انْقَطَعَ الدَّمُ، وَكَانَتْ صَفِيَّةُ عَمَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي فَارِعَ حَصْنِ حَسَانَ بْنِ ثَابِتٍ وَكَانَ حَسَانٌ فِيهِ مَعَ النِّسَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ جَبَانًا قَالَتْ: فَأَتَانَا آتٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقُلْتُ لِحَسَانَ: هَذَا الْيَهُودِيُّ يَطُوفُ بَنَا وَلَا نَأْمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَيَّ عَوْرَاتِنَا فَأَنْزَلَ إِلَيْهِ فَأَقْتَلَهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا قَالَتْ: فَأَخَذْتُ عَمُودًا وَنَزَلْتُ إِلَيْهِ فَقَتَلْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَقُلْتُ لِحَسَانَ: انْزِلْ إِلَيْهِ فَخُذْ سَلْبَهُ فَإِنِّي يَمْنَعُنِي مِنْهُ أَنَّهُ رَجُلٌ.

فقال: وَاللَّهِ مَا لِي بِسَلْبِهِ مِنْ حَاجَةٍ، ثُمَّ إِنْ نَعِمَ بِنِ مَسْعُودِ الْأَشْجَعِيِّ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَلَمْ يَعْلَمْ قَوْمِي فَمُرْنِي بِمَا شِئْتُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَخُذْ لَنَا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ. فخرج حتى أتى بني قريظة وكان نديماً لهم في الجاهلية فقال لهم: قد عرفتم وُدي إياكم، فقالوا: لست عندنا بمتهم، قال: قد ظاهرتم قريشاً وغطفان على حرب محمد وليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرُونَ على أَنْ تتحولوا مِنْهُ وَإِنَّ قَرِيشًا وَغَطَفَانَ إِنْ رَأَوْا نَهْزَةً^(١) وَغَنِيمَةً أَصَابُوهَا وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَحَقُّوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلُّوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بِهِ إِنْ خَلَا بِكُمْ، فَلَا تَقَاتِلُوا حَتَّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ ثَقَّةَ لَكُمْ حَتَّى تَنَاجِزُوا مُحَمَّدًا. قالوا: أَشَرْتَ بِالنُّصْحِ.

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه: قد عرفتم وُدي إياكم وفراقي محمداً، وقد بلغني أَنَّ قريظة ندموا، وقد أرسلوا إلى محمد هل يرضيك عنا أَنْ نَأْخُذَ مِنْ قَرِيشٍ وَغَطَفَانَ رَجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَنُعْطِيكَهُمْ فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ثُمَّ نَكُونُ مَعَكَ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ؟ فَأَجَابَهُمْ أَنْ نَعَمْ، فَإِنْ طَلَبَتْ قَرِيطَةُ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رَجَالِكُمْ فَلَا تَدْفَعُوا إِلَيْهِمْ رَجُلًا وَاحِدًا.

(١) النُّهْزَةُ: الفُرْجَةُ. قاموس.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: أنتم أهلي وعشيرتي وقال لهم: مثل ما قال لقريش وحذرهم، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس كان من صنع الله لرسوله أن أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان وقالوا لهم: أنا لسنا بدارٍ مُقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً. فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت لا نعمل فيه شيئاً، ولسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً ثقة لنا فإننا نخشى أن ترجعوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل ونحن ببلاده.

فلما أبلغتهم الرسل هذا الكلام قالت قريش وغطفان: والله لقد صدق نعيم بن مسعود فأرسلوا إلى قريظة: إنا والله لا ندفع اليكم رجلاً واحداً، فقالت قريظة عند ذلك: إن الذي ذكر نعيم بن مسعود لحق. وخذل الله بينهم.

وبعث الله عليهم ريحاً في ليلٍ شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم، فلما انتهى إلى النبي ﷺ اختلاف أمرهم دعا حذيفة بن اليمان ليلاً فقال: انطلق إليهم وأنظر حالهم ولا تُحدثن شيئاً حتى تأتينا. قال حذيفة: فذهبتُ فدخلتُ فيهم والريح وجنود الله تفعل فيهم ما تفعل لا يقر لهم قدر ولا بناء ولا نار، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه. قال: فأخذتُ بيد الرجل الذي بجانبني فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان. ثم قال أبو سفيان: والله لقد هلك الخف والحافر وأخلفتنا قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ أني لا أحدث شيئاً لقتلته. قال حذيفة: فرجعتُ إلى النبي ﷺ وهو قائم يصلي في مِرْط^(١) لبعض نسائه فأدخلني بين رجله وطرح عليّ طرف المرط فلما سلّم أخبرته الخبر، وسمعتُ غطفان بما فعلت قريش فعادوا راجعين إلى بلادهم، فلما عادوا قال رسول الله ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزونا» فكان كذلك حتى فتح الله مكة.

(١) المِرْط: كساء من خز أو صوف، أو كتان تتزر به المرأة - وجمعه مروط.

ذكر غزوة بني قريظة

لما أصبح رسول الله ﷺ عاد إلى المدينة ووضع المسلمون السلاح وضرب على سعد بن معاذ قبة في المسجد ليعوده من قريب، فلما كان الظهر أتى جبريل النبي ﷺ فقال: أقد وضعت السلاح؟ قال: نعم. قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح إن الله يأمرُك بالمشير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم. فأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى: مَنْ كَانَ سَامِعاً مَطِيعاً فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قَرِيظَةَ. وقدم علياً إليهم برايته وتلاحق الناس ونزل رسول الله ﷺ وأتاه رجال بعد العشاء الأخيرة فصلوا العصر بها وما عابهم رسول الله ﷺ، وحاصر بني قريظة شهراً أو خمساً وعشرين ليلة فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن تبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر^(١) - وهو أنصاري من الأوس - نستشير. فأرسله، فلما رآوه قام إليه الرجال وبكى النساء والصبيان فرق لهم فقالوا ننزل على حكم رسول الله. فقال: نعم وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح. قال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى عرفت أنني خنتُ الله ورسوله، وقلت: والله لا أقمتُ بمكانٍ عصيتُ الله فيه. وانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد وقال: لا أبرح حتى يتوب الله عليّ فتاب الله عليه وأطلقه رسول الله ﷺ.

ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فقال الأوس: يا رسول الله افعل في موالينا مثل ما فعلت في موالي الخزرج يعني بني قينقاع وقد تقدم ذكرهم، فقال: ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ؟ قالوا بلى. فأتاه قومه فاحتملوه على حمار ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك، فلما كثروا عليه قال: قد

(١) هو أبو لبابة رفاعه بن عبد المنذر، الأنصاري. كان نقيباً شهد العقبة وسار مع النبي إلى بدر فردّه إلى المدينة فاستخلفه عليها.

(انظر اسد الغابة ٦/ ٢٦٥ : ٢٦٧) .

آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فعلم كثيرٌ منهم أنه يقتلهم فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال : قوموا إلى سيدكم أو قال : خيركم^(١) فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا : يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك فقد رد رسول الله ﷺ الحكم فيهم إليك . فقال سعد : عليكم عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم إليّ . قالوا : نعم . فالتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها النبي ﷺ وغض بصره عن رسول الله ﷺ إجلالاً وقال : وعلى من ها هنا العهد أيضاً . فقالوا : نعم . وقال رسول الله ﷺ نعم . قال : فإنني أحكم أن تقتل المقاتلة ، وتُسبى الذرية والنساء ، وتقسم الأموال . فقال له رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

ثم استنزلوا فحبسوا في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فيها وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد سيدهم وكانوا ستمائة أو سبعمائة ، وقيل : ما بين سبعمائة وثمانمائة ، وأتي بحبي بن أخطب وهو مكتوف فلما رأى النبي ﷺ قال : والله ما لُمت نفسي في عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل . ثم قال للناس : إنه لا بأس بأمر الله كتاب^(٢) وقدر ، وملحمة كُتبت على بني إسرائيل . فأجلس وضربت عنقه ، ولم تقتل منهم إلا امرأة واحدة قتلت بحدّث أحدثته^(٣) ، وقتلت أرفعة بنت عارضة منهم ، وأسلم منهم^(٤) ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسيد بن عبيد .

ثم قسم رسول الله ﷺ أموالهم فكان للفارس ثلاثة أسهم للفارس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ممن ليس له فرس سهم ، وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً وأخرج منها الخمس . وكان أول فيء وقع فيه السهمان والخمس ، وأصطفى رسول الله ﷺ لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة من بني قريظة فأراد أن يتزوجها فقالت : اتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك . فلما انقضى أمر قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ واستجاب الله

(١) أخرجه الترمذي رقم ١٥٦ ، وأحمد ١٤١/٦ - ١٤٢ .

وينحوه أخرجه البخاري ١٧٥/٤ ، وأبوداود ٥٢١٥ ، وأحمد ٢٢/٢ ، ٧١ .

(٢) في الأصول : كتاب - وهو غلط (م) .

(٣) وهي أنها طرحت رحا على خلاد بن سويد فقتله فقتلت . (سيرة ابن هشام) (م) .

(٤) قال ابن هشام في السيرة : إنهم ليسوا من بني قريظة وإنما هم من بني هذيل ونسبهم فوق ذلك وهم بنو عَم .

أهـ (م) .

دعائه وكان في خيمته^(١) التي في المسجد فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وقالت عائشة: سمعت بكاء أبي بكر وعمر عليه وأنا في حجرتي، وأما النبي ﷺ فكان لا يبكي على أحد كان إذا اشتد وجده أخذ بلحيته، وكان فتح قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة. وقتل من المسلمين في الخندق ستة نفر، وفي قريظة ثلاثة نفر.

(١) الذي في سيرة ابن هشام أنها خيمة رفيدة ممرضة جرحى المسلمين (م).

ودخلت سنة ست من الهجرة

ذكر غزوة بني لحيان

في جمادى الأولى منها خرج رسول الله ﷺ إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة، وأغد السير حتى نزل على غُرَان منازل بني لحيان وهي بين أمج، وعسفان، فوجدتهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلما أخطأه ما أراد منهم خرج في مائتي راكب حتى نزل بعسفان تخويفاً لأهل مكة وأرسل فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم عاد قافلاً.

(غُرَان) بضم الغين المعجمة وفتح الراء وبعد الالف نون، و (أمج) بفتح الهمزة والميم وآخره جيم.

ذكر غزوة ذي قرد

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة فلم يُقم إلا أياماً قلائل حتى أغار عُيَيْنَةُ بن حصن الفزاري في خيل غطفان على لقاح النبي ﷺ، وأول مَنْ نذر بهم سلمة بن الأكوع الأسلمي. هكذا ذكرها أبو جعفر بعد غزوة بني لحيان عن ابن اسحاق والرواية الصحيحة عن سلمة أنها كانت بعد مَقْدِمِهِ المدينة منصرفاً من الحديبية، وبين الوقعتين تفاوت. قال سلمة بن الأكوع: أقبلنا مع النبي ﷺ إلى المدينة بعد صلح الحديبية^(١) فبعث رسول الله ﷺ بظهره مع رباح غلامه وخرجت معه بفرس طلحة بن عبيد الله فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عيينة بن حصن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أجمع وقتل راعيه قلت: يا رباح هذه الفرس فأبلغها طلحة وأخبر النبي ﷺ أن

(١) وهي الواقعة لرواية مسلم في صحيحه.

المشركين قد أغاروا على سرحه . ثم استقبلت الأكمة^(١) فناديت ثلاث أصوات « يا صباحاه » ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل وأرتجز وأقول :

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع^(٢)

قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم فإذا خرج إليّ فارس قعدت في أصل شجرة فرميته فعقرت به وإذا دخلوا في مضايق الجبل رميتهم بالحجارة من فوقهم فما زلت كذلك حتى ما تركت من ظهر رسول الله ﷺ بعيداً إلا جعلته وراء ظهري وخلصوا بيني وبينه وألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً وثلاثين بردة يستخفون بها لا يلقون شيئاً إلا جعلت عليه أمانة أي علامة حتى تعرفه أصحاب رسول الله ﷺ حتى إذا انتهوا إلى مضايق من ثنية أتاها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ممداً فقعدوا يتضحون^(٣) فلما رأني قال : من هذا؟ قالوا : لقينا منه البرح^(٤) وقد استنقذ كل ما بأيدينا فما برحت مكاني حتى أبصرت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر أولهم الأخرم الأسدي واسمه مُحَرَز بن نضلة من أسد بن خزيمة . وعلى أثره أبو قتادة ؛ وعلى أثره المقداد بن الأسود الكندي فأخذت بعنان الأخرم^(٥) وقلت : أحذر القوم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه . فقال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تحل بيني وبين الشهادة . قال : فخليته فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم ، ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فأنطلقوا هاربين ، قال سلمة : فوالذي كرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم شيئاً وعدلوا قبل غروب الشمس إلى غار فيه ماء يقال له : ذو قرد ليشربوا منه وهم عطاش فنظروا إليّ أعدو لي آثارهم فاجلितهم عنه فما ذاقوا منه قطرة ، قال : واشتدوا في ثنية ذي أبهر^(٦) فأرشق

(١) الأكمة : التل - الجمع : آكام .

(٢) أي اليوم يوم هلاك اللثام وهم الرضع .

(٣) أي : يتغدون .

(٤) الشدة والشر .

(٥) في الأصول : أحزم - وهو خطأ (م) .

(٦) ثنية ذي أبهر : اسم جبل في الحجاز .

وفي الأصول : بيت وهو لحن صححناه من صحيح مسلم (م) .

بعضهم بسهم فيقع في نُغض كتفه^(١) فقلت:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

وأرادوا فرسين على ثنية فجئت بهما أقودهما إلى النبي ﷺ ولحقني عمي عامر بسطيحة فيها مذقة^(٢) من لبن وسطحية فيها ماء فتوضأت وصليت وشربت ثم جئت إلى النبي ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه بذي قرد، وإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الأبل التي استنقذت من العدو وكل رمح وكل بردة وإذا بلال قد نحر لهم ناقة من الإبل وهو يشوي منها. فقلت: يا رسول الله خلني أنتخب مائة رجل فلا يبقى منهم عين تطرف. فضحك وقال: إنهم ليقرون بأرض غطفان، فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزوراً فلما كشطوا عنها جلدها رأوا غباراً فقالوا: أتيتم فخرجوا هاربين. فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع ثم أعطاني رسول الله ﷺ سهمين سهم الفارس وسهم الراجل، ثم أردفني وراءه على العضباء راجعين إلى المدينة فبينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً فقال: ألا من مُسابقٍ مراراً، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ائذن لي فلأسابق الرجل. قال: إن شئت. قال: فطفرت^(٣) فعدوت فربطت عليه شرفاً أو شرفين استبقي نفسي، ثم عدوت في أثره فربطت عليه شرفاً أو شرفين، ثم إني رفعت حتى ألحقه فأصكه بين كتفيه فقلت: سبقتك والله، قال: أنا أظن. فسبقته إلى المدينة فلم نمكث بها إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر. وفي هذه الغزوة نودي يا خيل الله اركبي ولم يكن يقال: قبلها.

(قرد) بفتح القاف والراء.

(١) النغض: هو العظم الرقيق على طرف الكتف سمي بذلك لكثرة تحركه (م).

(٢) أي: شربة من اللبن الممزوج أي المخلوط بالماء (م).

(٣) أي: وثبت وقفزت.

ذكر غزوة بني المصطلق من خزاعة

ذكرت هذه الغزوة بعد غزوة ذي قرد، وكانت في شعبان من السنة سنة ست، وكان بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق تجمعوا له، وكان قائدهم الحارث بن أبي ضرار - أبو جويرية زوج النبي ﷺ - فلما سمع بهم خرج إليهم فلقاهم بماء لهم يقال له: المُرَيْسِيْعُ^(١) بناحية قديد فأقتتلوا فانهزم المشركون، وقُتِلَ من قُتِلَ منهم؛ وأصيب رجل من المسلمين من بني ليث بن بكر اسمه هشام بن صبابه أخو مقيس بن صبابه أصابه رجل من الأنصار بسهم من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ. وأصاب رسول الله ﷺ سبايا كثيرة فقسمها في المسلمين، وفيهم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس أولأبن عم له فكاتبته عن نفسها فأنت رسول الله ﷺ فاستعانتها في كتابتها فقال لها: هل لك على خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي كتابتك وأتزوجك. قالت: نعم يا رسول الله. ففعل وسمع الناس الخبر فقالوا: أصهار رسول الله فاعتقوا أكثر من مائة بيت من أهل بني المصطلق فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها منها.

وبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له: جهجاه فآزدهم هو وسانان الجهني حليف بني عوف من الخزرج على الماء فأقتتلا فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار. وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين. فغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث السن فقال: أو قد فعلوها؟ قد كاثرونا في بلادنا، أما والله ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾^(٢) ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما

(١) هو ماء من ناحية قديد إلى الساحل.

(٢) المنافقون: ٨.

فعلتم بأنفسكم أحللتموهم ببلادكم وقاسمتموهم أموالكم والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادك، فسمع ذلك زيد فمشى به إلى النبي ﷺ وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من غزوه فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله مر به عباد بن بشر فليقتله. فقال رسول الله ﷺ كيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ ولكن أذن بالرحيل. فارتحل في ساعة لم يكن يرتحل فيها ليقطع ما الناس فيه، فلقيه أسيد بن حضير فسلم عليه وقال: يا رسول الله لقد رحت في ساعة لم تكن تروح فيها؟ فقال: أو ما بلغك ما قال عبد الله بن أبي؟ قال: وماذا قال؟ قال: زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال أسيد: فأنت والله تخرجه إن شئت فإنك العزيز وهو الذليل.

ثم قال: يا رسول الله أرفق به فوالله لقد من الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً. وسمع عبد الله بن أبي أن زيدا أعلم النبي ﷺ قوله فمشى إلى رسول الله ﷺ فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به، وكان عبد الله في قومه شريفاً فقالوا: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أخطأه. وأنزل الله ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ (١) تصديقاً لزيد، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد وقال: هذا الذي أوفى الله بأذنه. وبلغ عبد الله بن أبي بن سلول ما كان من أمر أبيه فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بلغني أنك تريد قتل أبي فإن كنت فاعلاً فمُرني به فأنا أحمل إليك رأسه، وأخشى أن تأمر غيري بقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال النبي ﷺ: بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا، فكان بعد ذلك إذا أحدث حدثاً عاتبه قومه وعنفوه وتوعدوه فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم: كيف ترى ذلك يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته؟ فقال عمر: أمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري. وفيها قدم مقيس بن صبابه مسلماً فيما يظهر فقال: يا رسول الله جئت مسلماً وجئت أطلب دية أخي وكان قتل خطأ، فأمر له بدية أخيه هشام بن صبابه وقد تقدم ذكر قتله آنفاً، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتداً فقال:

(١) المنافقون: ١.

شفى النفس أنْ قد بات في القاع مسنداً تضرّج ثوبيه دماء الأخادع^(١)
 وكانت هموم النفس من قبل قتله تلم فتحميني وطاء المضاجع
 حللت به نذري وأدركت ثورتي وكنت إلى الأصنام أول راجع
 (مَقِيس) بكسر الميم وسكون القاف وفتح الياء تحتها نقطتان، و (صباة)
 بصاد مهملة وبياءين موحدتين بينهما ألف، و (أسيد) بهمزة مضمومة، و (حُضِير)
 بضم الحاء المهملة وفتح الضاد.

حديث الأفك

وكان حديث الإفك في غزوة بني المصطلق، لما رجع رسول الله ﷺ فكان
 ببعض الطريق قال أهل الافك ما قالوا، وكان من حديثه ما روي عن عائشة قالت: كان
 رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فاما
 كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه فخرج سهمي فخرج بي معه. وكان النساء إذ
 ذاك إنما يأكلن العلقة لم يتفكهن^(٢) باللحم وكنت إذا وصل بعيري جلست في هودجي
 ثم يأتي القوم الذين يرحلون بعيري فيحملون الهودج وأنا فيه فيضعونه على ظهر البعير
 ثم يأخذون برأس البعير ويسIRON. قالت: فلما قفل رسول الله ﷺ من سفره ذلك وكان
 قريباً من المدينة بات بمنزل بعض الليل ثم ارتحل هو والناس وكنت قد خرجت لبعض
 حاجتي وفي عنقي عقد لي من جَزَع^(٣) ظفار أنسل من عنقي ولا أدري، فلما رجعت
 ألتمست العقد فلم أجده وأخذ الناس في الرحيل فرجعت إلى المكان الذي كنت فيه
 ألتمسه فوجدته، وجاء القوم الذين يرحلون بعيري فأخذوا الهودج وهم يظنون أنني فيه
 فاحتملوه على عادتهم وانطلقوا.

ورجعت إلى المعسكر وما فيه من داع ولا مجيب، فتلففت بجلبابي
 واضطجعت في مكاني وعرفت أنهم يرجعون إليّ إذا افتقدوني. قالت: فوالله إني

(١) هي عروق في القفا، وإنما هما أخذعان جمعهما مع ما يليهما.

(٢) كذا بالأصول، وفي الطبري: لم يهيجن من هيجه إذ أورمه أي لم يصرن وارمات الأبدان باللحم وهو
 الموافق لرواية البخاري في صحيحه لم يهبلهن أي يجعلهن وارمات منتفخات ولا وجه لما في الأصل إلا
 أن تكون من تفكه إذا تمتع وتلذذ كما في القاموس أي يرويه فخراً (م).

(٣) الجزع: الخرز اليماني وظفار اسم مدينة لحمير باليمن.

لمضطجعة إذ مرّ بي صفوان بن المَعَطَّل^(١) السلمي وقد كان تخلف عن العسكر لحاجته فلم يبت مع الناس فلما رأى سوادي أقبل حتى وقف عليّ فعرفني ، وكان رأيّ قبل أن يُضْرَبَ الحجاب ، فلما رأيّ استرجع وقال : ما خلفك ؟ قالت : فما كَلَّمْتُه ثم قَرَّبَ البعير وقال : أركبي فركبتُ ، وأخذ برأس البعير مسرعاً ، فلما نزل الناس واطمأنوا أطلع الرجل يقود بي فقال أهل الأفك : ما قالوا ، فارتعج^(٢) العسكر ولم أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة فاشتكت شكوى شديدة وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويّ ولا يذكران لي منه شيئاً إلا أنني أنكرتُ من رسول الله ﷺ بعضَ لُطْفِهِ فكان إذا دخل عليّ وأمي تمرضني قال : كيف تَيْكُم ؟ لا يزيد عليّ ذلك ، فوجدت في نفسي مما رأيتُ من جفائه لي فاستأذنته في الانتقال إلى أمي لتمرضني فأذن لي وانتقلت ولا أعلم بشيء مما كان حتى نقهت^(٣) من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة . قالت : وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف نعافها ونكرها إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة فخرجتُ ليلة لبعض حاجتي ومعِي أم مسطح ابنة أبي رهم بن المطلب ، وكانت أمها خالة أبي بكر الصديق قالت : فوالله إنها لتمشي إذ عثرت في مرطها فقالت : تعس مسطح . قالت : قلت لعمر الله بشما قلت لرجلٍ من المهاجرين قد شهد بدرأ . قالت : أو ما بلغك الخبر ؟ قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان . قالت : فوالله ما قدرتُ على أن أقضي حاجتي ، فرجعتُ فما زلتُ أبكي حتى ظننتُ أن البكاء سيصدع كبدي ، وقلت لأمي : تحدّث الناسُ بما تحدثوا به ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ؟ قالت : أي بنية خفّضي عليك فوالله قلّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن وكثر الناس عليها ، قالت : وقد قام رسول الله ﷺ في الناس فخطبهم ولا أعلم بذلك ، ثم قال : أيها الناس ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهن غير الحق ويقولون ذلك لرجلٍ والله ما علمتُ عليه إلا خيراً وما دخل بيتاً من بيوتي إلا معي .

وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبيّ بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال

(١) هو صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي بن محارب بن مرة السلمي .

شهد الخندق والمشاهد بعدها . وكان شجاعاً خيراً فاضلاً قتل في غزوة أرمينية .

(انظر أسد الغابة ٣ / ٣٠ : ٣١) .

(٢) أي : اضطرب ، واقلق .

(٣) أي برئت .

مسطح وحمئة بنت جحش ، وذلك أن زينب أختها كانت عند رسول الله ﷺ فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضارني لاختها ، فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير : يا رسول الله ﷺ إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك . فقال سعد بن عبادة ، والله ما قلت هذه المقالة إلا وقد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت ولكنك منافق تجادل عن المنافقين . وتجاوز الناس^(١) حتى كاد يكون بينهم شر ، ونزل رسول الله ﷺ ودعا علي بن أبي طالب وأسامه بن زيد فاستشارهما فأما اسامة فأثنى خيراً ، وأما علي فقال : إن النساء لكثير وسل الخادم تصدقك . فدعا رسول الله ﷺ بريرة يسألها فقام إليها علي فضربها ضرباً شديداً وهو يقول : آصدقي رسول الله فقالت : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيبُ عليها شيئاً إلا إنها كانت تنام عن عجينها فتأتي الداجن^(٢) فتأكله .

ثم قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وعندي أبوي وامرأة من الأنصار وأنا أبكي وهي تبكي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا عائشة : إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس فإن كنت قارفتِ سوءاً فتوبي إلى الله . قالت : فوالله لقد تقلص دمعي حتى ما أحس منه شيئاً وانتظرتُ أبوي أن يجيباه فلم يفعلوا فقلت : ألا تجيبانه ! فقالا : والله ما ندري بما نجيبه وما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل علي أبي بكر تلك الأيام .

فلما أن استعجما علي بكيتُ ثم قلت : والله لا أتوبُ إلى الله مما ذكرتُ أبداً والله لئن أقررتُ - والله يعلم أنني منه بريئة - لتصدقني ولئن أنكرتُ لا تصدقوني . ثم ألتمست اسم يعقوب فلم أجده فقلت : ولكني أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾^(٣) . ولشأنني كان أصغر في نفسي أن ينزل الله في قرآناً يتلى ولكني كنت أرجو أن يرى رؤيا يكذب الله بها عني قالت : فوالله ما برح رسول الله ﷺ من مجلسه حتى جاء الوحي فسجى بثوبه فأما أنا فوالله ما فرعتُ ولا باليتُ قد عرفتُ أنني بريئة وأن الله غير ظالمي ، وأما أبوي فما سري عن رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجن أنفسهما

(١) أي : توافوا .

(٢) الداجن : كل ما ألف البيوت وأقام بها من حيوانات وطيور .

(٣) يوسف : ٨٣ .

فرقاً^(١) من أن يحقق الله ما قال الناس . قالت : ثم سري عن رسول الله ﷺ وإنه ليتحدر عنه مثل الجُمان^(٢) فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك . فقلت : بحمد الله .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم وذكر لهم ما أنزل الله في القرآن ، ثم أمر بمسطح بن أثاثه ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا بواحدهم . وحلف أبو بكر لا ينفق على مسطح أبداً فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾^(٣) الآية ، فقال أبو بكر : إني أحب أن يغفر الله لي . ورجع إلى مسطح نفقته . ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما كان يقول فيه فضربه ثم قال :

تلق ذباب السيف عني فإنني غلامٌ إذا هوجيت لست بشاعر

فوثب ثابت بن قيس بن شماس فجمع يديه إلى عنقه وانطلق به إلى الحارث بن الخزرج فلقه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا؟ فقال : ضرب حساناً وما أراه إلا قتله . فقال عبد الله : هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت . قال : لا والله قال : لقد اجترأت أطلق الرجل فأطلقه . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فدعا حسان وصفوان بن المعطل فقال صفوان : هجاني يا رسول الله وآذاني فضربته . فقال رسول الله ﷺ لحسان : أحسن يا حسان . قال : هي لك يا رسول الله فأعطاه رسول الله ﷺ عوضاً منها بيرحاء وهي قصر بني حذيلة بالحاء المهملة وأعطاه سيرين أمة قبطية وهي أخت مارية أم إبراهيم بن رسول الله فولدت له ابنه عبد الرحمن . وكان صفوان حصوراً لا يأتي النساء ثم قتل بعد ذلك شهيداً .

(مسطح) بكسر الميم وسكون السين المهملة وبالطاء والحاء المهملتين .

ذكر عُمره الحديبية

في هذه السنة خرج رسول الله ﷺ معتمراً في ذي القعدة لا يريد حرباً ، ومعه جماعة من المهاجرين والأنصار ومن تبعه من الأعراب ألف وأربعمائة- وقيل : ألف

(١) أي : خوفاً .

(٢) الجُمان : اللؤلؤ .

(٣) النور : ٢٢ .

وخمسمائة، وقيل: ثلاثمائة - وساق الهدي معه سبعين بدنة ليعلم الناس أنه إنما جاء زائراً للبيت، فلما بلغ عُسفان لقيه بسر بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فاجتمعوا بذي طوى يحلفون بالله لا تدخلها عليهم أبداً، وقد قدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم - وقيل: إن خالداً كان مع النبي ﷺ مسلماً وأنه أرسله فلقي عكرمة بن أبي جهل فهزمه والأول أصح - ولما بلغه بسر ما فعلت قريش قال رسول الله ﷺ: « يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس » فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهروني الله دخلوا في الإسلام وافرين!، والله لا أزال أجاهدكم على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(١)

ثم خرج على غير الطريق التي هم بها وسلك ذات اليمين حتى سلك ثنية الممرار^(٢) على مهبط الحديدية فبركت به ناقته، فقال الناس: خلأت^(٣) فقال: « ما خلأت ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا يدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ».

ثم قال للناس: أنزلوا فقالوا: ما بالوادي ماء ينزل عليه. فأخرج سهماً من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه في جوفه فجاش الماء بالري حتى ضرب الناس عنه بعطن، وكان اسم الذي أخذ السهم ناجية بن جندب بن عمير سائق بدن النبي ﷺ فبينما هم كذلك أتاهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه خزاعة وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ من تهامة، فقال: تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي أعداد مياه الحديدية وهم مقاتلون وصادوك عن البيت فقال النبي ﷺ: « إنا لم نأت لقتال أحدٍ ولكننا جئنا معتمرين وإن شاءت قريش ماددناهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس وإن أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ». فانطلق بديل إلى قريش فأعلمهم ما قال النبي ﷺ فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: إن هذا الرجل عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها دعوني آته. فقالوا: آته. فأتاه وكلمه فقال له: يا محمد جمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك

(١) السالفة: مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى قلت الترقوة. قاموس.

(٢) بضم الميم وتخفيف الراء في صحيح مسلم.

(٣) أي: حرنت ولم تمش.

لتفضيها^(١) بهم إنها قریش قد خرجت معها العوذ المطافيل^(٢)، قد لبسوا جلود النمر، يعاهدون الله أنك لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد تكشفوا عنك غدا.

فقال أبو بكر : امصص بظر اللات^(٣) أنحن ننكشف عنه ! قال : من هذا يا محمد؟ قال النبي ﷺ : هذا ابن أبي قحافة . فقال : أما والله لولا يدُ كانت لك عندي لكافأتك بها^(٤)، ثم جعل يتناول لحيّة رسول الله ﷺ وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد فجعل يقرع يده إذا تناولها ويقول له : آكُفْ يدك قبل أن لا تصل إليك . فقال عروة : من هذا يا محمد؟ قال النبي ﷺ : هذا ابن أخيك المغيرة، فقال : أي غدر وهل غسلت سواتك إلا بالأمس؟ وكان المغيرة قد قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك وهرب، فتهايج الحيان بنو مالك رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة فودى عروة للمقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح ذلك الأمر - وطال الكلام بينهم . فقال له النبي ﷺ نحو مقالته لبديل، فقال له عروة : يا محمد، أرأيت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحدٍ من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وجعل يرمق أصحاب النبي ﷺ فوالله لا يتنخم النبي نخامة إلا وقعت في كف أحدهم فذلك بها وجهه وجلده، وإن أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على وضوئه، وما يجدون النظر إليه تعظيماً له . فرجع عروة إلى أصحابه وقال : أي قوم قد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي فوالله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، وحديثهم ما رأى وما قال النبي ﷺ . فقال رجل^(٥) من كنانة : دعوني آته فقالوا آته . فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال النبي ﷺ : هذا فلان وهو من قوم

(١) وفي الأصول : « لبعض فعل بهم » وهو تصحيف لا معنى له ، وقد صححناه من أصله سيرة ابن هشام (م) .

(٢) العوذ المطافيل : هي النياق الحديثة التاج يتبعها أطفالها قد علقت عليها التعاويذ (م) .

(٣) البظر : الهنة التي تقطع من فرج المرأة عند الختان والأوشاب الاخلاط بمعنى الأوباش ، وبيضة الرجل أهله وقبيلته ، ولتفصنها لتكسرهما واللوات الصنم (م) .

(٤) الذي في الطبري . لولا يدُ كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك (م) .

(٥) هذه العبارة فيها سقط وتحريف وصححناها من أصلها من ابن جرير وقد كانت هكذا : « فقال رجل هذا فلان وهو من كنانة اسمه الحليس بن علقمة وهو سيد الأحابيش دعولي آتيسه . فلما رآه النبي ﷺ قال : من قوم يعظمون البدن . ولا معنى له كما ترى (م) .

يعظمون البدن فآبعثوها له فبعثت له واستقبله قوم يلبون فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت .

وقيل : إن قريشاً بعثت إليه الحليس بن علقمة وهو سيد الأحابيش فلما رآه النبي ﷺ قال : إن هذا من قوم يتألهون فآبعثوا الهدى في وجهه حتى يراه . فلما رأى الهدى رجع إلى قريش ولم يصل إلى النبي ﷺ فقال : يا قوم قد رأيت ما لا يحل صدّه الهدى في قلائده . فقالوا : اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك . فقال : والله ما على هذا حالناكم أن تصدوا عن البيت من جاء معظماً له ، والذي نفسي بيده لتخلن بين محمد وبين البيت أو لأنفرن الأحابيش نفرة رجل واحد . قال : فقالوا : مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا . فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال : دعوني آته . فقالوا : أفعل . فلما أشرف على النبي ﷺ قال : لأصحابه : هذا رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فلما جاء قال النبي : سهل أمركم .

وقال ابن اسحاق : إن قريشاً إنما بعثت سهيلاً بعد رسالة رسول الله ﷺ مع عثمان بن عفان ، قال : لما رجع عروة بن مسعود إلى قريش بعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش على جمل له يقال له : الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش وخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ عمر ليرسله إلى مكة ، فقال : ليس بمكة من بني عدي من يمنعني وقد علمت قريش عداوتي لها وغلظتي عليها وأخافها على نفسي ، فأرسل عثمان فهو أعز بها مني ، فدعا عثمان فأرسله ليبلغ عنه فأنطلق فلقية أبان بن سعيد بن العاص فأجاره فأتى أبا سفيان ، وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ، فقالوا لعثمان حين فرغ من أداء الرسالة : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به النبي ﷺ فاحتبسته قريش عندها فبلغ النبي ﷺ أنه قد قتل فقال : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ثم دعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وهي سمرة لم يتخلف منهم أحد إلا الجد بن قيس وكان أول من بايعه رجل من بني أسد يقال له : أبوسنان ، ثم أتى الخبر أن عثمان لم يقتل .

ثم بعث قريش سهيل بن عمرو وأخا بني عامر بن لؤي إلى النبي ﷺ ليصالحه على أن يرجع عنهم عامه ذلك ، فأقبل سهيل إلى النبي ﷺ وأطال معه الكلام وتراجعا ،

ثم جرى بينهم الصلح ، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم . فكتبها ، ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . فقال : لعلي امح رسول الله . فقال : لا أمحوك أبداً . فأخذ رسول الله ﷺ وليس يحسن أن يكتب فكتب موضع رسول الله محمد بن عبد الله ، وقال لعلي لتبليين بمثلها ، اصطلاحاً على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن الناس ، وإنه من أتى منهم رسول الله بغير إذن وليه رده إليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم يردوه عليه ومن أحب أن يدخل في عهد رسول الله دخل ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل ، فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ، ودخلت بنو بكر في عهد قريش ، وأن يرجع رسول الله ﷺ عنهم عامه ذلك فإذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً ، وسلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها غيرها . فبينا النبي ﷺ يكتب الكتاب إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وكان أصحاب النبي لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل أخذه ، وقال : يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت ، وأخذه ليرده إلى قريش ، فصاح أبو جندل يا معشر المسلمين أردّ إلى المشركين ليفتنوني عن ديني !

فزاد الناس شراً إلى ما بهم فقال له رسول الله ﷺ : احتسب ، فإن الله جاعل لك وللمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد أعطينا القوم عهدنا على ذلك فلا تغدر بهم . قال فوثب عمر بن الخطاب يمشي مع أبي جندل ويقول له : أصبر واحتسب فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب ، وأدنى قائم السيف منه رجاء أن يأخذه فيضرب به أباه . قال : فبخل الرجل بأبيه ونفذت القضية ، وشهد جماعة على الصلح من المسلمين ؛ فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم ، وجماعة من المشركين ، فلما فرغ النبي ﷺ من قضيته قال : قموموا فأنحروا ثم أحلقوا فما قام أحد حتى قال ذلك مراراً فلما لم يبق أحد منهم دخل على أم سلمة فذكر لها ذلك فقالت : يا نبي الله أخرج ولا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك وتحلق شعرك . ففعل ، فلما رأوا ذلك قاموا فأنحروا وحلقوا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً للازدحام فما فتح في الاسلام

قبله فتح كان أعظم منه حيث آمن الناس كلهم بعضهم بعضاً فدخل في الاسلام تينك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك وأكثر.

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية الثقفي وهو مسلم، وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه الأزهر بن عبد عوف، والأخنس بن شريق وبعثا فيه رجلاً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقال له رسول الله ﷺ: قد علمت أنا قد أعطينا هؤلاء القوم عهداً ولا يصلح الغدر في ديننا. فأنطلق معهما إلى ذي الحليفة فجلسوا وأخذ أبو بصير سيفاً أحدهما فقتله به وخرج المولى سريعاً إلى النبي ﷺ فأخبره بقتل صاحبه ثم أقبل أبو بصير فقال: يا رسول الله قد وفّت ذمتك وأنجاني الله منهم. فقال رسول الله ﷺ «ويل أمه مسّعر حرب لو كان له رجال»^(١) فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج أبو بصير حتى نزل بناحية ذي المروة على ساحل البحر على طريق قريش إلى الشام، وبلغ المسلمين الذي كانوا حبسوا بمكة ذلك فخرجوا إلى أبي بصير، منهم أبو جندل فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً فضيقوا على قريش يعترضون العير تكون لهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ يناشدونه الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن فأواهم رسول الله ﷺ، وفيها نزلت (سورة الفتح). وهاجر إلى رسول الله ﷺ نسوة مؤمنات فيهن أم كلثوم ابنة عتبة بن أبي معيط فجاء أخوها عمارة والوليد يطلبانها فأنزل الله ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ الآية، فلم يرسل امرأة مؤمنة إلى مكة، وأنزل الله ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾^(٢) فطلق عمر بن الخطاب امرأتين له إحداهما قريبة بنت أبي أمية، والثانية أم كلثوم بنت عمرو بن جرويل الخزاعي وهما مشركتان. فتزوج أم كلثوم أبوجهم بن حذيفة بن غانم.

(بُسْر) بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وآخره راء، (بَصِير) بالباء الموحدة المفتوحة والصاد المهملة المكسورة والياء الساكنة تحتها نقطتان وآخره راء أيضاً. (وَأَسِيد) بفتح الهمزة وكسر السين و (جارية) بالجيم وآخره راء أيضاً، و (الحُلَيْس) بضم الحاء المهملة وفتح اللام وبعده ياء تحتها نقطتان وآخره سين مهملة.

وفيهما كانت عدة من سرايا وغزوات :

(١) أخرجه البخاري ٢٥٧/٣ .

(٢) الممتحنة : ١٠

(منها سرية عُكَّاشَة بن مُحْصَن) في أربعين رجلاً إلى الغمر فيهم ثابت بن أقرم وشجاع بن وهب فنذر بهم القوم فهربوا فسعت الطلائع فوجدوا مائتي بعير فأخذوها إلى المدينة وكانت في ربيع الآخر.

(ومنها سرية محمد بن مسلمة) أرسله رسول الله ﷺ في عشرة فوارس في ربيع الأول إلى بني ثعلبة بن سعد فكمن القوم له حتى نام هو وأصحابه وظهروا عليهم فقتل أصحابه ونجا هو وحده جريحاً.

(ومنها سرية أبي عُبَيْدَة بن الجَرَّاح) إلى ذي القِصَّة في ربيع الآخر في أربعين رجلاً فهرب أهلهم منهم في الجبال وأصابوا نعماً ورجلاً واحداً أسلم فتركه رسول الله ﷺ.

(ومنها سرية زيد بن حارثة) بالجموم فأصاب امرأة من مزينة اسمها حليلة فدلتهم على محلة من محال بني سليم فأصابوا نعماً وشاء وأسرى وكان فيهم زوجها فأطلقها رسول الله ﷺ وزوجها معها.

(ومنها سرية زيد أيضاً إلى العيص) في جمادى الأولى ، وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع واستجار بزَيْنَب بنت النبي ﷺ فأجارته وقد تقدم ذكره في غزوة بدر.

(ومنها سرية أيضاً إلى الطرف) في جمادى الآخرة إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فهربوا منه وأصاب من نعمهم عشرين بعيراً ، وغاب أربع ليال.

(ومنها سرية زيد بن حارثة إلى حِمْي) في جمادى الآخرة . وسببها أن رفاعة بن زيد الجذامي ، ثم الضبي قدم على النبي ﷺ في هدنة الحديبية وأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً وأسلم فحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً إلى قومه يدعوهم إلى الاسلام فأسلموا ثم ساروا إلى حرة الرجلاء ؛ ثم إن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من الشام من عند قيصر وقد أجاز به مال وكساه حتى إذا كان بأرض جذام أغار عليه الهنيد بن عوض^(١) وابنه عوض بن الهنيد الضليعيان وهو بطن من جذام فأخذوا كل شيء معه فبلغ

(١) عوض يحتمل أن يكون بفتح العين وسكون الواو سمي باسم صنم كان يعبد في الجاهلية .

ويحتمل أن يكون بكسر العين المهملة وفتح الواو (م) .

ذلك نفرأ من بني الضُّبَيْب قوم رفاعه ممن كان أسلم فنفروا إلى الهنيد وابنه فلقوهم واقتتلوا فظفر بنو الضُّبَيْب واستنقذوا كل شيء أخذ من دحية وردوه عليه، فخرج دحية حتى قدم على النبي ﷺ فأخبره خبره فأرسل رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة في جيش فأغاروا بالفضافض وجمعوا ما وجدوا من مال وقتلوا الهنيد وابنه، فلما سمع بذلك بنو الضُّبَيْب رهط رفاعه بن زيد سار بعضهم إلى زيد بن حارثة فقالوا: إنا قوم مسلمون. فقال زيد: فاقروا أم الكتاب فقرأها حسان بن ملة.

فقال زيد: نادوا في الجيش إن الله حرم علينا ما أخذ من طريق القوم التي جاؤوا منها وأراد أن يسلم إليهم سباياهم فأخبره بعض أصحابه عنهم بما أوجب أن يحتاط فتوقف في تسليم السبايا فقال: هم في حكم الله ونهى الجيش أن يهبطوا واديهم وعاد أولئك الركب الجذاميون إلى رفاعه بن زيد وهو بكراع ربة لم يشعر بشيء من أمرهم فقال له بعضهم: إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرهن كتابك الذي جئت به فسار رفاعه، والقوم معه إلى المدينة وعرض كتاب رسول الله ﷺ فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ فقالوا: لنا من كان حياً ومن قتل فهو تحت أقدامنا! يعنون تركوا الطلب به فأجابهم إلى ذلك وأرسل معهم علي بن أبي طالب إلى زيد بن حارثة فردّ على القوم مالهم حتى كانوا ينتزعون لبد المرأة تحت الرحل وأطلق الأسارى.

(ربة) بالراء والباء الموحدة (والضُّبَيْب) بضم الضاد المعجمة تصغير ضب، وقيل: هو بفتح الضاد وكسر الباء وآخره نون نسبة إلى ضبية.

(ومنها سرية زيد أيضاً إلى وادي القرى) في رجب

(ومنها سرية عبد الرحمن ابن عوف إلى دومة الجندل) في شعبان وقال له رسول الله: إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم، فأسلموا فتزوج عبد الرحم تماضر بنت الأصبع رئيسهم وملكهم وهي أم أبي سلمة.

(ومنها سرية علي بن أبي طالب إلى فدك)^(١) في شعبان في مائة رجل وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن حياً من بني سعد قد تجمعوا له يريدون أن يمدوا أهل خيبر فسار

(١) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أفادها الله تعالى على رسول الله عليه السلام صلحاً. فيها عين فوارة ونخل.

إليهم عليّ فأصاب عيناّ لهم فأخبره أنه سار إلى أهل خير يعرض عليهم نصرهم عليّ أن يجعلوا لهم تمر خبير.

(ومنها سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة) في رمضان وكانت عجوزاً كبيرة فلقي زيد بني فزارة بوادي القرى فأصيب أصحابه وارتث^(١) زيد من بين القتلى فنذر أن لا يمس ماء من جنابة حتى يغزو فزارة فبعثه رسول الله ﷺ إليهم فلقاهم بوادي القرى فأصاب منهم وقتل وأسر أم قرفة وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر عجوز كبيرة وبناتاً لها فربط أم قرفة بين بعيرين فشقاها نصفين، وقدم عليّ النبي ﷺ بآبنتها وكانت لسلمة بن الأكوع فأخذها رسول الله ﷺ منه هبة وأرسلها إلى حزن بن أبي وهب فولدت له عبدالله بن حزن وأما سلمة بن الأكوع فإنه جعل أمير هذه السرية أبا بكر فروي عنه أنه قال: أمر رسول الله ﷺ علينا أبا بكر فغزونا ناساً من بني فزارة فشننا عليهم الغارة صلاة الصبح فأخذت منهم جماعة وسقتهم إلى أبي بكر، وفيها امرأة من بني فزارة معها بنت لها من أحسن العرب فنفلني أبو بكر بنتها فقدمت المدينة فلقيت النبي ﷺ بالسوق فقال لي: يا أبا سلمة لله أبوك هب لي المرأة. فقلت والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً. فسكت ثم عاد من الغد فوهبتها له فبعث بها إلى مكة ففادى بها أسارى من المسلمين.

(ومنها سرية كرز بن الفهري^(٢) إلى العرنين) الذين قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الابل في شوال من سنة ست وبعثه رسول الله في عشرين فارساً.

وفيهما تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أفلح أخت عاصم فولدت له عاصماً فطلقها وتزوجها بعده يزيد بن جارية، فولدت له عبد الرحمن بن يزيد فهو أخو عاصم لأمه.

(جارية) بالجيم وبعد الرء ياء تحتها نقطتان.

وفيهما أجذب الناس جذباً شديداً فاستسقى رسول الله ﷺ بالناس في رمضان.

* * *

(١) ارتث على المجهول حمل من المعركة رثيثاً أي جريحاً وبه رمق. القاموس (م).

(٢) هذا هو الذي عليه الاكثرون كما قاله الحلبي في السيرة ولكنه عقد الباب تحت عنوان سرية سعيد بن زيد

ذكر مكاتبة رسول الله ﷺ الملوك

وفيهما بعث رسول الله ﷺ الرسل إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي، وغيرهم وأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس بمصر، وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وأرسل دحية إلى قيصر، وأرسل سليط بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي، وبعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى، وأرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخى عبد القيس، وقيل: إن إرساله كان سنة ثمان والله أعلم.

فأما المقوقس فإنه قبل كتاب النبي ﷺ وأهدى إليه أربع جوار، منهن مارية أم ابراهيم بن رسول الله ﷺ. وأما قيصر وهو هرقل فإنه قبل كتاب رسول الله ﷺ وجعله بين فخذه وخاصرته، وكتب إلى رجل برومية كان يقرأ الكتاب يخبره شأنه فكتب إليه صاحب رومية إنه النبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه فأتبعه وصدقته، فجمع هرقل بطارقة الروم في الدسكرة^(١) وغلقت أبوابها ثم اطلع عليهم من على وخافهم على نفسه وقال لهم: قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه وإنه والله النبي الذي نجده في كتابنا فهل فلتتبعه ونصدقته فتسلم لنا ديانا وآخرتنا. فنخروا نخرة رجل واحد، ثم ابتدروا الأبواب ليخرجوا فقال: ردوهم علي وخافهم على نفسه، وقال لهم: إنما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم؟ وقد رأيت منكم ما سرتني فسجدوا له، وانطلق وقال لدحية: إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته فأذهب إلى ضغاطر الأسقف الأعظم في الروم وأذكر له أمر صاحبك وأنظر ما يقول لك، فجاء دحية وأخبره بما جاء به من رسول الله ﷺ فقال له ضغاطر: والله إن صاحبك نبي مرسل؛ نعرفه بصفته، ونجده في كتابنا، ثم أخذ عصاه وخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال: يا معشر الروم: قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا إلى الله وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال: فوثبوا عليه فقتلوه. فرجع دحية إلى هرقل وأخبره الخبر قال: قد قلت: إنا نخافهم على أنفسنا. وقال: قيصر للروم: هلموا نعطيهم الجزية فأبوا فقال: نعطيهم أرض سورية وهي الشام ونصالحه فأبوا، وأستدعى هرقل أبا سفيان وكان تاجراً إلى الشام في الهدنة فحضر عنده ومعه جماعة من

(١) الدسكرة: اسم لقرى متعددة في العراق والعجم.

قريش أجلسهم هرقل خلفه، وقال: إني سائله فإن كذب فكذبوه.

فقال أبو سفيان: لولا أن يؤثر عني الكذب لكذبت، فسأله عن النبي قال: فصغرت له شأنه فلم يلتفت إلى قولي، وقال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو أوسطنا نسباً، قال: هل كان من أهل بيته من يقول مثل قوله؟ قلت لا. قال: فهل له فيكم ملك سلبتموه إياه؟ قلت: لا. قال: فمن اتبعه منكم؟ قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء. قال: فهل يحبه من يتبعه ويلزمه أو يقلبه ويفارقه؟ قلت: ما تبعه رجل ففارقه، قال: فكيف الحرب بينكم وبينه؟ قلت: سجال يدال علينا وندال عليه، قال: هل يغدر؟ قال: فلم أجد شيئاً أغمر به غيرها قلت: لا ونحن منه في هدنة لا نأمن غدره. قال: فما التفت إليها قال أبو سفيان: فقال لي هرقل: سألتك عن نسبه فزعمت أنه من أوسط الناس وكذلك الأنبياء وسألتك هل قال أحد من أهل بيته مثل قوله فهو متشبه به؟ فزعمت أن لا، فسألتك هل سلبتموه ملكه فجاء بهذا لتردوا عليه ملكه؟ فزعمت أن لا. وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين وكذلك أتباع الرسل، وسألتك عمن يتبعه أيحبه أم يفارقه؟ فزعمت أنهم يحبونه ولا يفارقونه. وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه، وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أن لا ولئن صدقتني ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين ولوددت أني عنده فأغسل قدميه، أنطلق لشأنك. قال: فخرجت وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى وأقول أي عباد الله لقد أمر أمر ابن أبي كبشة^(١) أصبح ملوك الروم يهابونه في سلطانهم! قال: وقدم عليه دحية بكتاب النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن إثم الأكارين^(٢) عليك.

وأما الحارث بن أبي شمر الغساني فأتاه كتاب رسول الله ﷺ مع شجاع بن وهب فلما قرأه عليهم قال: من ينزع مني ملكي أنا سائر إليه. فلما بلغ قوله رسول الله ﷺ قال باد مملكة.

وأما النجاشي فإنه لما جاءه كتاب النبي ﷺ آمن به واتبعه وأسلم على يد جعفر بن

(١) يقصد النبي ﷺ.

(٢) أي: الفلاحون.

أبي طالب وأرسل إليه ابنه في ستين من الحبشة فغرقوا في البحر، وأرسل إليه رسول الله ﷺ ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وكانت مهاجرة بالحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر وتوفي بالحبشة فخطبها النجاشي إلى رسول الله ﷺ فأجابته وزوجها وأصدقها النجاشي أربعمئة دينار، فلما سمع أبو سفيان تزويج رسول الله ﷺ أم حبيبة قال: ذاك الفحل لا يقدر أنفه (١).

وأما كسرى فجاءه كتاب رسول الله ﷺ مع عبد الله بن حذافة فمزق الكتاب فقال رسول الله ﷺ: «مزق ملكه» وكان كتابه: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من تبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإني أدعوك بدعاء الله وإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم وإن توليت فإن إثم المجوس عليك»، فلما قرأه شقّه قال: يكتب إليّ بهذا وهو عندي!

ثم كتب إلى باذان وهو باليمن أن أبعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جليدين فليأتياني به! فبعث باذان بابويه وكان كاتباً حاسباً ورجلاً آخر من الفرس يقال له: خرخره وكتب معهما يأمره بالمسير معهما إلى كسرى، وتقدم إلى بابويه أن يأتيه بخبر رسول الله ﷺ وسمعت قريش بذلك ففرحوا، وقالوا: أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم الرجل، فخرجوا حتى قدما على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال: ويلكما من أمركما بهذا. قالوا: ربنا. يعنينان الملك. فقال: لكن ربي أمرني أن أعفي لحيتي وأقص شاربي، فأعلماه بما قدما له، وقالوا: إن فعلت كتب باذان فيك إلى كسرى وإن أبيت فهو يهلكك ويهلك قومك. فقال لهما رسول الله ﷺ: أرجعا حتى تأتيا غداً.

وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء إن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا ليلة كذا فدعاهما رسول الله ﷺ وأخبرهما بقتل كسرى. وقال لهما: قولاً له إن ديني وسلطاني سيبلغ ملك كسرى وينتهي منتهى الخف والحافر، وأمرهما أن

(١) يقال قدعت الفحل وهو أن يكون غير الكريم فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضرب أنفه بالرمح، أو غيره حتى يرتدع وينكف ويروى بالراء.

يقولاً لبازان: أسلم فإن أسلم أقره على ما تحت يده وأملكه على قومه، ثم أعطى خرخرسره منطقة ذهب وفضة أهداها له بعض الملوك. وخرجوا فقدموا على بازان وأخبراه الخبر فقال: والله ما هذا كلام ملك وإنما لأراه نبياً ولننظرن فإن كان ما قال: حقاً فإنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فنرى فيه رأينا. فلم يلبث بازان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى وأنه قتله غضباً للفرس لما استحل من قتل أشرافهم ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن وبالكف عن النبي ﷺ، فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وأسلم معه أبناء من فارس، وكانت حمير تسمى خرخرسره صاحب المعجزة والمعجزة بلغة حمير المنطقة.

وأما هوزة بن علي فكان ملك اليمامة فلما أتاه سليط بن عمرو يدعوه إلى الإسلام وكان نصرانياً أرسل إلى النبي ﷺ وفداً فيهم مُجاعة بن مرارة والرجال بن عنفوة يقول له: إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره وإلا قصد حربه. فقال رسول الله ﷺ: «لا ولا كرامة، اللهم أكفنيه». فمات بعد قليل.

وأما مُجاعة والرجال فأسلما وأقام الرجال عند رسول الله ﷺ حتى قرأ سورة البقرة وغيرها وتفقوا وعاد إلى اليمامة فارتدّ، وشهد أن رسول الله أشرك مسيلمة معه فكانت فتنته أشد من فتنة مسيلمة.

(مُجاعة) بضم الميم وتشديد الجيم، و(الرجال) بالجيم المشددة، وقيل: بالحاء المهملة المشددة، و(عُنفوة) بضم وسكون النون وضم الفاء وفتح الواو.

وأما المنذر بن ساوى والي البحرين: فلما أتاه العلاء بن الحضرمي يدعوه ومن معه بالبحرين إلى الإسلام أو الجزية وكانت ولاية البحرين للفرس فأسلم المنذر بن ساوى وأسلم جميع العرب بالبحرين، فأما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس فإنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية من كل حالم دينار ولم يكن بالبحرين قتال إنما بعضهم أسلم وبعضهم صالح. وولي الحج في هذه السنة المشركون، وفي هذه السنة ماتت أم رومان وهي أم عائشة زوجة النبي ﷺ.

ودخلت سنة سبع

ذكر غزوة خيبر ✓

لما عاد رسول الله ﷺ من الحديبية أقام بالمدينة ذا الحجة وبعض المحرم وسار إلى خيبر في ألف وأربعمائة رجل معهم مائتا فارس، وكان مسيره إلى خيبر في المحرم سنة سبع واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري فمضى حتى نزل بجيشه بالرجيع^(١) ليحول بين أهل خيبر وغطفان لأنهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله ﷺ، وقصدت غطفان خيبر ليظاهروا يهود عليه ثم خافوا المسلمين أن يخلفوه في أهلهم وأموالهم فرجعوا ودخلوا بين رسول الله ﷺ ويهود، فسار رسول الله ﷺ وقال في مسيره لعامر بن الأكوع عم سلمة بن عمرو بن الأكوع: آخذ لنا فنزل وحداهم يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال له رسول الله ﷺ: رحمك الله. فقال له عمر: هلاً أمتعتنا به يا رسول الله - وكان إذا قالها لرجل قتل - فلما نازلوا خيبر بارز عامر فعاد عليه سيفه فجرحه جرحاً شديداً فمات منه فقال الناس: إنه قتل نفسه فقال سلمة ابن أخيه للنبي ﷺ ما قالوا فقال: كذبوا بل له أجره مرتين، فلما أشرف عليها قال لأصحابه: قفوا. ثم قال: «اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله»، وكان يقول ذلك لكل قرية يقدمها، ونزل على خيبر ليلاً ولم يعلم أهلها فخرجوا عند الصباح إلى عملهم بمساحيهم ومكاتلهم فلما

(١) الرجيع اسم مكان وهو ماء لهذيل قرب الهرة بين مكة والطائف، والرجيع واد قرب خيبر.

رأوه عادوا وقالوا: محمد والله محمد والخميس معه يعنون الجيش. فقال النبي ﷺ «الله أكبر خربت خيبر. إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾ ثلاثاً.

ثم حصرهم وضيق عليهم وبدأ بالأموال يأخذها مالا مالا ويفتحها حصناً حصناً، فكان أول حصن افتتحه حصن ناعم وعنده قتل محمود بن سلمة ألقيت عليه منه رحي فقتلته، ثم القموص حصن بني أبي الحقيق، وأصاب منهم رسول الله ﷺ سبايا، منهم صفية بنت حيي بن أخطب وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وبنتي عم لها فأصطفاهما رسول الله ﷺ لنفسه، وفشت السبايا في المسلمين، وأكلوا لحوم الحمر الأنسية، فنهاهم رسول الله ﷺ عنها، وكان الزبير بن باطا القرظي قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية، يوم بُعث فأطلقه، فلما كان الآن أتاه ثابت فقال له: أتعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: أريد أن أجزيك بيدك عندي، قال: إن الكريم يجزي الكريم، فأتى ثابت رسول الله ﷺ، فقال: كان للزبير عندي يد أريد أن أجزيه بها فهبه لي فوهبه له، فأتاه فقال له: إن النبي ﷺ قد وهب لي دمك فهو لك، قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد.

فاستوهب ثابت أهله وولده، من رسول الله ﷺ فوهبهم له، فقال: الزبير أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فاستوهب ثابت ماله من رسول الله ﷺ فوهبه له فمن عليه بالجميع. فقال الزبير: أي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مرآة صقيلة يتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد؟ قال: قتل، قال: فما فعل سيداً لحاضر والبادي، حيي بن أخطب؟ قال: قُتل: قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا كررنا عزال بن سموال؟ قال: قُتل. قال: فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة، وبني عمرو بن قريظة؟ قال: ذهبوا. قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ما ألحقتني بهم، فوالله ما في العيش بعدهم خير فقتله، ثم افتتح رسول الله ﷺ حصن الصعب - وهو أكثرها طعاماً وودكا -^(١) ثم قصد حصنهم الوطيح والسالام وكانا آخر ما افتتح حاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة، فخرج منه مرحب اليهودي وقد جمع سلاحه، وهو يقول:

قد علمتُ خيبر أني مَرحب شاكي السلاح بطل مجرّب

(١) الودك الدسم فيشمل السمن والشحم المذاب.

أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تلتهب
كان حماي كالحمى لا يقرب

وسأل المبارزة فخرج إليه محمد بن مسلمة وقال: أنا والله الموتور الثائر. قتلوا أخي بالأمس، فأقره رسول الله ﷺ بمبارزته وقال: اللهم أعنه عليه، فخرج إليه فتقاتلا طويلاً، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة، فضربه فأتقاه بالدرقة، فوقع سيفه، فيها فعضت عليه وأمسكت، فضربه محمد بن مسلمة حتى قتله، ثم خرج بعده أخوه ياسر وهو يقول:

قد علمت خير أني ياسر شاكي السلاح بطل مغاور

وطلب المبارزة، فخرج إليه الزبير بن العوام، فقتله الزبير، وقيل: إن الذي قتل مرحباً وأخذ الحصن علي بن أبي طالب، وهو الأشهر والأصح. قال بريدة الأسلمي: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة^(١) فيلبث اليوم، واليومين لا يخرج، فلما نزل خير أخذته، فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر الراية من رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة - وليس ثم علي كان قد تخلف بالمدينة لرمدٍ لحقه - فلما قال رسول الله ﷺ: مقالته هذه تطاولت لها قريش ورجاً كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح فجاء عليٌّ بعير له حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله ﷺ وهي أرمدة قد عصب عينيه بشقة برد قطري فقال رسول الله ﷺ: مالك؟ قال: رمدت بعدك. فقال له: ادن مني. فدنا منه فتفل في عينيه فما شكا وجعاً حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية فنهض بها معه وعليه حلة حمراء فأتى خير فأشرف عليه رجل من يهود فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي: غلبتم يا معشر يهود، وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر^(٢) يمانى قد نقبه مثل البيضة على رأسه وهو يقول:

قد علمت خير أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

(١) الشقيقة وجع يأخذ نصف الرأس والوجه.

(٢) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة وجمعه مغافر.

فقال علي :

أنا الذي سمتني أمي حيدرہ کلیث غاباتِ كریہ المنظرہ

أکیلهم بالسيف کیل السندرہ^(١)

فاختلفا ضربتين فبدره عليّ فضربه فقدّ الحجفة والمغفر ورأسه حتى وقع في الأرض وأخذ المدينة، قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : خرجنا مع عليّ حين بعثه رسول الله ﷺ برايته إلى خيبر، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه يهودي فطرح ترسه من يديه فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتحها الله على يديه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أناثاً منهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه، وكان فتحها في صفر فلما فتحت خيبر جاء بلال بصفية وأخرى معها على قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صرخت وصكت وجهها وحشت التراب على رأسها، فأصطفى رسول الله ﷺ صفية وأبعد الأخرى وقال : إنها شيطانة لأجل فعلها، وقال لبلال : أنزعت منك الرحمة؟ جئت بهما على قتلاهما، وكانت صفية قد رأت في منامها، وهي عروس لكنانة بن أبي الحقيق، أن قمراً وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال : ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمداً، ولطم وجهها لطمة أخضرت عينها منها فأتى بها رسول الله ﷺ وبها أثر منها وسألها ما هو فأخبرته، ودفع كنانة بن أبي الحقيق إلى محمد بن مسلمة فقتله بأخيه محمود.

وحاصر رسول الله ﷺ حصني أهل خيبر الوطيح، والسالام، فلما أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم ويحقن دماءهم فأجابهم إلى ذلك، وكان قد حاز الأموال كلها الشق ونطاة. والكتيبة، وجميع حصونهم فلما سمع بذلك أهل فدك بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويخلون له الأموال ففعل ذلك. ولما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وأن يخرجهم إذا شاء فساقاهم على الأموال على الشرط الذي طلبوا وفعل مثل ذلك أهل فدك، وكانت خيبر فيئاً للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

(١) السندرة : - ضرب من الكيل . (م) .

ولما استقر رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية^(١) مسمومة فوضعتها بين يديه فأخذ رسول الله ﷺ منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور، فأكل بشر منها، وقال رسول الله ﷺ: «إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة». ثم دعا المرأة فأعترفت فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت: إن كان نبياً فسيخبر، وإن كان ملكاً استرحنا منه. فتجاوز عنها، ومات بشر بن البراء من تلك الأكلة، وقال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من أكلة خبير، فكان المسلمون يرون أنه مات شهيداً مع كرامة النبوة.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من خبير انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهله ليالي فافتتحه عنوة وفي حصاره قتل مدعم مولى رسول الله ﷺ الذي أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي فقال المسلمون: هنيئاً له الجنة. فقال رسول الله ﷺ: كلا والذي نفس محمد بيده إن شملته الآن لتشتعل عليه ناراً وكان غلها من في المسلمين يوم خبير. فسمعه رجل فأتاه فقال: يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لي كنت أخذتهما. فقال رسول الله ﷺ: لقد لك مثلهما من النار، وترك رسول الله ﷺ النخل والأرض في أيدي أهل الوادي وعاملهم نحو ما عامل أهل خبير فبقوا كذلك إلى أن ولي عمر الخلافة، فأجلاهم، وقيل: إنه لم يجلهم لأنها خارجة عن الحجاز.

وفي هذه السفرة أعني خبير نام رسول الله ﷺ عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس والقصة مشهورة.

وشهد معه نساء من نساء المسلمين فرضخ لهن من الفيء^(٢).

وفي هذه السفرة قال الحجاج بن علاط السلمي لرسول الله ﷺ إن لي بمكة مالاً عند صاحبتني أم شيبه ابنة أبي طلحة وهي أم ابنه معرض بن الحجاج ومال متفرق في تجار مكة فأذن لي يا رسول الله فأذن له فقال: إنه لا بد من أن أقول. قال: قل. فقدم الحجاج مكة فسأله أهل مكة عن رسول الله ﷺ وما صنع بخبير ولم يكونوا علموا

(١) أي: مشويه.

(٢) أي أعطاهن أقل من سهم الرجل بما يرضيهن (م).

بإسلامه فقال لهم : إن يهود هزمتهم وأصحابه وقتل أصحابه قتلاً ذريعاً وأسر محمد وقالت يهود : لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم . فصاحوا بمكة بذلك فقال : أعينوني في جمع مالي حتى أقدم خيبر فأصيب من فل^(١) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار فجمعوه كله كأحث شيء فأتاه العباس وسأله عن الخبر فأخبره بعد أن جمع ماله بفتح خيبر وأن النبي ﷺ أخذ صفية بنت حيي لنفسه وأنه قدم لجمع ماله وسأله أن يكتم عنه ثلاثاً خوف الطلب فكتم العباس الخبر ثلاثاً بعد مسيره ثم لبس حلة له وتخلّق وأخذ عصاه وخرج فطاف بالكعبة فلما رآته قريش قالوا : يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة . قال : كلا والله لقد آفطح محمد خيبر وأخذ ابنة ملكهم وأحرز أموالهم ، وأخبرهم بخبر الحجاج . فقالوا : لو علمنا لكان له ولنا شأن .

وقسم من أموال خيبر الشق ونطاة بين المسلمين وكانت الكتيبة خمس الله والرسول وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فطعم أزواج النبي ﷺ وطعم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فذك بالصلح وقسمت خيبر على أهل الحديبية فاعطى الفرس سهمين والرجل سهماً وأقر النبي ﷺ أهل خيبر بخيبر ، وأبو بكر بعده ، وعمر صُدراً من إمارته حتى بلغه أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه : « لا يجتمع بجزيرة العرب دينان » .

فأجلى عمر من يهود من لم يكن معه عهد من رسول الله ﷺ .

(سَلَام بن مِشْكَم) بتشديد اللام . و (مِشْكَم) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة . و (الْحَقِيق) بضم الحاء المهملة وبقافين . و (أخطب) بالخاء المعجمة وآخره باء موحدة . و (معرور) بالعين المهملة وبعده راء آن مهملتان . و (عَلَاط) بكسر العين المهملة وطاء مهملة .

ذكر فذك

لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر بعث مُحَيِّصَة بن مسعود إلى أهل فذك يدعوهم إلى الإسلام ورئيسهم يومئذ يوشع بن نون اليهودي ، فصالحوا رسول الله ﷺ على نصف الأرض فقبل منهم ذلك وكان نصف فذك خالصاً لرسول الله ﷺ لأنه لم

(١) فل القوم : منهزموهم يستوي فيه الواحد والجمع (م) .

يوجف^(١) المسلمون عليه بخيل ولا ركاب يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل، ولم يزل أهلها بها حتى استخلف عمر بن الخطاب وأجلى يهود الحجاز فبعث أبا الهيثم بن أبي التَّيَّهَان، وسهل بن أبي خيثمة، وزيد بن ثابت فقوموا نصف تربتها بقيمة عدل فدفعها إلى يهود وأجلاهم إلى الشام.

ولم يزل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي يصنعون صنيع رسول الله ﷺ بعد وفاته فلما ولي معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم، فوهبها مروان أبيه. عبد الملك، وعبد العزيز، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان، فلما ولي الوليد الخلافة وهب نصيبه عمر بن عبد العزيز، ثم لما ولي سليمان الخلافة فوهب نصيبه منها أيضاً عمر بن عبد العزيز، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خطب الناس وأعلمهم أمر فدك وانه قد ردها إلى ما كانت عليه مع رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فوليها أولاد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ثم أخذت منهم. فلما كانت سنة عشر ومائتين ردها المأمون إليهم.

(مُحَيَّصَةٌ) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وكسرها وآخره صاد مهملة.

(والتَّيَّهَان) بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وكسرها.

وفي هذه السنة رد رسول الله ﷺ ابنته زينب على أبي العاص بن الربيع زوجها في المحرم.

وفيهما قدم حاطب من عند المقوقس بمارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ وأختها سيرين، وبغلته دلدل، وحمارة يعفور، وكسوة، فأسلمت مارية وأختها قبل قدومهما على رسول الله ﷺ فأخذ مارية لنفسه ووهب سيرين حسان بن ثابت الأنصاري فهي أم ابنه عبد الرحمن فهو وإبراهيم ابنا خالة.

وفيهما اتخذ ﷺ منبره الذي كان يخطب الناس عليه وآخذ درجتين ومقعدة وقيل: إنه عمل سنة ثمان وهو الثبت.

(١) لم يوجف أي لم يسر سير الوجيف. ضرب من السير. قاموس.

وفيهما بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً إلى عجز هوازن بتربة^(١)، فهربوا منه ولم يلق كيداً ورجع.

وفيهما كانت سرية بشير بن سعد والد النعمان بن بشير الأنصاري إلى بني مرة بفدك، في شعبان في ثلاثين رجلاً أصيب أصحابه، وارتث في القتلى، ثم رجع إلى المدينة.

وفيهما كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى أرض بني مرة. فأصاب مرداس بن نهيك حليفاً لهم من جُهينة قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار، قال أسامة: لما غشيناه قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فلم ننزع عنه حتى قتلناه؛ فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبرناه الخبر فقال: يا أسامة كيف تصنع بلا إله إلا الله؟.

وفيهما كانت سرية غالب بن عبد الله أيضاً في مائة وثلاثين راكباً إلى بني عبد بن ثعلبة، فأغار عليهم واستاق النعم والشاء وحذروها إلى المدينة.

وفيهما كانت سرية بشير بن سعد إلى اليمن والجناب في شوال من سنة سبع، وكان سببها أن جبيل بن نويرة الأشجعي كان دليل رسول الله ﷺ إلى خيبر، قدم على النبي ﷺ فأخبره أن جمعاً من غطفان بالجناب قد أمدهم عيينة بن حصن، وأمرهم بالمسير إلى المدينة فبعث النبي ﷺ بشير بن سعد فأصابوا نِعماً وقتلوا مولى لعيينة، ثم لقوا جمع عيينة فهزمهم المسلمون، وأنهزم عيينة، فلقية الحارث بن عوف منهزماً فقال له: قد آن لك أن تقصر عما مضى.

(حاطب) بالحاء المهملة وآخره باء موحدة.

و (بَشِير) بفتح الباء الموحدة وكسر الشين المعجمة وآخره راء والد النعمان بن بشير.

و (عُيَيْنَة) بضم العين وفتح الياء المثناة تحتها نقطتان وسكون الياء الثانية وبعدها نون تصغير عين.

ذكر عمرة القضاء

لما عاد رسول الله ﷺ من خيبر أقام بالمدينة جماديين ورجب وشعبان ورمضان.

(١) هو اسم واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها. اهـ. معجم البلدان.

وشوالاً يبعث السرايا، ثم خرج في ذي الحجة معتمراً عمرة القضاء، وساق معه سبعين بدنة، وخرج معه المسلمون ممن كان معه في عمرته الأولى، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قريش بينها أن النبي ﷺ وأصحابه في عُسرٍ وجهدٍ وحاجةٍ فأصطفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه ولأصحابه معه فلما دخلها اضطبع بردائه، فأخرج عضده اليماني ثم قال: «رحم الله امرأاً أراهم اليوم من نفسه قوة»، ثم استلم الركن وخرج يهرول، ويهرول أصحابه معه^(١).

وكان بين يديه لما دخل مكة عبد الله بن رواحة أخذاً بخطام ناقته، وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله	خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمنٌ بقبيله	أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله	كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله	ويُذهل الخليل عن خليله

- وتزوج النبي ﷺ في سفره هذا بميمونة بنت الحارث، وأقام بمكة ثلاثاً، فأرسل المشركون إليه مع علي بن أبي طالب ليخرج عنهم، فقال: ما عليهم لو أعرستُ أظهرهم وصنعنا لهم طعاماً فحضره معنا! فقالوا: لا حاجة لنا في طعامه، فليخرج عنا.

فخرج عنهم وبني بميمونة بسرف^(٢) ثم انصرف إلى المدينة فأقام بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع وبعث جيشه الذي أصيب بمؤتة وولى تلك الحجة المشركون.

وفيهما كانت غزوة ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم في ذي القعدة فلقوه فأصيب هو وأصحابه، وقيل: بل نجا وأصيب أصحابه.

(١) وهذا هو أصل تشريع الرمل ولذا فهو ليس بسنة وإن فعله النبي ليظهر قوة المسلمين.

(٢) سرف - مكان، وقد تقدم بيانه.

ودخلت سنة ثمان

وفيهما توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ قاله الواقدي .

وفيهما كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي الكلبي إلى كلب الليث إلى بني الملوّح في صفر فلقية الحارث بن البرصاء الليثي فأخذه أسيراً فقال : إني إنما جئت لأسلم . فقال له غالب : إن كنت صادقاً فلن يضرك رباط ليلة وإن كنت كاذباً استوثقنا منك . ووكل به بعض أصحابه وقال له : إن نازعتك فخذ رأسه وأمره بالمقام إلى أن يعود، ثم ساروا حتى أتوا بطن الكديد فنزلوا بعد العصر وأرسلوا جندب بن مكيث الجهني ربيّة لهم قال : فقصدت تلاً هناك يطلعي على الحاضر فانبطحت عليه فخرج لي منهم رجل فنظر فرآني منبطحاً فأخذ قوسه وسهمين فرماني بأحدهما فوضعه في جنبي . قال : فنزعته ولم أتحرك ثم رماني بالثاني فوضعه في رأس منكمبي . قال : فنزعته ولم أتحرك قال : أما والله لقد خالطه سهماي ولو كان ربيّة ^(١) لتحرك . قال : فأمهلناهم - حتى راحت مواشيهم واحتلبوا وعطنوا - شئنا عليهم الغارة فقتلنا منهم من قتلنا واستقنا منهم النعم ورجعنا سراعاً وأتى صريخ القوم فجاءنا ما لا قبل لنا به حتى إذا لم يكن بيننا إلا بطن الوادي من قديد بعث الله عز وجل من حيث شاء سحاباً ما رأينا قبل ذلك مطراً مثله فجاء الوادي بما لا يقدر أحد يجوزه فلقد رأيتهم ينظرون إلينا ما يقدر أحد يتقدم . وقدما المدينة، وكان شعار المسلمين : أمت أمت، وكان عدتهم بضعة عشر رجلاً .

وفيهما بعث رسول الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وبها المنذر بن

(١) الربيّة : الطليعة الذي يرقب العدو من مكان عالٍ لئلا يدهم قومه جمعه ربايا .

ساوى فصالح المنذر على أن المجوس الجزية ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم، وقيل: إن إرساله كان سنة ست من الهجرة مع الرسل الذين أرسلهم رسول الله ﷺ إلى الملوك، وقد تقدم ذلك.

وفيهما كانت سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر في شهر ربيع الأول في أربعة عشر رجلاً فشن الغارة عليهم فأصابوا نعماً فكان سهم كل رجل منهم خمسة عشر بغيراً.

وفيهما كانت سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات اطلاق خرج في خمسة عشر رجلاً فوجد بها جمعاً كثيراً فدعاهم إلى الاسلام فأبوا أن يجيبوا وقتلوا أصحاب كعب ونجا حتى قدم المدينة، وذات اطلاق من ناحية الشام؛ وكانوا من قضاة ورئيسهم رجل يقال له: سدوس.

ذكر إسلام خالد بن الوليد. وعمر بن العاص، وعثمان بن طلحة

في هذه السنة في صفر قدم عمرو بن العاص مسلماً على النبي ﷺ وقدم معه خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة العبدي.

وكان سبب إسلام عمرو أنه قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق قلت لأصحابي: إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً وإني قد رأيت أن نلحق بالنجاشي فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي وإن ظهر قومنا على محمد فنحن من قد عرفوا. قالوا: إن هذا لرأي. قال: فجمعنا له أدماً كثيراً وخرجنا إلى النجاشي حتى قدمنا عليه فوالله إنا لعنده إذ وصل عمرو بن أمية الضمري رسولاً من النبي ﷺ في أمر جعفر وأصحابه، قال: فدخلت على النجاشي وطلبت منه أن يسلم إليَّ عمرو بن أمية الضمري لأقتله تقريباً إلى قريش بمكة. فلما سمع كلامي غضب وضرب أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، يعني النجاشي فخفته، ثم قلت: والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله!

قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه فإنه والله لعلى الحق، وليظهروا على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده. قال: فقلت فبايعني له على الإسلام.

فبسط يده فبايعته، ثم خرجت إلى أصحابي وكتبتهم اسلامي، وخرجت عائداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ولقيني خالد بن الوليد، وذلك قبل الفتح وهو مُقبل من مكة فقلت أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام الميسم وإنَّ الرجل لنيي، أذهب والله أسلم، فحتى متى؟

فقلت: والله ما جئت إلا للاسلام. فقدمنا على النبي ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فأسلمت، وتقدم عثمان بن طلحة فأسلم.

* * *

ذكر غزوة ذات السلاسل

وفيهما أرسل رسول الله ﷺ، عمرو بن العاص، إلى أرض بلى وعذرة يدعو الناس إلى الاسلام، وكانت أمه من بلى فتألفهم رسول الله ﷺ بذلك فسار حتى إذا كان على ماء بأرض جذام، يقال له: السلاسل، وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل، فلما كان به خاف، فبعث إلى النبي ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر، وعمر وقال لأبي عبيدة حين وجهه: لا تختلفا. فخرج أبو عبيدة فلما قدم عليه قال عمر: وإنما جئت مدداً إليّ. فقال له أبو عبيدة: يا عمرو إن رسول الله ﷺ قال: لا تختلفا فإن عصيتني أطعتك. قال: فأنا أمير عليك. قال: فدونك. فصلى عمرو بن العاص بالناس.

وفيهما أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي بعمان فآمنا وصدقنا وأخذ الجزية من المجوس.

* * *

ذكر غزوة الخبط وغيرها

وفيهما كانت غزوة الخبط، وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح، في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، وكانت في رجب وزودهم رسول الله ﷺ جراباً من تمر، فكان أبو عبيدة يقبض لهم قبضة ثم تمر تمر، فكان أحدهم يلوكها ويشرب عليها الماء إلى الليل فنفذ ما في الجراب فأكلوا الخبط وجاعوا جوعاً شديداً فنحر لهم قيس بن سعد بن عبادة تسع جزائر فأكلواها فنهاء أبو عبيدة فأنتهى.

ثم إن البحر ألقى إليهم حوتاً ميتاً فأكلوا منه حتى شبعوا، ونصب أبو عبيد ضلعاً من أضلاعه فيمر الراكب تحته فلما قدموا المدينة ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «كلوا رزقاً أخرج به الله لكم». وأكل منه رسول الله ﷺ. وذكروا صنيع قيس بن سعد فقال: إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت.

وفيهما كانت سرية وجهها رسول الله ﷺ في شعبان أميرها أبو قتادة ومعه عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، وكان سببها أن رفاعه بن قيس أو قيس بن رفاعه في بطن عظيم من جشم نزل بالغابة يجمع لحرب النبي ﷺ فبعث النبي ﷺ أبا قتادة ومن معه ليأتوا منه بخبر فوصلوا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس فكمن كل واحد منهم في ناحية وكانوا ثلاثة، وقيل: كانوا ستة عشر رجلاً، قال عبد الله بن أبي حدرد: فكان لهم راع أبطأ عليها فخرج رفاعه بن قيس في طلبه ومعه سلاحه فرمته بسهم في فؤاده فما تكلم قال: فأخذت رأسه ثم شددت في ناحية العسكر وكبرت وكبر صاحبائي فوالله ما كان إلا النجاء فأخذوا نساءهم وأبناءهم وما خف عليهم واستقنا الإبل الكثيرة والغنم فجئنا بها رسول الله ﷺ وجئت برأسه أحمله معي فأعطاني رسول الله ﷺ من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً. وكنت قد تزوجت وأخذت أهلي، وعدل البعير بعشر من الغنم.

وفيهما أغزى رسول الله ﷺ أبا قتادة أيضاً إلى إضم^(١) ومعه محلم بن جثامة الليثي قبل الفتح فلقاهم عامر بن الأضبط الأشجعي على بعير له ومعه متاعه فسلم عليهم بتحية الاسلام فأمسكوا عنه وحمل عليه محلم بن جثامة لشيء كان بينهما فقتله وأخذ بعيره فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبره الخبر فنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢) الآية.

وقيل: كانت هذه السرية حين خرج إلى مكة في رمضان وكانوا ثمانية نفر.

* * *

(١) ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة.

(٢) النساء: ٩٣.

ذكر غزوة مؤتة

كان ينبغي أن نقدم هذه الغزوة على ما تقدم وإنما أخرناها لتتصل الغزوات العظيمة فيتلو بعضها بعضاً.

وكانت في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل رسول الله ﷺ عليهم زيد بن حارثة وقال: إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة.

فقال جعفر: ما كنت أرهب أن تستعمل عليّ زيداً. فقال: امض فإنك لا تدري أي ذلك خير. فبكى الناس وقالوا: هلا متعتنا بهم يا رسول الله فأمسك - وكان إذا قال: فإن أصيب فلان فالأمير فلان أصيب كل من ذكره - فتجهز الناس وهم ثلاثة آلاف وودعهم رسول الله ﷺ والناس، فلما ودع عبد الله بن رواحة بكى عبد الله فقال له الناس: ما يبكيك؟

فقال: ما بي حب الدنيا ولا صباة بكم ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية وهي ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(١) فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله وردكم إلينا سالمين. فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة	وضربة ذات فرع ^(٢) تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة	بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ^(٣)	يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

فلما ودعهم رسول الله ﷺ وعاد قال عبد الله:

خلف السلام على امرئ ودعته في النخل خير مشيع وخليل

ثم ساروا حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغهم أن هرقل سار إليهم في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة، من لحم وجذام

(١) مريم : ٧١ .

(٢) ذات فرع : - اي ذات سعة .

(٣) الجدث : - القبر .

وبلقين، وبلى عليهم رجل من بلى، يقال له: مالك بن رافلة، ونزلوا مآب من أرض البلقاء، فأقام المسلمون بمعان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ؛ نخبره الخبر، وننتظر أمره، فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي. وقال: يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم إياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فأنطلقوا فما هي إلا إحدى الحسينين، إما ظهور وإما شهادة.

فقال الناس: صدق والله: وساروا وسمعه زيد بن أرقم. وكان يتيماً في حجره وقد أردفه في مسيره ذلك على حقيته - وهو يقول:

إذا أديتني وحمليت رحلي	مسيرة أربع بعد الحساء ^(١)
فشأنك فأنعمي وخلاك ذم ^(٢)	ولا أرجع إلى أهلي وراء
وجاء المسلمون وغادروني	بارض الشام مشهور الثواء ^(٣)
وردك كل ذي نسب قريب	من الرحمن منقطع الأخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل	ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعها زيد بكى، فخفقه بالدرة وقال: ما عليك يا لكع^(٤)؟ يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبي الرحل.

ثم ساروا فالتقتهم جموع الروم والعرب بقرية من البلقاء، يقال لها: مشارف ثم دنى العدو وأنحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤته، فالتقى الناس عندها وتعبأوا، وكان على ميمنة المسلمين قطبة بن قتادة العذري، وعلى ميسرتهم عباية بن مالك الأنصاري. فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط^(٥) في رماح القوم، ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل بها وهو يقول:

(١) ماء يغور من الرمل وإذا بحث عنه وجد.

(٢) أي فارقك الذم فلست له بأهل.

(٣) الثواء: - الإقامة.

(٤) لكع: - لثيم.

(٥) أي هلك.

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذ لاقيتها ضرابها

فلما اشتد القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل،
وكان جعفر أول من عقر فرسه في الإسلام، فوجدوا به بضعا وثمانين بين رمية وضربة
وطعنة.

فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن رواحة، ثم تقدم فتردد بعض التردد، ثم قال
يخاطب نفسه:

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أولا لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنه^(١) مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنه هل أنت الانطفة في شنه^(٢)
وقال أيضاً:

يا نفس إن لم تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليتي
وما تمنيت فقد أعطيتي إن تفعلي فعلهما هديتي

ثم نزل عن فرسه وأتاه ابن عم له بعرق^(٣) من لحم فقال له: شد بهذا صلبك فقد
لقيت أيامك هذه ما لقيت.

فأخذه فانتهس^(٤) منه نهسة، ثم سمع الحطمة^(٥) في ناحية العسكر فقال
لنفسه: وأنت في الدنيا.

ثم ألقاه وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتى قتل، واشتد الأمر على المسلمين، وكلب

(١) الرنة: - صوت فيه ترجيع شبه البكاء.

(٢) النطفة: - الماء القليل الصافي. والشنة القربة القديمة.

(٣) العرق: العظم الذي عليه بعض اللحم.

(٤) أي أخذ منه بفمه يسيراً.

(٥) أي دوس الناس بعضهم بعضاً.

عليهم العدو وقد كان قطبة بن قتادة قتل قبل ذلك مالك بن رافلة قائد المستعربة ثم إن الخبر جاء من السماء في ساعته إلى النبي ﷺ، فصعد المنبر وأمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فقال: ثار خبر ثلاثاً عن جيشكم هذا الغازي إنهم لقوا العدو فقتل زيد شهيداً فاستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر فشدد على القوم حتى قُتل شهيداً فاستغفر له، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة وصمت حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان من عبد الله ما يكرهون، ثم قال رسول الله ﷺ: فقاتل القوم حتى قتل شهيداً، ثم قال: لقد رُفِعُوا إلى الجنة على سُرُرٍ من ذهب فرأيتُ في سرير ابن رواحة أزوراراً عن سريري صاحبيه فقلت: عم هذا؟

ف قيل: مضيا وتردد بعض التردد، ثم مضى، ولما قتل ابن رواحة أخذ الراية ثابت بن أرقم الأنصاري، وقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجلٍ منكم. فقالوا: رضينا بك، فقال: ما أنا بفاعل. فاصطلحوا على خالد بن الوليد فأخذ الراية ودافع القوم وانحازوا عنه، فقال رسول الله ﷺ: ثم أخذ سيفٌ من سيوف الله خالد بن الوليد فعاد بالناس فمن يومئذ سمي خالد سيف الله.

وقال رسول الله ﷺ: مرَّ بي جعفر البارحة في نفر من الملائكة له جناحان مخضب القوادم بالدم. قالت أسماء: أتاني النبي ﷺ وقد فرغت من اشتغالي وغسلت أولاد جعفر ودهنتهم فأخذهم وشمهم ودمعت عيناه فقلت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء؟ قال: نعم أصيب هذا اليوم. ثم عاد إلى أهله فأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً، فهو أول ما عمل في دين الإسلام، قالت أسماء بنت عميس: فقامت أصنع واجتمع إلي النساء، فلما رجع الجيش ودنا من المدينة لقيهم رسول الله ﷺ والمسلمون فأخذ عبد الله بن جعفر فحمله بين يديه فجعل الناس يحثون التراب على الجيش ويقولون: يا فرار في سبيل الله ويقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى.

ذكر فتح مكة

وأقام رسول الله ﷺ بعد غزوة مؤتة جمادى الآخرة ورجب، ثم إن بني بكر بن عبد مناة عدت على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له: الوتير، وكانت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، وبكر في عهد قريش في صلح الحديبية، وكان سبب ذلك أن رجلاً من بني الحضرمي اسمه مالك بن عباد وكان حليفاً للأسود بن رزن الديلي ثم البكري في الجاهلية خرج تاجراً فلما كان بأرض خزاعة قتلوه وأخذوا ماله فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة على بني الأسود بن رزن وهم سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند أنصباء الحرم، وكانوا من أشراف بني بكر فبينما خزاعة وبكر على ذلك جاء الإسلام واشتغل الناس به فلما كان صلح الحديبية ودخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ ودخلت بكر في عهد قريش اغتنتم بكر تلك الهدنة وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة ثأرهم بقتل بني الأسود فخرج نوفل بن معاوية الديلي بمن تبعه من بكر حتى بيت خزاعة على ماء الوتير. وقيل: كان سبب ذلك أن رجلاً من خزاعة سمع رجلاً من بكر ينشد هجاء النبي ﷺ فشجه فهاج الشر بينهم وثارت بكر بخزاعة حتى بيتوهم بالوتير. وأعانت قريش بني بكر على خزاعة بسلاح ودواب وقاتل معهم جماعة من قريش مختلفين، منهم صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهل بن عمرو مع غيرهم وعبيدهم، فأنحازت خزاعة إلى الحرم وقتل منهم نفر، فلما دخلت خزاعة الحرم. قالت بكر: يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك. فقال: كلمة عظيمة لا إله له اليوم؛ يا بني بكر أصيبوا ثأركم؛ فلعمري إنكم لتسرفون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه؟

فلما نقضت بكر وقريش العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ بما استحلّت من خزاعة، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم الكعبي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة

فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهرائي الناس ثم قال :

يا رب إني ناشدُ محمداً حلفَ أبينا وأبيه الأتلدا
فوالداً كنا وكنت ولداً^(١) ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً أعتدا^(٢) وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ابيض^(٣) مثل اليد تنمي صعدا
إن سيم خسفاً وجهه تربدا في فيلق كالبحر يجري مزبدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله ﷺ : قد نصرت يا عمرو بن سالم .

ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء فقال : إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب ، وكان بين عبد المطلب وخزاعة حلف قديم ، فلهذا قال عمرو بن سالم : حلف أبينا وأبيه الأتلدا^(٤) ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على النبي ﷺ المدينة فنادوه وهو يغتسل ، فقال : يا لبيكم وخرج إليهم فأخبروه الخبر ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وكان رسول الله ﷺ قد قال للناس : كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليجدد العهد خوفاً ويزيد في المدة ، ومضى بديل فلقي أبا سفيان بعسفان يريد النبي ﷺ ليجدد العهد خوفاً منه ، فقال لبديل : من أين أقبلت ؟

قال : من خزاعة في الساحل وبطن هذا الوادي . قال : أو ما أتيت محمداً ؟ قال : لا . فقال أبو سفيان لأصحابه لما راح بديل : انظروا بعُرنا قته ، فإن جاء المدينة لقد علف

(١) رواية ابن هشام قد كنتم ولداً ؟ وكنا والداً يريد أن بني عبد مناف أمه من خزاعة وكذلك قصي فإن أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية (م) .

(٢) الاعتدا : - أي الحاضر من المشي العتيد وهو الحاضر .

(٣) لا وجود لهذه الفقرة في سيره ابن هشام .

(٤) القديم .

النوى فنظروا بعرا الناقة فأروا فيه النوى، ثم خرج أبو سفيان حتى أتى النبي ﷺ فدخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي ﷺ فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: ما أدري أرغبت به عني أم رغبت بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس عليه. فقال: لقد أصابك يا بنية بعدي شر. فقالت: بل هداني الله للإسلام.

ثم خرج حتى أتى للنبي ﷺ فكلمه فلم يرد عليه شيئاً، ثم أتى أبا بكر فكلمه ليكلّم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر فكلمه فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ. والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به، ثم خرج حتى أتى علياً وعنده فاطمة والحسن غلام يدب بين يديها فكلمه في ذلك، فقال له: والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر لا نستطيع أن نكلمه فيه.

والتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنك هذا أن يجير بين الناس فيكون سيد العرب؟

فقالت: ما بلغ ابني أن يجير بين الناس وما يجير على رسول الله أحد، فالتفت إليّ علي فقال له: أرى الأمور قد اشتدت عليّ فانصحنى، قال: أنت سيد كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك، فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره وقدم مكة وأخبر قريشاً ما جرى له وما أشار به عليّ عليه فقالوا له: والله ما زاد على أن يسخر بك، ثم إن رسول الله ﷺ تجهز وأمر الناس بالتهجز إلى مكة، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها»^(١) في بلادها.

فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يعلمهم الخبر وسيّره مع امرأة من مزينة اسمها كنود، وقيل: مع سارة مولاة لبني المطلب تعلمهم الخبر وسيّره معها فأرسل رسول الله ﷺ علياً والزبير فأدركاها بالحليفة وأخذا منها الكتاب وجاءا به إلى رسول الله ﷺ فأحضر حاطباً وقال له: ما حملك على هذا؟

(١) أي آتياها على حين غفلة.

فقال : والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما بدلت ولا غيرت ، ولكن لي بين أظهرهم أهل وولد وليس لي عشيرة فصانعتهم عليهم ، فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنقه فإنه قد نافق ، فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .

وأنزل الله في حاطب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(١) إلى آخر الآية .

ثم مضى رسول الله ﷺ واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين الغفاري ، وخرج لعشر مضين من رمضان وفتح مكة لعشر بقين منه ، فصام حتى بلغ ما بين عُسفان وأمج ، فأفطروا واستوعب معه المهاجرون والأنصار ، فسبعت^(٢) سليم وألفت^(٣) مُزينة وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأدركه عُيينة بن حصن الفزاري بالعرج ، والأقرع بن حابس بالسقيا ، ولقيه العباس بن عبد المطلب بالجحفة - وقيل : بذي الحليفة - مهاجراً ، فأمره رسول الله ﷺ أن يرسل رحله إلى المدينة ويعود معه ، وقال له : «أنت آخر المهاجرين ، وأنا آخر الأنبياء» .

ولقيه أيضاً مخزومة بن نوفل ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبدالله بن أبي أمية بنقب العقاب ، فآلتما الدخول على رسول الله ﷺ وكلمته أم سلمة فيهما ، وقالت له : ابن عمك ، وابن عمتك ، وصهرُك^(٤) .

قال : لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال .

فلما سمعا ذلك ، وكان مع أبي سفيان ابن له اسمه جعفر ، قال : والله ليأذن لي أو لأخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رَقَّ لهما فأذن لهما فدخلا عليه فأسلما .

(١) الممتحنة ١ .

(٢) أي بلغت سبعمائة .

(٣) أي بلغت ألفاً .

(٤) تقدم تفسيرها ص ١٩٢ .

وقيل : إنَّ علياً قال : لأبي سفيان بن الحارث : « أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ فَقُلْ لَهُ مَا قَالَ اخْوَةُ يَوْسُفَ لِيَوْسُفَ ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ ^(١) فَإِنَّهُ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ أَحَدُ أَحْسَنَ مِنْهُ فِعْلاً وَلَا قَوْلًا » .

فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٢) وَقَرَّبَهُمَا فَأَسْلَمَا ، وَأَنْشَدَهُ أَبُو سَفْيَانَ قَوْلَهُ فِي إِسْلَامِهِ وَاعْتِذَارِهِ مِمَّا مَضَى :

لعمرك إني يوم أحملُ رايةً لتغلب خيلُ اللات خيلَ محمد
لكا لمدلج ^(٣) الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين أهدي وأهتدي
وهاد هداني غير نفسي ونالني مع الله من طردته كل مطرد ^(٤)

الآبيات . فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : « أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مَطْرَدٍ ! »

وقيل : إنَّ أبا سفيان لم يرفع رأسه إلى النبي ﷺ حياءً منه ، وقدم رسول الله ﷺ مرَّ الظهران في عشرة آلاف فارس : من بني غفار أربعمئة ، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ، ومن بني سليم سبعمئة ، ومن جُهَيْنَةَ ألف وأربعمئة ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف من العرب ، ثم من تميم ، وأسد ، وقيس ، فلما نزل مرَّ الظهران قال العباس بن عبد المطلب : « يَا هَلَاكَ قَرِيْشَ وَاللَّهِ لَئِنْ بَغَتْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بِلَادِهَا فَدَخَلَ عَنُودُهُ إِنَّهُ لَهَلَاكَ قَرِيْشَ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ » .

فجلس على بغلة النبي ﷺ وقال : أخرج إلى الأراك لعلني أرى حطاباً أو رجلاً يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيأتونه ويستأمنونه . قال : فخرجتُ أطوف في الأراك إذ سمعتُ صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبُذَيْل بن ورقاء الخزاعي قد خرجوا يتجسسون الخبر ، فقال أبو سفيان : ما رأيت نيراناً قط أكثر من هذه .

فقال بذيل : هذه نيران خزاعة . فقال أبو سفيان : خزاعة أذل من ذلك . فقلتُ :

(١) يوسف ٩١ .

(٢) يوسف : ٩٢ .

(٣) المدلج : من أدلج ، أدلج القوم إذا ساروا من أول الليل .

(٤) وقد زاد ابن هشام في سيرته أبياتاً خمسة بعدها .

يا أبا حنظلة - يعني أبا سفيان كان يكنى بذلك - . فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم ، قال :
 لبيك فداك أبي وأمي ما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله ﷺ في المسلمين أتاكم في
 عشرة آلاف . قال : ما تأمرني ؟ قلت : تركب معي فأستأمن لك رسول الله ﷺ ، فوالله لئن
 ظفر بك ليضربن عنقك .

فردفني فخرجت أركض به نحو رسول الله ﷺ فكلما مررت بنار من نيران
 المسلمين ونظروا إليّ يقولون : عم رسول الله على بغلة رسول الله حتى مررنا بنار
 عمر بن الخطاب فقال : أبو سفيان ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد !

ثم اشتد نحو النبي ﷺ وركضت البغلة فسبقت عمر ودخل عمر على رسول
 الله ﷺ فأخبره وقال : دعني أضرب عنقه .

فقلت : يا رسول الله إني قد أجرته . ثم أخذت برأس رسول الله ﷺ وقلت : لا
 ينجيه اليوم أحدٌ دوني فلما أكثر فيه عُمَرُ قلت : مهلاً يا عمر فوالله ما تصنع هذا إلا أنه
 رجلٌ من بني عبد مناف ، ولو كان من بني عدي ما قلت هذه المقالة . فقال : مهلاً يا
 عباس فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم . فقال
 رسول الله ﷺ : أذهب فقد أمّناه حتى تغدو عليّ به بالغداة .

فرجعت به إلى منزلي ، فلما أصبح غدوتُ به على رسول الله ﷺ فلما رآه قال :
 ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ ! قال : بلى بأبي أنت وأمي يا
 رسول الله لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً . فقال : ألم يأن لك أن تعلم أني رسول
 الله ؟ ! فقال : بأبي أنت وأمي أمّا هذه ففي النفس منها شيء ، قال العباس : فقلت له :
 ويحك أشهد شهادة الحق قبل والله أن تُضربَ عنقك . قال : فتشّهد وأسلم معه
 حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فقال رسول الله ﷺ للعباس : أذهب فأحبس أبا سفيان
 عند خطم الجبل بمضيق الوادي حتى تمرّ عليه جنود الله . فقلت : يا رسول الله إنه يحب
 الفخر فأجعل له شيئاً يكون في قومه . فقال : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ،
 ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو
 آمن . قال : فخرجت به فحبسته عند خطم الجبل فمرت عليه القبائل فيقول : من هؤلاء ؟
 فأقول : أسلم فيقول : مالي ولأسلم . ويقول : من هؤلاء ؟ فأقول : جُهيّنة فيقول : مالي
 ولجهيّنة .

حتى مر رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء مع المهاجرين والأنصار في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق فقال: من هؤلاء؟ فقلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. فقال: ما لأحدٍ بهؤلاء قبل ولا طاقة، لقد أصبح مُلك ابن أخيك عظيماً. فقلت: ويحك إنها النبوة. فقال: نعم إذن. فقلت: آلق بقومك سريعاً فحذّرهم.

فخرج حتى أتى مكة ومعه حكيم بن حزام فصرخ في المسجد: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به.

فقالوا: فما قال؟ قال: من دخل داري فهو آمن. قالوا: ويحك وما تُغني عنا دارك؟ فقال: ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن، ثم قال: يا معشر قريش أسلموا تسلموا.

فأقبلت امرأته هند فأخذت بلحيته وقالت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق. فقال: أرسلني لحيتي وأقسم لئن لم تُسلمني أنت لتضربن عنقك أدخلي بيتك، فتركته. وبعث رسول الله ﷺ في أثرهما الزبير وأمره أن يدخل ببعض الناس من كداء وكان على الجنبه اليسرى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل ببعض الناس من كدى، فقال سعد حين وجَّهه: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة.

فسمعها رجلٌ من المهاجرين فأعلم رسول الله ﷺ^(١)، فقال لعلي بن أبي طالب: أدركه فخذ الراية منه وكن أنت الذي تدخل بها.

وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة من الليط في بعض الناس، وكان معه أسلم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من العرب - وهو أول يوم أمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد - ولما وصل رسول الله ﷺ إلى ذي طوى وقف على راحلته وهو معتجر^(٢) بشقة بُرد حبرة أحمر وقد وضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن أسفل لحيته لتمس واسطة الرحل، ثم تقدم ودخل من أذاخر بأعلاها وضربت قبته هناك، وكان عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو قد جمعوا ناساً بالخدمة ليقاتلوا معهم الأحابيش، وبنو بكر، وبنو الحارث بن عبد مناة،

(١) الاعتجار لف الرأس بعمامة ورد طرفها على وجهه.

فلقيهم خالد بن الوليد فقاتلهم فقتل من المسلمين جابر بن جبيل الفهري ، وحبيش بن خالد وهو الأشعر الكعبي ، ومسلمة بن الميلاء ، وقتل من المشركين ثلاثة عشر رجلاً ثم انهزم المشركون ، وكان مع عكرمة حماس بن قيس ، وكان قد قال لامرأته : لآتينك بخادم من أصحاب محمد ، فلما عاد إليها منهزماً قال لها : اغلقي عليّ بابي . قالت له تستهزئ به : أين الخادم؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخندمة	إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأبو يزيد قائم كالموتمة ^(١)	واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمعهم	ضرباً فلا تسمع إلا غمغمه
لهم نهيت ^(٢) خلفنا وهمهمه	لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

أبو يزيد هذا - هو سهيل بن عمرو - وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى امرأته أن لا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم ، فلما انهزم المشركون وأراد المسلمون دخول مكة ، قام في وجوههم نساء مشركات يلطمن وجوه الخيل بالخمر^(٣) وقد نشرن شعورهن فراهن رسول الله ﷺ وإلى جنبه أبو بكر ، فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال : يا أبا بكر ، كيف قال حسان؟ فأنشده :

تكاد جيادنا مستمطرات يلطمهن بالخمر النساء

وكان رسول الله ﷺ ، قد أمر بقتل ثمانية رجال وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، وأربع نسوة . فأما الرجال فمنهم : عكرمة بن أبي جهل ، كان يشبه أباه في إيذاء رسول الله ﷺ وعداوته والانفاق على محاربتة ، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة خافه على نفسه ، فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له وخرجت في طلبه ومعها غلام لها رومي فراودها عن نفسها فأطعمته ولم تمكنه حتى أتت حياً من العرب فاستعانتهم عليه فأوثقوه وأدركت عكرمة وهو يريد ركوب البحر فقالت : جئتك

(١) أي من كلاء فقد جاء في بعض الروايات أنه قيل يا رسول الله من اين تدخل مكة ؟ قال من حيث أشار حسان بن ثابت .

(٢) النهيت فوق الزحير ونوع من الزئير .

(٣) الخمر : جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وصدرها .

من عند أوصل الناس وأحلمهم وأكرمهم ، وقد أمنتك فرجع وأخبرته خبر الرومي فقتله قبل أن يسلم ، فلما قدم على رسول الله ﷺ سرَّ به فأسلم ، وسأل رسول الله ﷺ أن يستغفره له فاستغفر .

ومنه صفوان بن أمية بن خلف ، وكان أيضاً شديداً على النبي ﷺ فهرب خوفاً منه إلى جُدَّة ، فقال عمير بن وهب الجمحي : يا رسول الله إن صفوان سيد قومي ، وقد خرج هارباً منك فأمنه ، قال : هو آمن ، وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليعرف بها أمانه .

فخرج بها عمير فأدركه بجُدَّة فأعلمه بأمانه وقال : إنه أحلم الناس وأوصلهم وإنه ابن عمك وعِزُّه عزك وشرفه شرفك . قال : إني أخافه على نفسي . قال : هو أحلم من ذلك .

فرجع صفوان وقال لرسول الله ﷺ : إن هذا يزعم أنك أمنتني .

قال : صدق . قال : أجعلني بالخيار شهرين ، قال : أنت فيه أربعة أشهر ، فأقام معه كافراً ، وشهد معه حنيناً والطائف ثم أسلم وحسن إسلامه وتوفي بمكة عند خروج الناس إلى البصرة ليوم الجمل .

ومنه عبدالله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي ، وكان قد أسلم وكتب الوحي إلى رسول الله ﷺ فكان إذا أُملي عليه «عزيز حكيم» يكتب «عليم حكيم» وأشبه ذلك ، ثم ارتد وقال لقريش : إني أكتب أحرف محمد في قرآنه حيث شئت ، ودينكم خير من دينه ، فلما كان يوم الفتح فرَّ إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه من الرضاعة فغيَّبه عثمان حتى اطمأن الناس ، ثم أحضره عند رسول الله ﷺ وطلب له الأمان ، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً ثم آمنه فأسلم وعاد ، فلما انصرف قال رسول الله ﷺ لأصحابه : لقد صمتُ ليقته أحدكم ، فقالوا : هلاً أومات إلينا؟ فقال : ما كان للنبي أن يقتل بالإشارة ، إن الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين .

ومنه عبدالله بن خطل وكان قد أسلم فأرسله رسول الله ﷺ مصداقاً ومعه رجل من الأنصار و غلام له رومي قد أسلم فكان الرومي يخدمه ويصنع له الطعام فنسي يوماً أن يصنع له طعاماً فقتله وأرتد ، وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فقتله سعيد بن

حريث المخزومي أخو عمرو بن حريث وأبو برزة الأسلمي اشتركا في دمه .

ومنهم الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي ، وكان يؤذي رسول الله ﷺ بمكة ، وينشد الهجاء فيه ، فلما كان يوم الفتح هرب من بيته فلقيه علي بن أبي طالب فقتله .

ومنهم مقيس بن صُبابة ، وإنما أمر بقتله لأنه قتل الأنصاري الذي قتل أخاه هشاماً خطأ وارتد ، فلما انهزم أهل مكة يوم الفتح اختفى بمكان هو وجماعة وشربوا الخمر فعلم به نميلة بن عبدالله الكلبي فأتاه فضربه بالسيف حتى قتله .

ومنهم عبدالله بن الزُّبَيْري السهمي وكان يهجو رسول الله ﷺ بمكة ويعظم القول فيه ، فهرب يوم الفتح هو وهبيرة بن أبي وهب المخزومي زوج أم هانئ بنت أبي طالب إلى نجران ، فأما هبيرة فأقام بها مشركاً حتى هلك ، وأما الزُّبَيْري فرجع إلى رسول الله ﷺ واعتذر فقبل عذره فقال حين أسلم :

يا رسول الملِك إن لسانِي راتق ما فتقت إذ أنا بور^(١)
إذ أباري الشيطان في سنن الغد ي ومن نال مثله مثبور
آمن اللحم والعظام برربي ثم نفسي الشهيد أنت النذير
في أشعار له كثيرة يعتذر فيها .

ومنهم وحشي بن حرب قاتل حمزة فهرب يوم الفتح إلى الطائف ، ثم قدم في وفد أهله على رسول الله ﷺ وهو يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فقال النبي ﷺ : أَوْحَشِي ؟ قال نعم .

قال : أخبرني كيف قتلت عمي ؟ فأخبره فبكى وقال : غَيَّبَ وجهك عني .

وهو أول من جُلِدَ في الخمر ، وأول من لبس المعصفر المصقول في الشام .

وهرب حُوَيْطِب بن عبد العزى فرآه أبو ذر في حائط فأخبر النبي ﷺ بمكانه ، فقال : أوليس قد أمنا الناس ، إلا من قد أمرنا بقتله ؟ فأخبره بذلك فجاء إلى النبي فأسلم .

(١) البور : الهالك .

قيل : إنه دخل يوماً على مروان بن الحكم وهو على المدينة فقال له مروان : يا شيخ تأخر إسلامك . فقال : لقد هممت به غير مرة ، فكان يصدني عنه أبوك .

وأما النساء : فمنهن هند بنت عتبة ، وكان رسول الله ﷺ أمر بقتلها لما فعلت بحمزة ، ولما كانت تؤذي رسول الله ﷺ بمكة فجاءت إليه مع النساء متخفية فأسلمت وكسرت كل صنم في بيتها وقالت : لقد كنا منكم في غرور ، وأهدت إلى رسول الله ﷺ جديين ، واعتذرت من قلة ولادة غنمها فدعا لها بالبركة في غنمها فكثرت ، فكانت تهب وتقول : هذا من بركة رسول الله ﷺ فالحمد لله الذي هدانا للإسلام .

ومنهن سارة ، وهي مولاة عمرو بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهي التي حملت كتاب حاطب بن أبي بلتعة في قول بعضهم ؛ وكانت قدمت على رسول الله ﷺ مسلماً فوصلها فعادت إلى مكة مرتدة فأمر بقتلها فقتلها علي بن أبي طالب . ومنهن قينتا عبد الله بن خطل وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر بقتلهما فقتلت إحداهما واسمها قريبة^(١) وفرت الأخرى وتنكرت وجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت وبقيت إلى خلافة عمر بن الخطاب فأوطأها رجل فرسه خطأ فماتت . وقيل : بقيت إلى خلافة عثمان فكسر رجل ضلعاً من أضلاعها خطأ فماتت فأغرمه عثمان ديتها .

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة كانت عليه عمامة سوداء ، فوقف على باب الكعبة وقال : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ؛ وهزم الأحزاب وحده .

ألا كل دم أو مائة أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج » .

ثم قال : « يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم ؟ » قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : أذهبوا فأنتم الطلقاء .

فعفا عنهم ، وكان الله قد أمكنه منهم ، وكانوا له فيئاً فلذلك سمي أهل مكة «الطلقاء» .

وطاف بالكعبة سبعاً ، ودخلها وصلى فيها ورأى فيها صور الأنبياء فأمر بها

(١) هذه موافقة لرواية ابن سيد الناس كما نقله صاحب تاريخ الخميس ، وأن اسم الثانية التي أسلمت فرتنى آخرها الف مقصورة والذي في سيرة ابن هشام أن فرتنى هي التي قتلت وأن التي أسلمت إسمها سارة .

تحت المفتوحة وآخره سين مهملة (وصباية) بضم الصاد المهملة وباءين موحدتين بينهما ألف.

(خطم الجبل) روي بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة. فأما بالمعجمة، فهو الأنف الخارج من الجبل، وأما بالحاء المهملة، فهو الموضع الذي ثلم منه وقطع فبقي منقطعاً، وقد روي حطم الخيل بالحاء المهملة. والخيل هي التي تركب يعني أنه يحبسها في الموضع الضيق الذي يحطم الخيل فيه بعضها بعضاً لمضيقتها.

ذكر غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة

وفي هذه السنة كانت غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة، وكان رسول الله ﷺ قد بعث السرايا بعد الفتح فيما حول مكة يدعون الناس إلى الاسلام ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد بعثه داعياً ولم يبعثه مقاتلاً فنزل على الغميصاء ماء من مياه جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، وكانت جذيمة أصابت في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد. كانا أقبلتا تاجرين من اليمن فأخذتا ما معهما وقتلتهما فلما نزل خالد ذلك الماء أخذ بنو جذيمة السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا. فوضعوا السلاح فأمر خالد بهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل منهم من قتل^(١) فلما انتهى الخبر إلى النبي ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد.

ثم أرسل علياً ومعه مال وأمره أن ينظر في أمرهم فودى لهم الدماء والأموال حتى إنه ليدي ميلغة^(٢) الكلب، وبقي معه من المال فضلة فقال لهم علي: هل بقي لكم مال أو دم لم يود؟ قالوا: لا. قال: فإني أعطيك هذه البقية احتياطاً لرسول الله ﷺ ففعل، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: أصبت وأحسن، وقيل: إن خالداً اعتذر، وقال: إن عبد الله بن حذافة السهمي أمرني بذلك عن رسول الله، وكان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد كلام في ذلك، فقال له: عملت بأمر الجاهلية في الاسلام فقال خالد: إنما تأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن: كذبت قد قتلت أنا قاتل أبي، ولكنك إنما

(١) الذي في صحيح البخاري أن السبب في قتل خالد بن الوليد بني جذيمة أنه دعاهم إلى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صباناً صباناً فذلك سبب قتلهم وذلك لأن كلمة صباناً وصمة عار يعيب الكافرون بها المسلمون فأثار حفيظة خالد فقتلهم.

(٢) هو إناء يلغ فيه الكلب والمراد أن علياً أدى لهم حتى الشيء الحقيق.

فمحييت، وكان على الكعبة ثلثمائة وستون صنماً، وكان بيده قضيب فكان يشير به إلى الأصنام وهو يقرأ ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾^(١) فلا يشير إلى صنم منها إلا سقط لوجهه، وقيل: بل أمر بها وخدمت وكسرت.

ثم جلس رسول الله ﷺ للبيعة على الصفا، وعمر بن الخطاب تحته، واجتمع الناس لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فكانت هذه بيعة الرجال.

وأما بيعة النساء فإنه لما فرغ من الرجال بايع النساء فأتاه منهن نساء من قريش، منهن أم هانئ بنت أبي طالب، وأم حبيبة بنت العاص بن أمية وكانت عند عمرو بن عبد ود العامري، وأروى بنت أبي العيص عمة عتاب بن أسيد، وأختها عاتكة بنت أبي العيص وكانت عند المطلب بن أبي وداعة السهمي، وأمه بنت عفان بن أبي العاص أخت عثمان وكانت عند سعد حليف بني مخزوم، وهند بنت عتبة وكانت عند أبي سفيان، ويسيرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وأم حكيم بنت الحارث بن هشام، وكانت عند عكرمة بن أبي جهل، وفاخنة بنت الوليد بن المغيرة أخت خالد وكانت عند صفوان بن أمية بن خلف؛ وريطة بنت الحجاج، وكانت عند عمرو بن العاص في غيرهن، وكانت هند متكرة لصنيعها بحمزة، فهي تخاف أن تؤخذ به، وقال لهن: تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً قالت هند: إنك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه.

قال: ولا تسرقن. قالت: والله إن كنت لأصبت من مال أبي سفيان، الهنة والهنة. فقال أبو سفيان وكان حاضراً: أمّا ما مضى فأنّت منه في حلّ. فقال رسول الله ﷺ: أهند؟ قالت: أنا هند فأعف عما سلف عفا الله عنك. قال: ولا تزنين، قالت: هل تزني الحرة؟ قال: ولا تقتلن أولادكن، قالت: قد ربينا هم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً فأنّت وهم أعلم. فضحك عمر. قال: ولا تأتين بهتانٍ تفترينه بين أيديكن وأرجلكن. قالت: والله إن اتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. قال: ولا تعصيني في معروف. قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف فقال رسول

الله ﷺ لعمر: بايعهن وأستغفر لهن رسول الله ﷺ، فبايعهن عمر، وكان رسول الله ﷺ لا يمس النساء ولا يصافح امرأة ولا تمسه امرأة إلا امرأة أحلها الله له أو ذات محرم منه.

ولما جاء وقت الظهر أمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن على ظهر الكعبة وقريش فوق الجبال، فمنهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد آمن، فلما أذن وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت جويرية بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة.

وقيل: إنها قالت: لقد رفع الله ذكر محمد وأما نحن فسنصلي ولكننا لا نحب من قتل الأحبة. وقال خالد بن أسد أخو عثمان بن أسد: لقد أكرم الله أبي فلم ير هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: ليتني مت قبل هذا اليوم. وقال جماعة نحو هذا القول ثم أسلموا وحسن أسلامهم رضي الله عنهم.

وأما الأسماء المشككة. (فحاطب بن أبي بلتعة) بالحاء والطاء المهملتين والباء الموحدة و (بلتعة) بالباء الموحدة وبعد اللام تاء مثناة من فوقها، (وعيينة بن حصن) بضم العين المهملة وياءين مثناتين من تحت ثم نون تصغير عين. و (بديل بن ورقاء) بضم الباء الموحدة. (وعتاب) بالتاء فوقها نقطتان وآخره باء موحدة، (وأسيّد) بفتح الهمزة وكسر السين. وقول أم سلمة ابن عمك وابن عمك فتعني بابن عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابن عمته عبد الله بن أبي أمية وهو أخوها لأبيها وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب. وقوله: قال في مكة ما قال فإنه قال بمكة: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾^(١).

وقد غلط هنا بعض العلماء الكبار فقال معنى قول أم سلمة ابن عمك: إن جدة لنبي أم عبد الله كانت مخزومية، وعبد الله بن أبي أمية مخزومي فعلى هذا يكون ابن خالته لا ابن عمته، والصواب ما ذكرناه.

(وحبيش بن خالد) بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة ثم بالياء المثناة من تحت وآخره شين معجمة و (مقيس بن صبابة) بكسر الميم وسكون القاف وبالباء المثناة من

ثارت بعمك الفاكه . حتى كان بينهما شر فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : مهلاً يا خالد
دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة
أحدهم ولا روحته ، قال عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي : كنت يومئذ في جند خالد
فأثرنا في أثر ظعن مصعدة يسوق بهن فتية ، فقال : أدركوا أولئك . قال : فخرجنا في
أثرهم حتى أدركناهم مضوا ووقف لنا غلام شاب على الطريق فلما انتهينا إليه جعل
يقاتلنا ويقول :

ارفعن أطراف الذيول وارتعن * مشي حيات كأن لم تفرعن * إن تمنع اليوم النساء تمنعن
فقاتلناه طويلاً فقتلناه ومضينا حتى لحقنا الظعن ، فخرج إلينا غلام كأنه الأول
فجعل يقاتلنا ويقول :

أقسم ما أن خادر^(١) ذو لبده يروم بين أثلة ووهده^(٢)
يفرس^(٣) شبان الرجال وحده بأصدق الغداة مني نجده

فقاتلناه حتى قتلناه ، وأدركنا الظعن فأخذناهم فإذا فيهن غلام وضيء الوجه به
صفرة كالمنهوك فربطناه بحبل وقدمناه لنقتله فقال لنا : هل لكم في خير؟ قلنا ما هو؟
قال : تدركون بي الظعن في أسفل الوادي ثم تقتلونني ، قلنا : نفعل فعارضنا الظعن ، فلما
كان بحيث يسمعن الصوت نادى بأعلى صوته - أسلمي حبش على فقد العيش -
فأقبلت إليه جارية بيضاء حسانة وقالت : وأنت فأسلم على كثرة الأعداء وشدة البلاء .
قال : سلام عليك دهرأ وإن بقيت عصراً قالت : وأنت سلام عليك عشراً وشفعاً ترى
وثلاثاً وترأ^(٤) فقال :

إن يقتلونني با حبش فلم يدع هواك لهم مني سوى غلة الصدر
فأنت التي أخليت لحمي من دمي وعظمي وأسبلت الدموع على نحري

ف قالت له :

(١) الخادر : - الأسد .

(٢) الأثلة : - الشجرة الملتفة .

(٣) يفرس أي يقتل وأصله من فرس الفريسة إذا دق عنقها .

(٤) الذي في ابن جرير « فحييت عشراً وسبعاً وترأ وثمانية تترأ » .

ونحن بكينا من فراقك مرة
وأنت فلم تبعد فنعم فتى الهوى
فقال لها :

أرايتك إن طالبتكم فوجدتكم
ألم يك حقاً أن ينول عاشق
فلا ذنب لي قد قلت إذ نحن جيرة
أثبي بود قبل أن يشحط النوى
فإني لأبه بالذي أروعينه
عليّ بآيات العشيرة شاغل
بحلية أو الفيتكم بالخوانق^(١)
تكلف أدلاج السرى في الودائق
أثبي بود قبل إحدى الصفائق
وينأى لأمر بالحبيب المفارق
ولا منظر مذ غبت عني برائق
ولا ذكر إلا ذكر هيمان وامق
فقدموه فضربوا عنقه .

هذا الشعر لعبد الله بن علقمة الكناني وكان من جذيمة مع حبشة بنت حبش
الكنانية، أنه خرج مع أمه وهو غلام نحو المحتلم لتزور جارة لها وكان لها ابنة اسمها
حبشة بنت حبش، فلما رآها عبد الله هويها ووقعت في نفسه وأقامت أمه عند جارتها
وعاد عبد الله إلى أهله ثم عاد ليأخذ أمه بعد يومين فوجد حبشة قد تزينت لأمر كان في
الحيّ فأزداد بها عجباً وانصرفت أمه فمشى معها وهو يقول :

وما أدري بلى إني لأدري أصوب القطر أحسن أم حبش؟
حبشة والذي خلق البرايا وما إن عندنا للصب عيش

فسمعت أمه فتغافلت عنه . ثم إنه رأى ظبياً^(٢) على ربوة فقال :

يا أمنا خبريني غير كاذبة وما يريد سؤال الحق بالكذب
أتلك أحسن أم ظبي برابية؟ لا بل حبشة في عيني وفي أرب

فزجرته أمه، وقالت : ما أنت وهذا وأنا قد زوجتك ابنة عمك، فهي من أجمل
تلك النساء؟ وأتت امرأة عمير فأخبرتها الخبر، وقالت : زيني ابنتك له ففعلت وأدخلتها

(١) الخوانق : جمع خائق ، وهو الشعب الضيق . قاموس .

(٢) في ابن جرير « بعدما قتل فأكبت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت عنده » .

عليه فأطرق، فقالت أمه: أيهما الآن أحسن؟ فقال:

إذا غابت عني حبيشة مرة من الدهر لا أملك عزاءً ولا صبرا
كأن الحشا حر السعير تحته وقود الغضا والقلب مضطرم الجمرا
وجعل يرأسل الجارية وترأسله فعلقته كما علقها وأكثر قول الشعر فيها، فمن ذلك:

حبيشة جدي ثم جدك جامع بشملكم شملي وأهلكم أهلي
وهل أنا متلف بثوبك مرة؟ بصحراء بين الألبتين^(١) إلى النحل

فلما علم أهلها خبرهما حجبوها عنه فازداد غرامه. فقالوا لها: عديهِ السرحة فإذا أتاك فقولي له: نشدتك الله إن أحببتي فوالله ما على الأرض أبغض إليّ منك، ونحن قريب نسمع ما تقولين فوعدته وجلسوا قريباً، فأقبل لموعدها، فلما دنا منها دمعت عيناها وآلفت إلى جنب أهلها وهم جلوس، فعرف أنهم قريب وبلغه الحال فقال:

فإن قلت ما قالوا لقد زدني جوى على إنه لم يبق سرٌّ ولا ستر
ولم يك حيٍّ عن نواك بذلته فيسلبني عنك التجنب والهجر
وما أنس للأشياء ولا أنس ومقها ونظرتها حتى يغيبني القبر
وبعث النبي ﷺ أثر ذلك خالد بن الوليد، فكان منه ما تقدم ذكره.

وفي هذه السنة تزوج النبي ﷺ مليكة ابنة داود الليثية، وكان أبوها قتل يوم فتح مكة فجاء إليها بعض أزواج النبي ﷺ فقلن لها: ألا تستحين تزوجين رجلاً قتل أباك. فاستعازت منه، وكانت جميلة حدثة ففارقها.

وفيها هدم خالد بن الوليد العُزَّى بطن نخلة لخمس ليال بقين من رمضان، وكان هذا البيت تعظمه قريش وكنانة ومضر كلها، وكان سدنتها بنو شيبان بن سليم حلفاء بني هاشم، فلما سمع صاحبها بمسير خالد بن الوليد إليها علق عليها سيفه وقال:

أيا عزّ شدي شدة لا شوى لها^(٢) على خالد ألقى القناع وشمري

(١) الألبتين « تشنيه إلب بكسر وسكون » وهو شجر يشبه الاترج..

(٢) روي بالسين المعجمة ومعناه « لابقاء لها »، وروي « لا سوى » بالسين المهملة ومعناه لا حياة بعدها فلا يعيش لها خصم لأنها تهلكه.

فلما انتهى خالد إليها جعل السادن يقول: أعزي بعض غضباتك فخرجت امرأة سوداء^(١) حبشية عريانة مولولة وكسر الصنم وهدم البيت ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: تلك العزى لا تعبد أبداً. وفيها هدم عمرو بن العاص سواع؛ وكان برهّاط^(٢) لهذيل فلما كسر الصنم أسلم سادنه ولم يجد في خزانته شيئاً. وفيها هدم سعد بن زيد الأشهلي مناة بالمشلل^(٣)، وكان للأوس والخزرج.

* * *

(١) إني أشك في رواية امرأة سوداء فلعلها من زيادة الرواة (م).

(٢) رَهَاط بضم الراء : موضع على ثلاث ليالي من مكة قرية على طريق المدينة بواد يقال له غران وبأرض ينبع على ما قيل رهاط فيها كان سواع صنمه هذيل .

(٣) المَشَلَّل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر .

ذكر غزوة هوازن بَحْنين

وكانت في شوال، وسببها أنه لما سمعت هوازن بما فتح الله على رسوله من مكة جمعها مالك بن عوف النصري من بني نصر بن معاوية بن بكر، وكانوا مشفقين من أن يغزوهم رسول الله ﷺ بعد فتح مكة، وقالوا: لا مانع له من غزونا والرأي أن نغزوه قبل أن يغزونا، واجتمع إليه ثقيف يقودها قارب بن الأسود بن مسعود سيد الأحلاف؛ وذو الخمار سبيع بن الحارث، وأخوه الأحمر بن الحارث سيد بني مالك ولم يحضرها من قيس عيلان، إلا نصر، وجُشم، وسعد بن بكر وناس من بني هلال ولم يحضرها كعب ولا كلاب، وفي جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخاً مجرباً، فلما أجمع مالك بن عوف المسير إلى رسول الله ﷺ حطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم فلما نزلوا أوطاس جمع الناس وفيهم دريد بن الصمة، فقال دريد: بأي واد أنتم؟ فقالوا: بأوطاس^(١) قال: نَعَمْ مجال الخيل لا حَزَن^(٢) ضَرَس، ولا سهل دَهِس، ما لي أسمع رُغَاء البعير، ونهاق الحمير، ويُعار الشاة^(٣) وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم. فقال: يا مالك إنَّ هذا يوم له ما بعده ما حملك على ما صنعت؟ قال: سَقَتُهُم مع الناس ليقاتل كُلُّ إنسان عن حريمه وماله، قال: دريد راعي ضأن والله، هل يرد المنهزم شيء؟! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحَتْ في أهلك ومالك. وقال: ما فعلت كعب، وكلات؟ قالوا: لم يشهدا أحدٌ منهم. قال: غاب الجَدُّ والجَدُّ^(٤) لو

(١) أوطاس : واد في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين للنبي ﷺ .

(٢) الحَزَن من الأرض ما غلظ .

(٣) يُعار الشاة : صوتها .

(٤) الجَدُّ : الحظ ، والجَدُّ : منتهى الشيء .

كان يوم علاء ورفعة لم تَغِبْ عنه كعب ولا كلاب ووددتُ أنكم فعلتم ما فعلا .

ثم قال : يا مالك أرفع من معك إلى علياً بلادهم ثم ألق القوم على متون الخيل .
فإن كانت تلك لك لَحِقَ بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك
ومالك . قال مالك : والله لا أفعل ذلك إنك قد كبرت وكبر عِلْمُكَ ، والله لتطيعنني يا
معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري - وكره أن يكون لدريد
فيها ذِكرٌ ، ورأي . فقال دريد : هذا يوم لم أشهده ولم يفتني .

ثم قال مالك : أيها الناس إذا رأيتم القوم فأكسروا جُفُون سيوفكم وشِدُّوا عليهم
شِدَّة رجل واحد ، وبعث مالك عيونه ليأتوه بالخبر فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالُهُم
فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيلٍ بُلُق ، فوالله ما تماسكنا أن
حَلَّ بنا ما ترى ، فلم ينهه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

ولما بلغ رسول الله ﷺ خبر هوازن أجمع المسير إليهم وبلغه أن عند صفوان بن
أمية أدراعاً وسلاحاً فأرسل إليه رسول الله ﷺ ، وهو يومئذ مشرك أعرنا سلاحك نلق فيه
عدونا غداً . فقال له صفوان : أغضباً يا محمد ؟ فقال : بل عارية مضمونة نؤديها إليك .
قال : ليس بهذا بأس . فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح . ثم سار النبي ﷺ ومعه
ألفان من مسلمة الفتح مع عشرة آلاف من أصحابه فكانوا اثني عشر ألفاً ، فلما رأى
رسول الله ﷺ كثرة من معه قال : « لَنْ نُغَلِبَ اليوم من قلة » وذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ
حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ﴾ ^(١) ، وقيل : إنما قالها رجل من بكر .

واستعمل رسول الله ﷺ على من بمكة عتاب بن أسيد . قال جابر : فلما استقبلنا
وادي حنين أنحدرنا في واد أجوف حطوط إنما ننحدر فيه أنحداراً في عماية الصبح ،
وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكمنا لنا في شعابه ومضايقه ، قد أجمعوا وتهيؤا
وأعدوا له فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتاب قد شدت علينا شدة رجل واحد
فانهزم الناس أجمعون لا يلوي أحدٌ على أحد ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ، ثم
قال : « أيها الناس هلموا إليّ أنا رسول الله : أنا محمد بن عبد الله » قاله ثلاثاً .

ثم احتملت الإبل بعضها بعضاً إلا إنه قد بقي مع النبي ﷺ نفرٌ من المهاجرين

والأنصار وأهل بيته . منهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وابنه الفضل، وأبو سفيان بن الحارث، وربيعه بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، وأسامة بن زيد قال : وكان رجل من هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء أمام الناس فإذا أدرك رجلاً طعنه وإذا فاته الناس رفع رايته لمن وراءه فاتبعوه فحمل عليه عليّ فقتله .

ولما انهزم الناس تكلم رجال من أهل مكة بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، والأزلام معه في كنانته . وقال كلدة بن الحنبلي وهو أخو صفوان بن أمية لأمه وكان صفوان بن أمية يومئذ مشركاً : الآن بطل السحر . فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك فوالله لأن يرئني رجل من قريش أحب إليّ من أن يرئني رجل من هوازن . وقال شيبه بن عثمان : اليوم أدرك ثاري من محمد - وكان أبوه قتل بأحد . قال : فأدرت به لأقتله شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك، وعلمت أنه منيع مني . وكان العباس مع النبي ﷺ آخذاً بلجام بغلته دُلْدُل وهو عليها، وكان العباس جسيماً شديداً الصوت، فقال له رسول الله ﷺ « يا عباس أصرخ يا معشر الأنصار يا أصحاب السُّمرة » ففعل فأجابوه : « لبيك لبيك » ، فكان الرجل يريد أن يشني بغيره فلا يقدر فيأخذ سلاحه ثم ينزل عنه ويؤم الصوت، فاجتمع على رسول الله ﷺ مائة رجل فاستقبل بهم القوم وقاتلهم، فلما رأى النبي ﷺ شدة القتال قال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

« الآن حمي الوطيس » ، وهو أول من قالها، واقتتل الناس قتالاً شديداً، وقال النبي ﷺ لبغلته دلدل : « البدي دلدل » فوضعت بطنها على الأرض فأخذ حفنة من تراب فرمى به في وجوههم فكانت الهزيمة فما رجع الناس إلّا والأسارى في الجبال عند رسول الله ﷺ . وقيل : بل أقبل شيء أسود من السماء مثل البجاد^(١) حتى سقط بين القوم فإذا نمل أسود مبعوث فكانت الهزيمة ؛ ولما انهزمت هوازن قتل من ثقيف وبني مالك سبعون رجلاً فأما الأحلاف من ثقيف فلم يُقتل منهم غير رجلين لأنهم انهزموا سريعاً، وقصد بعض المشركين الطائف، ومعهم مالك بن عوف وآتبعته خيل رسول الله ﷺ المشركين فآدرك ربيعة بن ربيع السلمي دريد بن الصمة ولم يعرفه لأنه كان

(١) البجاد : هو الكساء . وكان في الأصول : نجار - ولا معنى له ، وصححناه من النهاية وكتب السير وغيرها

في شجار^(١) لكبره وأناخ بغيره فإذا هو شيخ كبير فقال له دريد : ماذا تريد؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت؟ فانتسب له ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً ، فقال : دريد بش ما سلحتك أمك خذ سيفي فاضرب به ثم ارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كذلك كنت أقتل الرجال وإذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك ، فقتله ، فلما أخبر أمه قالت : والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً واستلب أبو طلحة الأنصاري يوم حنين عشرين رجلاً وحده وقتلهم فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ »^(٢) . وقتل أبو قتادة الأنصاري قتيلاً وأجهضه^(٣) القتال عن أخذ سلبه فأخذه غيره ، فلما قال رسول الله ﷺ ذلك قام أبو قتادة فقال : قتلت قتيلاً وأخذ غيري سلبه . فقال الذي أخذ السلب : هو عندي فارضه مني يا رسول الله ، فقال أبو بكر : لا والله لا تعتمد إلى أسدٍ من أسدٍ الله يقاتل عن الله تقاسمه فرد عليه السلب .

وكان لبعض ثقيف غلام نصراني فقتل فبينما رجل من الأنصار يستلب قتلى ثقيف إذ كشف العبد فرآه أغرل فصرخ بأعلى صوته يا معشر العرب إن ثقيفاً لا تختن فقال له المغيرة بن شعبة : لا تقل هذا إنما هو غلام نصراني وأراه قتلى ثقيف مختنين ، ومَرَّ رسول الله ﷺ في الطريق بامرأة مقتولة فقال : من قتلها؟ قالوا : خالد بن الوليد . فقال لبعض مَنْ معه : أدرك خالداً فقل له : إن رسول الله ﷺ ينهك أن تقتل امرأة أو وليداً أو عسيفاً - والعسيف : الأجير .

وكان بعض المشركين بأوطاس فأرسل إليهم رسول الله ﷺ أبا عامر الأشعري عم أبي موسى فرمى أبو عامر بسهم قيل : رماه سلمة بن دريد بن الصمة ، وقتل أبو موسى سلمة هذا بعمه أبي عامر وانهزم المشركون بأوطاس وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا فساقوا في السبي الشيماء ابنة الحارث بن عبد العزى ، فقالت لهم : إني والله أخت صاحبكم من الرضاعة فلم يصدقوها حتى أتوا بها النبي ﷺ فقالت له : إني أختك . قال : وما علامة ذلك؟ قالت : عضة عضضتها في ظهري وأنا متوركتك ، فعرفها وبسط

(١) الشجار : مركب مكشوف دون الهودج . النهاية .

(٢) أخرجه أحمد ٣٢٦/٥ ، والطبراني في الكبير ٢٩٦/٧ .

وقد روي بلفظ : (من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه) أخرجه البخاري ١١٢/٤ ، ١٩٦/٥ ، ومسلم

الجهاد رقم ٤١ - مكرر .

(٣) أجهضه : غلبه ونحاه .

لها رداءه وأجلسها عليه وخيّرهما، فقال: إِنَّ أَحَبَّ بَت فَعَندي مُكْرَمَةٌ مُحبة وإن حببت أَنْ أمتعك وترجعي إلى قومك؟ قالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي ففعل وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال فجمعت إلى الجعرانة وجعل عليها بُديل بن ورقاء الخزاعي واستشهد من المسلمين بحنين أيمن بن أم أيمن، ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبد العزى وغيرهما.

* * *

ذكر حصار الطائف

لما قدم المنهزمون من ثقيف ومن أنضم إليهم من غيرهم إلى الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتهم واستحصروا^(١) وجمعوا ما يحتاجون إليه، فسار إليهم النبي ﷺ، فلما كان ببحرة الرُّغا ابتنى بها مسجداً فصلى فيه قبل وصوله إلى الطائف، وقتل بها رجلاً من بني ليث قصاصاً كان قد قتل رجلاً من هذيل فأمر بقتله، وهو أول دم أُقيد به في الاسلام، وسار إلى ثقيف فحصرهم بالطائف نيفاً وعشرين يوماً ونصب عليهم منجنيقاً أشار به سلمان الفارسي وقاتلهم قتالاً شديداً حتى كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من المسلمين تحت دَبَابَة^(٢) عملوها ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة فخرجوا من تحتها فرماهم من بالطائف بالنبل فقتلوا رجالاً فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف ففُطِّعَتْ ونزل إلى رسول الله نفرٌ من رقيق أهل الطائف فأعتقهم منهم أبو بكر بن الحارث عبد الحارث بن كلدة وإنما قيل له: أبو بكر بكرة نزل فيها وغيره، فلما أسلم أهل الطائف تكلمت سادات أولئك العبيد في أن يرُدَّهم رسول الله ﷺ إلى الرق فقال: لا أفعل أولئك عتقاء الله.

ثم إنَّ خويلة بنت حكيم السلمية - وهي امرأة عثمان بن مظعون - قالت: يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلِّي بادية بنت غيلان أو حلِّي الفارعة بنت عقيل وكانتا من أكثر نساء ثقيف حُلَيَّا، فقال لها رسول الله ﷺ: أرايتِ إن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة؟ فخرجت فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب فدخل عليه عمر وقال: يا رسول الله ما حديث حدثتني خويلة أنك قد قلته؟ قال: قد قلته. قال: أفلا أؤذن بالرحيل

(١) استحصروا : اظهر الحصر .

(٢) الدبابة : آلة كانت تتخذ في الحرب وهدم الحصون .

يا رسول الله؟ قال: بلى فأذن بالرحيل، فأذن عمر فيهم بالرحيل، وقيل: إن رسول الله ﷺ استشار نوفل بن معاوية الديلي في المقام عليهم فقال: يا رسول الله ثعلبٌ في جُحرٍ إن أقمته عليه أخذته وإن تركته لم يضرك فأذن بالرحيل، فلما رجع الناس قال رجل: يا رسول الله أدع على ثقيف. قال: اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم. فلما رأت ثقيف الناس قد رحلوا عنهم نادى سعيد بن عبيد الثقفي ألا إن الحيّ مقيم. فقال عيينة بن حصن: أجل والله مجدة كراماً، فقال رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة أتمدحهم بالامتناع من رسول الله ﷺ؟ قال: إني والله ما جئت لأقاتل معكم ثقيفاً ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتبطنها لعلها تلد لي رجلاً فإن ثقيفاً قوم مناكير.

واستشهد بالطائف اثنا عشر رجلاً، منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب، وعبد الله بن أبي بكر الصديق رُمي بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، والسائب بن الحارث بن عدي وغيرهم، وأخذت بادية بنت غيلان التي قال فيها هيتُ المخنث لعبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله عليكم الطائف فسل رسول الله ﷺ أن ينفلك بادية بنت غيلان فأنها هيفاء شموع نجلاء إن تكلمت تغنت، وإن قامت تشتت، وأن مشيت ارتجت وإن قعدت تبنت، تُقبلُ بأربع وتُذبرُ بثمان^(١) بشجر كالأقحوان بين رجليها كالقعب المكفأ. فقال النبي ﷺ: لقد علمت الصفة! ومنعه من الدخول إلى نسائه.

* * *

ذكر قسمة غنائم حنين

لما رحل رسول الله ﷺ من الطائف سار حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس وأتته وفود هوازن بالجعرانة^(٢) وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا ما لم يخف عليك فامن علينا من الله عليك، وقام زهير أبو صرد من بني سعد بن بكر وهم الذين أرضعوا رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنما في الحظائر^(٣) عماتك

(١) يريد عكنات بطنها لسمنها.

(٢) منزل بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب.

(٣) جمع حظيرة وهي شبه الزرب الذي يصنع للإبل والغنم ليكفها.

وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو أنا ارضعنا الحارث بن أبي شمر الغساني أو النعمان بن المنذر لرجونا عطفه وأنت خير المكفولين، ثم قال:

أمن علينا رسول الله في كرمٍ فإنك المرء نرجوه ونُدْخِرُ
أمن على نسوةٍ قد عاقها قدر ممزق شملها في دهرها غير

في أبيات، ^(١) فخيرهم رسول الله ﷺ بين أبنائهم ونسائهم وبين أموالهم، فأختاروا أبناءهم ونساءهم فقال: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فإذا أنا صليتُ بالناس فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكُم وأسأل فيكم. فلما صلى الظهر فعلوا ما أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله. وقال الأقرع بن حابس: ما كان لي ولبني تميم فلا. وقال عيينة بن حصن: ما كان لي ولفزارة فلا. وقال عباس بن مرداس: ما كان لي ولسليم فلا. فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله. فقال: وهنتموني ^(٢). فقال رسول الله ﷺ: من تمسك بحقه من السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء نصيبه فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم. وسأل رسول الله ﷺ عن مالك بن عوف فقيل: إنه بالطائف فقال: أخبروه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة بعير فأخبر مالك بذلك فخرج من الطائف سراً ولحق برسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، واستعمله رسول الله ﷺ على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل التي حول الطائف فأعطاه أهله وماله ومائة بعير، وكان يقاتل بمن أسلم معه من ثمانية؛ وفهم، وسلمة ثقيفاً، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا هوازن ركب واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله أقسم علينا فيثنا من الإبل والغنم حتى ألجأوه ^(٣) إلى شجرة فأختطففت رداءه فقال: «ردوا عليّ ردائي أيها الناس فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نعم لقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً»، ثم رفع وبرة من سنام بعير وقال: «ليس لي من

(١) تمامها في الروض الأنف.

(٢) أي: ضَعُفْتُمُونِي.

(٣) في الأصول: القوه - ونحن صححناه من ابن جرير (م).

فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس وهو مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة، فمن أخذ شيئاً رده « ثم أعطى المؤلفة قلوبهم وكانوا من أشرف الناس يتألفهم على الاسلام فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والعلاء بن جارية الثقفي، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو؛ وحويطب بن عبد العزى، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، ومالك بن عوف النصري كل واحد منهم مائة بعير، وأعطى دون المائة رجالاً، منهم مخزومة بن نوفل الزهري، وعمير بن وهب بن عمرو، وسعيد بن يربوع، وأعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها، وقال: يعاتب رسول الله ﷺ :

كانت نهابا تلافيتها	بِكَرِّي عَلَى الْمَهْر فِي الْأَجْرِع
وايقاضي القوم أن يرقدوا	إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعْ
فأصبح نهبي وهب العبيد	عَدَّ (١) بَيْنَ عَيْنِنِ وَالْأَقْرِع
وقد كنت في الحرب ذا تُدرٍ	فَلَمْ أَعْطِ شَيْئاً وَلَمْ أَمْنَعْ
إلا أفائل (٢) أعطيتها	عَدِيدَ قَوَائِمِهِ الْأَرْبَع
وما كان حصن ولا حابس	يَفُوقَانِ مَرَادِسَ (٣) فِي الْمَجْمَع
وما كنت دون امرئ منهما	وَمَنْ تَضَعُ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ

فأعطاه حتى رَضِيَ، وقال رجل من الصحابة: يا رسول الله أعطيت عيينة والأقرع وتركت جعيل بن سراقه؟ فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لجعيل خيرٌ من طلاع الأرض رجالاً كلهم مثل عيينة والأقرع، ولكني تألفتها ووكلت جعيلاً إلى إسلامه. وقيل: إن ذا الخويصرة التميمي في هذه القسمة قال لرسول الله ﷺ: إنك لم تعدل اليوم. فقال رسول الله ﷺ: «ومن يعدل إذا لم أعدل»؟ فقال عمر بن الخطاب: ألا نقتله؟ فقال: دعوه ستكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة، ينظر في النصل فلا يوجد شيء، ثم في القدح فلا يوجد شيء، ثم في الفوق فلا يوجد شيء سبق الفرث (٤) والدم.

(١) عبيد بالتصغير كزبير اسم فرسه.

(٢) جمع أفيل، وهي: صغار الإبل.

(٣) بدون صرف لضرورة الشعر وهي من الشواهد (م).

(٤) هو ما يوجد في كرش ذي الكرش.

وقيل إن هذا القول إنما كان في مال بعث به عليّ من اليمن إلى رسول الله ﷺ فقسمه بين جماعة منهم عيينة، والأقرع وزيد الخيل، قال أبو سعيد الخدري: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك الغنائم في قريش، وقبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئاً وجدوا في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه، فأخبر سعد بن عباد رسول الله ﷺ بذلك فقال له: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: ما أنا إلا من قومي.. قال: فاجمع قومك لي في هذه الحظيرة. فجمعهم فأتاهم رسول الله ﷺ فقال: ما حديث بلغني عنكم! ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله بي؟ وفقراء فأغناكم الله بي؟ وأعداء فألّف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا: بلى والله يا رسول الله والله ورسوله المَن والفضل. فقال: ألا تجيبوني؟ قالوا: بماذا نجيبك؟ فقال: والله لو شئتم لقلتم فصدقتم: أتينا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريدأ فآويناك، وعائلاً^(١) فواسيناك. أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة^(٢) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟! أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكُم؟ والذي نفسي بيده لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار، ولو سلك الناس شِعْباً وسلك الأنصار شِعْباً لسلك شِعْب الأنصار، اللهم أرحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار. قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا.

ثم اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة وعاد إلى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن، وحج عتاب بن أسيد بالناس وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي القعدة أو ذي الحجة.

وفيهما بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعِيَاذ^(٣) ابني الجلندی من

(١) العائل : هو الفقير .

(٢) اللعاعة : نبت ناعم في أول ما ينبت يريد قليل البقاء .

(٣) اختلف في اسم أخيه . ففي الإصابة : في جيفر قال : اسمه عبيد وأثبت اسمه عباداً وعبدأ وعياداً وعقد لكل واحد من الثلاثة عنواناً . وفي الاستيعاب بدل عياداً : عبد وفي اسد الغابة عبد ايضاً .

الأزد بعمان مصداً^(١) فأخذ الصدقة من أغنيائهم ورَدَّها على فقرائهم وأخذ الجزية من المجوس الذين بها وهم كانوا أهل البلد وكان العرب حولها، وقيل : سنة سبع .

وفيهما تزوج رسول الله ﷺ الكلابية واسمها فاطمة بنت الضحاك بن سفيان فأختارت الدنيا حين خُيرت، وقيل : إنها استعاذت منه ففارقها .

وفيهما ولدت مارية إبراهيم ابن النبي ﷺ في ذي الحجة فدفعه إلى أم بردة^(٢) بنت المنذر الأنصارية فكانت ترضعه وزوجها البراء بن أوس الأنصاري، وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ فأرسلت أبا رافع إلى النبي ﷺ يبشره بإبراهيم فوهب له مملوكاً، وغار نساء النبي ﷺ وعظم عليهن حين رزقت مارية منه ولداً .

وفيهما بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير إلى ذات اطلاق من الشام إلى نفر من قضاة يدعوهم إلى الاسلام ومعه خمسة عشر رجلاً، فوصل إليهم فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، وكان رئيس قضاة رجلاً يقال له : سدوس فقتلوا المسلمين ونجا عمير فتقدم إلى المدينة .

وفيهما بعث أيضاً عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر من تميم فأغار عليهم وسبى منهم نساءً، وكان على عائشة عتق رقبة من بني اسماعيل، فقال لها رسول الله ﷺ : هذا سبي بني العنبر يقدم علينا فنعطيك إنساناً فتعتقيه .

(١) أي جامع للصدقة (م) .

(٢) ذكر المؤلف في اسد الغابة عن أبي موسى قال : المشهور أن التي أرضعته أم سيف ولعلهما كانتا جميعاً أرضعته في وقتين وهو الصحيح (م) .

ثم دخلت سنة تسع ذكر إسلام كعب بن زهير

قيل : خرج كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، أو أبو سُلمى ربيعة المزني ومعه أخوه بجير حتى أتيا أبرق العزاف فقال له بجير : أثبت في غنمنا حتى آتي هذا الرجل يعني رسول الله ﷺ فأسمع منه ، فأقام كعب وسار بجير إلى رسول الله ﷺ فأسلم وبلغ ذلك كعباً فقال :

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة	فهل لك فيما قلت ويحك؟ هل لك؟
سقاك بها المأمور ^(١) كأساروية	فأنهلك المأمور منها وعلكا
ففارقت أسباب الهدى واتبعته	على أي شيء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أمأً ولا أبا	عليه ولم تدرك عليه أخالكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف	ولا قائل أما عثرت لعالكا

فلما بلغ رسول الله ﷺ قوله غضب وأهدر دمه ، فكتب بذلك بجير إلى أخيه بعد عود رسول الله ﷺ من الطائف ، وقال : النجاء النجاء وما أدري إن تتفلت ثم كتب إليه^(٢) إذا أتاك كتابي هذا فأسلم وأقبل إليه فإنه لا يأخذ مع الاسلام بما كان قبله ، فأسلم كعب وجاء حتى أناخ راحلته بباب المسجد ورسول الله ﷺ مع أصحابه . قال كعب : فعرفته بالصفة فتخطيت الناس إليه فأسلمت ، وقلت : الأمان يا رسول الله هذا مقام العائذ بك . قال : من أنت؟ فقلت : كعب بن زُهير . قال : الذي يقول ثم التفت إلى أبي بكر فقال : كيف قال؟ فأنشده أبو بكر الأبيات التي أولها . ألا أبلغا عني بجيراً رسالة . فقال كعب : ما هكذا قلت : يا رسول الله إنما قلت :

(١) بالراء رواية المؤلف ، وروي بالنون وأثبتهما ابن هشام في سيرته (م) .

(٢) أرسل إليه قصيدة ميمية رواها ابن هشام . انظر ابن هشام ١٥٨/٤ : ١٦١ .

سقاك أبو بكر بكأس روية فأنهلك المأمون منها وعلكا
فقال رسول الله ﷺ : مأمون والله . فتجهمت الأنصار وأغلظت له ، ولانت له قريش
وأحبت إسلامه فأنشده قصيدته التي أولها :

بأنت سعاد قلبي اليوم متبول متيمٌ عندها^(١) لم يفد مكبول
فلما انتهى إلى قوله :

وقال كل خليل كنت آمله لا ألينك إني عنك مشغول
فقلت : خلوا سبيلي لا أبالكم فكل ما قَدَّرَ الرحمنُ مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حذباء محمول
نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
ثم قال :

في فتية من قريش قال قائلهم بيطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل

فنظر رسول الله ﷺ إلى قريش فأوماً إليهم أن أسمعوا حتى قال :

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنايل
لا يقع الطعن ألا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

يُعَرِّضُ بالأنصار لغلظتهم التي كانت عليه ، فأنكرت قريش قوله وقالوا : لم
تمدحنا إذ هجوتهم ولم يقبلوا ذلك منه وعظم على الأنصار هجوه فشكوه فقال
يمدحهم :

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب^(٢) من صالحى الأنصار
ورثوا المكارم كابراً عن كابر إن الخيار هم بنو الأخيار
الناظرون بأعين حمرة كالجمر غير كليلة الأبصار

(١) الرواية المعروفة لدى شراح القصيدة وعند ارباب السيرة (اثرها) بدل عندها .

(٢) مقنب : هو الجماعة من الخيل .

الباذلون نفوسهم ودماءهم يوم الهياج وسطوة الجبار
يتظهرون يرونه نسكاً لهم بدماء من قتلوا^(١) من الكفار

في أبيات . فكساه النبي ﷺ بردة كانت عليه ، فلما كان زمن معاوية أرسل إلى كعب أن يبعنا بردة رسول الله ﷺ فقال : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله أحداً ، فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم ، وهي البردة التي عند الخلفاء الآن ، وقيل : إنما أمر رسول الله ﷺ بقتله وقطع لسانه لأنه كان تشبب بأُم هانئ بنت أبي طالب .

(أبو سُلمى) بضم السين والامالة ، و (المأمور) بالراء . قال بعض العلماء : أنما كره رسول الله ﷺ ذلك لأن العرب كانت تقول لكل من يتكلم بالشيء من تلقاء نفسه مأمور بالراء يريدون أن الذي يقول تأمرة به الجن وإن كان رسول الله ﷺ مأموراً من الله تعالى ولكنه كرهه لعادتهم فلما قال : المأمون بالنون : رضي به لأنه مأمون على الوحي ، و (بجير) بالباء الموحدة المضمومة وبالجيم .

(١) رواية ابن هشام (علقوا) بدل (قتلوا) وهي المشهورة .

ذكر غزوة تبوك

لما عاد رسول الله ﷺ أقام بالمدينة بعد عوده من الطائف ما بين ذي الحجة إلى رجب، أم أمر الناس بالتجهز لغزو الروم وأعلم الناس مقصدهم لبُعد الطريق وشدة الحر وقوة العدو، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة ورى بغيرها، وكان سببها أن النبي ﷺ بلغه أن هِرَقْل ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب قد عزموا على قصده فتجهز هو والمسلمون وساروا إلى الروم، وكان الحرّ شديداً والبلاد مجدبة والناس في عسرة، وكانت الثمار قد طابت فأحب الناس المقام في ثمارهم فتجهزوا على كُره، فكان ذلك الجيش يسمى جيش العُسرة فقال رسول الله ﷺ للجد بن قيس - وكان من رؤساء المنافقين - هل لك يا جد العام في جلاد بني الأصفر؟ فقال: والله لقد عرف قومي حُبِّي للنساء وأخشى أن لا أصبر على نساء بني الأصفر، فإن رأيت أن تأذن لي ولا تفتني. فقال رسول الله ﷺ قد أذنتُ لك. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي﴾ (١) الآية. وقال قائل من المنافقين: لا تنفروا في الحرّ - زهادة في الجهاد وشكاً في الحق وإرجافاً بالرسول ﷺ فنزل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ (٢) الآية.

ثم إن النبي ﷺ تجهز وأمر بالنفقة في سبيل الله وأنفق أهل الغنى وأنفق أبو بكر جميع ما بقي عنده من ماله، وأنفق عثمان نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ أعظم منها قيل: كانت ثلاثمائة بعير وألف دينار، ثم إن رجلاً من المسلمين أتوا النبي ﷺ وهم البكاؤون وكانوا سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، وكانوا أهل حاجة فاستحملوه فقال: لا أجد ما

(١) التوبة : ٤٩ .

(٢) التوبة : ٨١ .

أحملكم عليه فتولوا ييكون، فلقبهم يامين بن عمير بن كعب النضري فسألهم عما ييكيهم فأعلموه فأعطى أبا ليلي عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل المزني بغيراً فكانا يعتقبانه مع رسول الله ﷺ، وجاء المعذرون من الأعراب فاعتذروا إلى رسول الله ﷺ فلم يعذرهم الله، وكان عدة من المسلمين تخلفوا من غير شك، منهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وأبو خيثمة وكانوا نفر صدق لا يهتمون في اسلامهم.

فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي المنافق فيمن تبعه من أهل النفاق، واستخلف رسول الله ﷺ علي المدينة سباع بن عرفة، وعلى أهله علي بن أبي طالب فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً له، فلما سمع علي ذلك أخذ سلاحه ولحق برسول الله ﷺ فأخبره ما قال المنافقون، فقال: كذبوا وإنما خلفتك لما ورائي فأرجع فأخلفني في أهلي وأهلك، أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي. فرجع علي إلى المدينة.

فسار رسول الله ﷺ ثم إن أبا خيثمة أقام أياماً فجاء يوماً إلى أهله، وكانت له امرأتان وقد رشت كل امرأة منهما عريشها وبردت له ماء وصنعت طعاماً، فلما رآه قال: يكون رسول الله ﷺ في الحر والريح وأبو خيثمة في الظل البارد والماء البارد والطعام المهيب والمرأة الحسناء في ماله مقيم! ما هذا بالنصف، والله ما أحل عريشاً منهما حتى ألحق برسول الله ﷺ. فهياً زاده وخرج إلى ناضحه فركبه وطلب رسول الله ﷺ فأدركه بتبوك. فقال الناس: يا رسول الله هذا راكب مقبل، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة. فقالوا: هو والله أبو خيثمة. وأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبره فدعا له.

وكان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر وهو بطريقه وهو منزل ثمود قال لأصحابه: « لا تشربوا من هذا الماء شيئاً ولا تتوضأوا منه، وما كان من عجين فألقوه وأعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرج الليلة أحدٌ إلا مع صاحب له »، ففعل ذلك الناس ولم يخرج أحدٌ إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته فأصابه جنون، وأما الذي طلب بغيره فاحتمله الريح إلى جبلي طيء فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: ألم أنهيكم أن لا يخرج أحدٌ إلا مع صاحب له؟ فأما الذي خنق فدعا له فشفي، وأما الذي حملته الريح فأهدته طيء إلى رسول الله بعد عوده إلى المدينة. وأصبح الناس بالحجر ولا

ماء معهم فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فدعا الله فأرسل سحابة فأمطرت حتى روي الناس واحتملوا حاجتهم من الماء. وكان بعض المنافقين يسير مع رسول الله ﷺ، فلما جاء المطر قال له بعض المسلمين: هل بعد هذا شيء؟ قال: سحابة مارة.

وضلت ناقة رسول الله ﷺ في الطريق فقال لأصحابه وفيهم عمارة بن حزم وهو عَقَبِي^(١) بدري: إن رجلاً قال: إن محمداً يخبركم الخبر من السماء وهو لا يدري أين ناقتة؟ وإنني والله لا أعلم إلا ما علّمني الله عز وجل وقد دلني الله عليها، وهي في الوادي في شُعب كذا قد حبستها شجرة بزمامها فأنطلقوا فاتّوه بها، فرجع عمارة إلى أصحابه فخبّرهم بما قال رسول الله ﷺ عن الناقة تعجباً مما رأى. وكان زيد بن لصيب^(٢) القينقاعي منافقاً وهو في رحل عمارة قد قال: هذه المقالة، فأخبر عمارة بأن زيدا قد قالها فقام عمارة يطأ عنقه وهو يقول: في رحلي داهية ولا أدري أخرج عني يا عدو الله من رحلي ولا تصحبني. فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك وحسن إسلامه، وقيل: لم يزل متهماً حتى هلك.

ووقف بأبي ذر جملة فتخلف عليه ف قيل: يا رسول الله تخلف أبو ذر فقال: «ذروه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم» فكان يقولها لكل من تخلف عنه، فوقف أبو ذر على جملة، فلما أبطأ عليه أخذ رَحْلَهُ عنه وحمله على ظَهْرِهِ وتبع النبي ﷺ ماشياً، فنظر الناس فقالوا: يا رسول الله هذا رجل على الطريق وحده. فقال رسول الله ﷺ: كن أبا ذر. فلما تأمله الناس قالوا: هو أبو ذر. فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبْعَثُ وحده، ويشهده عصابة من المؤمنين. فلما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة فأصابه بها أَجْلُهُ ولم يكن معه إلا امرأته وغلّامه فأوصاهما أن يغسلاه ويكفناه ثم يضعاه على الطريق فأول ركب يمر بهما يستعينا بهم على دفنه ففعلا ذلك، فأجتاز بهما عبدالله بن مسعود في رهط من أهل العراق فأعلمته امرأة أبي ذر بموته فبكى ابن مسعود وقال: صدق رسول الله ﷺ «تمشي وحدك. وتموت وحدك. وتبعث وحدك»، ثم واروه.

وانتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك فأتى يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة فصالحه على

(١) أي من أهل العقبة.

(٢) في الأصل: لصيت وهو غلط وصوابه بالباء الموحدة نص عليه في الإصابة.

الجزية وكتب له كتاباً فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، ثم زاد فيها الخلفاء من بني أمية، فلما كان عمر بن عبد العزيز لم يأخذ منهم غير ثلاثمائة وصالح أهل أذُرَح^(١) على مائة دينار في كل رجب، وصالح أهل جرباء^(٢) على الجزية؛ وصالح أهل مَقْنَا^(٣) على ربع ثمارهم.

وأرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وكان نصرانياً من كندة فقال لخالد: إنك تجده يصيد البقر. فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه على منظر العين وأكيدر على سطح داره فباتت البقرة تحك بقورنها باب الحصن فقالت امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله. قالت فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، ثم نزل وركب فرسه ومعه نفر من أهل بيته، ثم خرج يطلب البقر فتلقته خيل رسول الله ﷺ وأخذته وقتلوا أخاه حساناً، وأخذ خالد من أكيدر قباء ديباج مخصص بالذهب فأرسله إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه فقال رسول الله ﷺ: أتعجبون من هذا! لِمَنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ^(٤) في الجنة أحسن من هذا. وقدم خالد بأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن دمه وصالحه على الجزية وخلق سبيله فرجع إلى قريته.

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ولم يقدم عليه الروم والعرب المنتصرة فعاد إلى المدينة، وكان في الطريق ماء يخرج من وشل لا يروي إلا الراكب والراكبين بواد يقال له: وادي المشقق فقال رسول الله ﷺ: «من سبقنا فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه» فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلما جاء رسول الله ﷺ أخبروه بفعلهم فلعنهم ودعا عليهم، ثم نزل رسول الله ﷺ إليه فوضع يده تحته وجعل يصب إليها يسيراً من الماء فدعا فيه ونضح في الوشل فأنخرق الماء جرياً شديداً فشرب الناس واستقوا. وسار رسول الله ﷺ حتى قارب المدينة فأتاه خبر مسجد الضرار فأرسل مالك بن الدخشم فحرقه وهدمه، وأنزل الله فيه ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً

(١) أذُرَح، اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي بلقاء وعمان.

(٢) الجرباء: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراء من ناحية الحجاز.

(٣) مقنا: قرية قرب أيلة.

(٤) في الأصول سعد بن عباد وهو غلط والصواب سعد بن معاذ كما في صحيح البخاري وغيره.

وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ الْآيَاتِ، وَكَانَ الَّذِينَ بَنَوْهُ اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا وَكَانَ قَدْ أَخْرَجَ مِنْ دَارِ خِذَامِ بْنِ خَالِدٍ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ.

وقدم رسول الله ﷺ وكان قد تخلف عنه رهط من المنافقين فأتوه يحلفون له ويعتذرون فصّح عنهم رسول الله ﷺ ولم يعذرهم الله ورسوله، وتخلف أولئك النفر الثلاثة وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع تخلفوا من غير شك ولا نفاق فنهى رسول الله ﷺ عن كلامهم فأعتزلهم الناس فبقوا كذلك خمسين ليلة؛ ثم أنزل الله توبتهم ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ﴾ (٢) الْآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ (صَادِقِينَ) وَكَانَ قَدُومُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ مِنْ تَبُوكَ فِي رَمَضَانَ.

(يامين النضري) بالنون والضاد المعجمة، و (عبد الله بن مغفل) بالغين المعجمة والفاء المفتوحة؛ و (زيد بن لصيت) باللام المضمومة والصاد المهملة وآخره تاء مشناة من فوقها (٣)، و (خِذَامُ بْنُ خَالِدٍ) بالخاء المكسورة والذال المعجمتين، و (أَكِيدِرُ) بالهمزة المضمومة والكاف المفتوحة والذال المهملة المكسورة وآخره راء مهملة.

* * *

(١) التوبة : ١٠٧ .

(٢) التوبة : ٨١ .

(٣) تقدم ص ٢٢٧ ضبطه عن ابن حجر بالباء الموحدة . ولعل ما في الإصابة خطأ وما هنا الصحيح (م) .

ذكر قدوم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله ﷺ

وفيهما قدم عروة بن مسعود الثقفي على النبي ﷺ مسلماً، وقيل: بل أدركه في الطريق مرجعه من الطائف وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال رسول الله ﷺ «إنهم قاتلوك». فقال: أنا أحب إليهم من أبقارهم»، ورجا أن يوافقوه لمنزلته فيهم، فلما رجع إلى الطائف صعد إلى عليّة له وأشرف منها عليهم وأظهر الإسلام ودعاهم إليه فرموه بالنبل من كل وجه فأصابه سهم فقتله، فقيل له؛ ما ترى في دمك؟ فقال: كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها إليّ ليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله ﷺ فآدفنوني معهم. فلما مات دفنوه معهم، وقال: رسول الله ﷺ فيه «إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه».

* * *

ذكر قدوم وفد ثقيف

وفي هذه السنة في رمضان قدّم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ، وسبب ذلك أنهم ائتمروا بينهم ورأوا أن من يحيط بهم من العرب قد نصبوا لهم القتال وشنوا الغارات عليهم وكان أشدهم في ذلك مالك بن عوف النصري، فلا يخرج منهم مال إلا نهب ولا إنسان إلا أخذ، فلما رأوا عجزهم اجتمعوا وأرسلوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، والحكم بن عمرو بن وهب، وشرحبيل بن غيلان وهؤلاء من الأحلاف، وأرسلوا من بني مالك عثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة فخرجوا حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأنزلهم في قبة في المسجد. فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم، وبين النبي ﷺ؛ وكان رسول الله ﷺ يرسل إليهم ما يأكلونه مع خالد وكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يأكل خالد منه حتى أسلموا.

وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين فأبى عليهم وكان قصدهم بذلك أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم، فنزلوا إلى شهر^(١) فلم يجبهم وسألوه أن يعفيهم من الصلاة فقال: « لا خير في دين لا صلاة فيه ». فأجابوا وأسلموا، وأمر عليهم رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم لما رأى من حرصه على الاسلام والتفقه في الدين، ثم رجعوا إلى بلادهم، وأرسل رسول الله ﷺ معهم المغيرة بن شعبة، وأبا سفيان بن حرب ليهتما الطاغية فخرجا مع القوم حتى قدما الطائف، فتقدم المغيرة فهدمها، وقام قومه من بني شعيب دونه خوفاً أن يرمى بسهم، وخرج نساء ثقيف حسراً يكيّن عليها، وأخذ حليها ومالها وكان أبو مليح بن عروة بن مسعود، وقارب بن الأسود بن مسعود قدما على رسول الله ﷺ لما قتل عروة والأسود فأمرهما رسول الله ﷺ أن يقضي منه دين عروة والأسود ابني مسعود ففعلا، وكان الأسود مات كافراً فسأل ابنه قارب بن الأسود رسول الله ﷺ أن يقضي دين أبيه، فقال: إنه كافر. فقال: يصل مسلم ذا قرابته يعني أنه أسلم فيصل أباه وإن كان مشركاً.

* * *

(١) في سيرة ابن هشام (فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوا شهراً واحداً) .

ذكر غزوة طيء واسلام عدي بن حاتم

في هذه السنة في شهر ربيع الآخر أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب في سرية إلى ديار طيء وأمره أن يهدم صنمهم الفلّس فسار إليهم وأغار عليهم فغنم وسبى وكسر الصنم، وكان متقلداً سيفين، يقال: لاحدهما مخدم، وللآخر رسوب فأخذهما علي وحملهما إلى رسول الله ﷺ، وكان الحارث بن أبي شمر أهدي السيفين للصنم فعلقا عليه، وأسر بنتاً لحاتم الطائي وحملت إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فأطلقها. وأما إسلام عدي بن حاتم فقال عدي: جاءت خيل رسول الله ﷺ فأخذوا أختي وناساً فأتوا بهم رسول الله ﷺ فقالت أختي: يا رسول الله هلك الوالد، وغالب الوافد فأمن علي من الله عليك: فقال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال: الذي فر من الله ورسوله. فمن عليها وإلى جانبه رجل قائم وهو علي بن أبي طالب قال: سليه حملاناً، فسألته فأمر لها به، وكساها وأعطاهما نفقة. قال عدي: وكنت ملك طيء أخذ منهم المربع وأنا نصراني فلما قدمت خيل رسول الله ﷺ هربت إلى الشام من الاسلام وقلت: أكون عند أهلي ديني فيينا أنا بالشام إذ جاءت أختي وأخذت تلومني على تركها وهربي بأهلي دونها، ثم قالت لي: أرى أن تلحق بمحمد سريعاً فإن كان نبياً كان للسابق فضله، وإن كان ملكاً كنت في عز وأنت أنت. قال: فقدمت على رسول الله ﷺ فسلمت عليه وعرفته نفسي فأنطلق إلى بيتي فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقلت: ما هذا بملك. ثم دخلت بيته فأجلسني على وسادة وجلس على الأرض، فقلت في نفسي: ما هذا ملك. فقال لي: يا عدي إنك تأخذ المربع^(١) وهو لا يحل في دينك، ولعلك إنما يمنعك من الاسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدونا، والله ليفيض

(١) المربع: ربع الغنمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية.

المال فيهم حتى لا يوجد مَنْ يأخذه، ووالله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ووالله لتسمعن بالقصور البيض من بابل وقد فُتِحَتْ. قال: فأسلمتُ فقد رأيتُ القصور البيض وقد فتحت؛ ورأيت المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلا الله، ووالله لتكونن الثالثة ليفيطن المال حتى لا يقبله أحد.

ذكر قدوم الوفود على رسول الله ﷺ

لَمَّا افْتَتَحَ رسول الله ﷺ مكة وأسلمت ثقيف وفرغ من تبوك ضَرَبَتْ إليه وفودُ العرب مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وإنما كانت العرب تنتظر بإسلامها قريشاً إذ كانوا إمام الناس، وأهل الحرم، وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام، لا تنكر العرب ذلك؛ وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله ﷺ وخلافه، فلما فُتِحَتْ مكة وأُسْلِمَتْ قريش عرفت العرب أنها لا طاقة لها بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته فدخلوا في الدين أفواجاً كما قال الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ (١).

وقدمت وفودهم في هذه السنة:

قدم وفد بني أسد على رسول الله ﷺ وقالوا: أتيناك قبل أن ترسل إلينا رسولاً فأنزل الله تعالى: ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ﴾ (٢) الآية.

وفيهما قدم وفد بلي في شهر ربيع الأول فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوي.

وفيهما قدم وفد الزاريين وهم عشرة نفر.

وفيهما قدم على رسول الله ﷺ وفد بني تميم مع حاجب بن زرارة بن عدس وفيهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وقيس بن عاصم، والحتات (٣) ومعتمر بن زيد في وفد عظيم ومعهم عيينة بن حصن الفزاري فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ مِنْ وراء حُجْرَاتِهِ أَنْ أَخْرِجْ إِلَيْنَا يَا مُحَمَّد. فأذنى ذلك رسول

(١) سورة النصر.

(٢) الحجرات: ١٧.

(٣) بالحاء المهملة ابن يزيد، وفي الأصول بالخاء المعجمة، وهو غلط صححناه من أسد الغابة والقاموس وسيرة ابن هشام (م).

الله ﷺ، وخرج إليهم، فقالوا: جئنا نفاخرُكَ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا. فأذن لهم، فقام عطارد فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنّ، وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظيماً نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عدداً وأيسرهم عدة فمن يفاخرنا فليعدد مثل عددنا. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس: أجب الرجل. فقام ثابت فقال: الحمد لله الذي له السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسیه علمه، ولم يكن شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً، وأصدقهم حديثاً، وأفضلهم حسباً، فأنزل عليه كتابه، واثمنه على خلقه، فكان خيرة الله تعالى من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان فأمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمته، أكرم الناس نسباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعلاً، ثم كان أول الخلق استجابة لله حين دعاه نحن فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً والسلام عليكم، فقالوا: يا رسول الله آئذن لشاعرنا. فأذن له، فقام الزبرقان بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حيّ يعادلنا	منا الملوك وفيما تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم	عند النهاب وفضل العرب يتبع
ونحن يطعم عند القحط مطعمنا	من الشواء إذا لم يؤنس القزع ^(١)
بما ترى الناس تأتينا سراتهم	من كل أرض هوي ^(٢) ثم تصطنع
فنتحر الكوم عبطاً في أرومتنا ^(٣)	للنازليين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حيّ نفاخرهم	ألا استقادوا وكان الرأس يُقْتَطَعُ
إننا أبينا ولم يَأب لنا أحد	إننا كذلك عند الفخر نرتفع
فمن يفاخرنا في ذاك يعرفنا	فيرجع القول والأخبار تستمع

قال: وكان حسان بن ثابت غائباً فدعاه رسول الله ﷺ ليجيب شاعرهم، قال حسان: فلما سمعتُ قوله قلت على نحوه:

(١) جمع قزعة: وهو سحاب رقيق يكون في الخريف.

(٢) أي سراعاً.

(٣) الكومة العظيمة السنام من الإبل والعبط هو من مات شاباً صحيحاً.

قد بينوا سُنَّةً للناس تتبع
أو حاولوا النفع في أشياعهم نفَعُوا
تَقْوَى الإله وكل البر يصطنع
إِنَّ الخلائق فاعلم شرها البدع
فكلُّ سَبَقٍ لأدنى سبقهم تَبَعَ
عند الدفاع ولا يوهون ما رَقَعُوا
أو وازنوا أهل مجدٍ بالندى متعوا^(٣)
لا يطمعون ولا يزرى بهم طَمَعُ
ولا يمسهم من مطمعٍ طبع
كما يدبُّ إلى الوحشية الذرع
أسد بحلية في أرساغها فدع^(٤)
إذا تفرقت الأهواء والشيع
إِنَّ جَدَّ بالناس جد القول أو شمعوا^(٥)

إِنَّ الذوائب^(١) من فهرٍ وإخوتهم
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم
يرضى بها كل من كانت سريرته
سجية^(٢) تلك منهم غير محدثة
إن كان في الناس سَبَّاقُونَ بعدهم
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم
إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقهم
أعفةٌ ذُكِرَتْ في الوحي عفتهم
لا يبخلون على جارٍ بفضلهم
إذا نصبنا لحي لم ندب لهم
كأنهم في الوغى والموت مكتنع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
فإنهم أفضل الأحياء كلهم

فلما فرغ حسان قال الأقرع بن حابس : إِنَّ هذا الرجل لمؤتى له^(٦) خطيبهم
أخطب من خطيبنا، وشاعرهم أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أحلى من أصواتنا.

ثم أسلموا وأجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم.

وفيه أنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ ﴾^(٧) الآيات.

(الحتات) بالحاء المهملة وتاءين كل واحدة منهما معجمة باثنتين من فوق.

(١) الذوائب الأعالي وأراد به هنا السادة .

(٢) هي الغريزة والطبيعة .

(٣) أي : زادوا .

(٤) مكتنع اي : دان قريب . والحلية اسم موضع تنسب إليه الأسود . والأرساغ جمع رسغ وهو موضع مربوط
القيد .

(٥) أي : ضحكوا ومزحوا .

(٦) أي : لموفق له .

(٧) الحجرات : ٤ .

و (عُيِّنَة) بضم العين المهملة وياءين كل واحدة منهما مثناة من تحت ونون .

وفيها قدم على رسول الله ﷺ كُتِبَ ملوك حمير مُقِرِّين بالإسلام مع رسولهم الحارث بن عبد كلال، والنعمان قيل ذي رُعَيْن، وهمدان فأرسل إليه زرعة ذويزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم، وكتب إليهم رسول الله ﷺ يأمرهم بما عليهم في الإسلام وينهاهم عما حرم عليهم .

وفيها قدم وفد بهراء على رسول الله ﷺ فنزلوا على المقداد بن عمرو، وكانوا ثلاثة عشر رجلاً .

وفيها قدم وفد بني البكاء .

وفيها قدم وفد بني فزارة وهم بضعة عشر رجلاً، فيهم خارجة بن حصن .

وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ .

وفيها قدم وفد سعد بن بكر وكان وافدهم ضِمام بن ثعلبة، فسأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام وأسلم، فلما رجع إلى قومه، قال رسول الله ﷺ : «لئن صدق ليدخلن الجنة» . فلما قدم على قومه اجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال : بُشِّت اللات والعزى، فقالوا : اتق البرص، والجذام، والجنون .

فقال : ويحكم إنهما لا يضران ولا ينفعان وإن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً، وقد استنقذكم به مما كنتم فيه .

وأظهر إسلامه، فما أمسى ذلك اليوم في حاضره رجل مشرك لا امرأة مشركة، فما سمع بوافد قوم كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة .

ذكر حج أبي بكر رضي الله عنه

وفيها حج أبو بكر بالناس ومعه عشرون بدنة لرسول الله ﷺ، ولنفسه خمس بدنات وكان في ثلاثمائة رجل، فلما كان بذى الحليفة أرسل رسول الله ﷺ في أثره علياً وأمره بقراءة سورة براءة على المشركين، فأدركه بالعرج، وأخذها منه، فعاد أبو بكر وقال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شيء؟ .

قال : لا، ولكن لا يُبَلِّغ عني إلا أنا أو رجل مني، ألا ترضى يا أبا بكر أنك كنت

معي في الغار وصاحبي على الحوض؟ قال: بلى.

فسار أبو بكر أميراً على الموسم فأقام الناس الحج وحجّت العرب الكفار على عادتهم في الجاهلية؛ وعليّ يؤذن ببراءة، فنادى يوم الأضحى: لا يحجّن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فاجله إلى مدّته. فقالوا: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب، ورجع المشركون فلام بعضهم بعضاً، وقالوا: ما تصنعون وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا.

وفي هذه السنة فرضت الصدقات وفرّق رسول الله ﷺ فيها عمّاله على الصدقات.

وفيهما في شعبان توفيت أم كلثوم بنت النبي ﷺ، وهي زوج عثمان بن عفان وغسلتها أسماء بنت عميس، وصفية بنت عبد المطلب، وقيل: غسلتها نسوة من الأنصار. منهن أم عطية، وصلى عليها رسول الله ﷺ، ونزل في حفرتها أبو طلحة.

وفيهما مات عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وكان ابتداء مرضه في شوال، ومكث عشرين ليلة، فلما توفي جاء ابنه عبد الله إلى النبي ﷺ فسأله قميصه فأعطاه فكفنه فيه، وجاء رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر في صدره وقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد قال: يوم كذا وكذا. كذا وكذا يعدد أيامه؟ ورسول الله ﷺ يتبسم، ثم قال: أخر عني عمر قد خبرت فأخترت، قد قيل لي: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾^(١) ولو علمت أن لو زدت على السبعين غفر لهم لزدت. ثم صلى عليه وقام على قبره حتى فرغ منه.

فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾^(٢) الآية.

وفيهما نعى النبي ﷺ النجاشي للمسلمين وكان موته في رجب سنة تسع، وصلى عليه رسول الله ﷺ.

وفيهما توفي أبو عامر الراهب عند النجاشي.

(١) التوبة: ٨٠.

(٢) التوبة: ٨٤.

ذكر الأحداث في سنة عشر ذكر وفد نجران مع العاقب والسيد

وفيهما أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران في شهر ربيع الآخر^(١)، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً فإن أجابوا أقام فيهم وعلمهم شرائع الإسلام وإن لم يفعلوا قاتلهم، فخرج إليهم ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا وأسلموا فأقام فيهم وكتب إلى رسول الله ﷺ يُعلمه إسلامهم، وعاد خالد ومعه وفدهم، فيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قينان ذي الغصة، ويزيد بن عبد المدان وغيرهما فقدموا على رسول الله ﷺ ثم عادوا عنه في بقية شوال أوفي ذي الحجة، وأرسل إليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم وكتب معه كتاباً، وتوفي رسول الله ﷺ وعمرو بن حزم على نجران.

وأما نصارى نجران فإنهم أرسلوا العاقب والسيد في نفر إلى رسول الله ﷺ وأرادوا مباہلته^(٢)، فخرج رسول الله ﷺ، ومعه علي، وفاطمة والحسن، والحسين، فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها ولم يباهلوه وصالحوه على ألفي حلة، ثمن كل حلة أربعون درهماً. وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله ﷺ وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده أن لا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا، وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به.

فلما استخلف أبو بكر عاملهم بذلك، فلما استخلف عمر أجلى أهل الكتاب عن الحجاز وأجلى أهل نجران فخرج بعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى نجرانية الكوفة، واشترى منهم عقارهم وأموالهم، وقيل: إنهم كانوا قد كثروا فبلغوا أربعين ألفاً

(١) في الطبري: إن معه سرية في أربعمائة.

(٢) في الطبري ذكر محادثة النبي إياهم فانظرها هناك.

فتحاسدوا بينهم فأتوا عمر بن الخطاب وقالوا: أجلنا. وكان عمر بن الخطاب قد خافهم على المسلمين فاغتنمها فأجلاهم فندموا بعد ذلك ثم استقالوه فأبى فبقوا كذلك إلى خلافة عثمان.

فلما ولي علي أتوه وقالوا: ننشدك الله خطك بيمينك فقال: إن عمر كان رشيد الأمر وأنا أكره خلافه وكان عثمان قد أسقط عنهم مائتي حلة، وكان صاحب النجرانية بالكوفة يبعث إلى مَنْ بالشام والنواحي من أهل نجران يجبونهم الحلل، فلما ولي معاوية، ويزيد بن معاوية شكوا إليه تفرقهم وموت من مات منهم وإسلام من أسلم منهم، وكانوا قد قلوا وأروه كتاب عثمان فوضع عنهم مائتي حلة تكملة أربعمئة حلة.

فلما ولي الحجاج العراق، وخرج عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أتهم الدهاقين بمواليته واتهمهم معهم فردهم إلى ألف وثلاثمئة حلة؛ وأخذهم بحلل وشيء. فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم ونقصهم وإلحاح العرب عليهم بالغارة وظلم الحجاج فأمر بهم فأحصوا فوجدوا على العشر من عدتهم الأولى، فقال: أرى هذا الصلح جزية وليس على أرضهم شيء، وجزية المسلم والميت ساقطة فألزمهم مائتي حلة، فلما تولى يوسف بن عمر الثقفي ردهم إلى أمرهم الأول عصبية للحجاج، فلما استخلف السفاح عمدوا إلى طريقه يوم ظهوره من الكوفة فألقوا فيها الرياحان ونشروا عليه فأعجبه ذلك من فعلهم ثم رفعوا إليه أمرهم وتقربوا إليه بأخواله بني الحارث بن كعب فكلمه فيهم عبدالله بن الحارث فردهم إلى مائة حلة، فلما ولي الرشيد شكوا إليه العمال فأمر أن يعفوا من العمال وأن يكون مؤداهم بيت المال.

وفيها قدم وفد سلامان في شوال وهم سبعة نفر رأسهم حبيب السلاماني. وفيها قدم وفد غسان في رمضان، ووفد عامر في شهر رمضان أيضاً. وفيها قدم وفد الأزدي رأسهم صرد بن عبدالله في بضعة عشر رجلاً فأسلم وأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين فسار إلى مدينة جرش وفيها قبائل من اليمن فيهم خثعم فحاصروهم قريباً من شهر فامتنعوا منه فرجع حتى كان بجبل يقال له: كشر فظن أهل جرش أنه منهزم فخرجوا في طلبه فأدركوه فعطف^(١) عليهم

(١) أي: مال عليهم.

فقاتلهم قتالاً شديداً، وقد كان أهل جرش قد بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة ينظران حاله فينما هما عنده بعد العصر إذ قال: بأي بلاد الله شكر؟

فقالا: ببلادنا جبل يقال له: كشر. فقال: إنه ليس بكشر ولكنه شكر. قالوا: فما له يا رسول الله؟ قال: إن بدن الله لتنحر عنده الآن. فقال لهما: أبو بكر أو عثمان: ويحكمما أنه ينعي لكما قومكما فقوموا إلى رسول الله فأسألاه أن يدعو الله أن يرفع عنهم ففعلا، فقال: اللهم أرفع عنهم. فخرجا من عنده إلى قومهما فوجداهم قد أصيبوا ذلك اليوم في تلك الساعة التي ذكر فيها النبي ﷺ حالهم، وخرج وفد جرش إلى رسول الله ﷺ حتى قدموا عليه فأسلموا.

وفيهما قدم وفد مراد مع فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة ومعانداً لهم، وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة ظفرت فيها همدان وأكثروا القتلى في مراد، وكان يقال لذلك اليوم: يوم الرزم^(١) وكان رئيس همدان الأجدع بن مالك والد مسروق، وفي ذلك يقول فروة:

فإن نغلب فغلابون قدما	وإن نهزم فغير مُهزَمينا
وما إن طَبنا جبن ولكن	منايانا ودولة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال	تكرّ صروفه حيناً وحيناً
فبينا ما يسرّ به ويرضى	ولو لبست غضارته سنيّنا
إذا انقلبت به كرات دهر	فألّفى للألى غبطوا طحيناً
ومن يغبط بريب الدهر منهم	يجد ريب الزمان له خوئنا
فلو خلد الملوّك إذن خلدنا	ولو بقي الكرام إذن بقينا
فأفنى ذلكم سروات قومي ^(٢)	كما أفنى القرون الأولينا

ولما توجه فروة إلى رسول الله ﷺ مفارقاً لقومه قال:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نسائها^(٣)

(١) موضع كان فيه يوم بين مراد وهمدان الحارث بن كعب في اليوم الذي كانت فيه وقعة بدر.

(٢) أي: أشرافهم.

(٣) النساء عرق مستبطن الفخذ، ومد للضرورة الشعرية.

يمنت راحلتي أوْمُ محمداً أرجو فضائلها^(١) وحسن ثرائها^(٢)
فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له: يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم
الرزم؟

فقال: يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي ولم يسؤه ذلك؟ فقال
رسول الله ﷺ: إن ذلك لا يزيد قومك في الإسلام إلا خيراً.

فاستعمله رسول الله ﷺ على مراد، وزبيد، ومذحج كلها، وبعث معه خالد بن
سعيد بن العاص فكان على الصدقات، وكان معه في بلاده إلى أن توفي رسول
الله ﷺ.

وفيها أرسل فروة بن عمرو الجذامي ثم النفائي رسولاً إلى رسول الله ﷺ بإسلامه
وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملاً للروم على مَنْ يليهم من العرب، وكان منزله
معان في أرض الشام، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أسروه فحبسوه فقال في
محبسه ذلك:

طرقت سليمى موهناً فشجاني	والروم بين الباب والقروان ^(٣)
صد الخيال وساء ما قد رأى	وهممت أن أغفي وقد أبكاني
لا تكحلن العين بعدي إثمدا	سلمى ولا تدنن للانسان

فلما آجتمعت الروم لصلبه على ماءٍ لهم يقال له «عفرى» بفلسطين قال:

ألا هل أتى سلمى بأن خليلها	على ماءٍ عفرى فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يلحق الفحل أمها	مشذبة أطرافها ^(٤) بالمناجل

وهذا من أبيات المعاني، فلما قدموه ليصلبوه قال:

بلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي

(١) وروي فواضلها اي : الراحلة .

(٢) يعني : الجود والعطية .

(٣) القروان جمع قرو وهو حوض الماء .

(٤) اي : أناموا نوماً خفيفاً .

ثم ضربوا عنقه وصلبوه .

وفيها قدم وفد زبيد على رسول الله ﷺ مع عمرو بن معد يكرب ، وكان رسول الله ﷺ قد استعمل على زبيد ومراد فروة بن مسيك في هذه السنة قبل قدوم عمرو ، فلما عاد عمرو من عند رسول الله ﷺ أقام في قومه بني زبيد وعليهم فروة بن مسيك فلما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو .

وفيها قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم الجارود بن عمرو ، وكان نصرانياً فأسلم وأسلم من معه ، وكان الجارود حسن الإسلام صُلْباً على دينه حتى هلك ، وكان نهى قومه عن الردة بعد موت النبي ﷺ لما ارتدوا مع الغرور ، وهو المنذر بن النعمان ، وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي قبل الفتح إلى المنذر بن ساوى العبدى فأسلم وحسن إسلامه ، ثم هلك بعد وفاة رسول الله ﷺ وقبل ردة أهل البحرين والعلاء أمير لرسول الله على البحرين .

وفيها قدم وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة الكذاب وكان منزله في دار ابنة الحارث امرأة من الأنصار واجتمع مسيلمة برسول الله ﷺ ثم عاد إلى اليمامة وتنبأ وتكذب لهم وادعى أنه شريك رسول الله في النبوة . فاتبعه بنو حنيفة .

وفيها قدم وفد كندة مع الأشعث بن قيس وكانوا ستين راكباً فقال الأشعث : نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار .

فقال النبي ﷺ : نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا^(١) ولا ننتفي من أبينا^(٢) .

وفيها قدم وفد محارب . وفيها قدم وفد الرهاويين ، وهم بطن من مذحج ، و(رهاء) بفتح الراء قاله عبد الغني بن سعيد . وفيها قدم وفد عبس . وفيها قدم وفد صدف وافوا رسول الله ﷺ في حجة الوداع . وفيها قدم وفد خولان وكانوا عشرة . وفيها قدم وفد بني عامر بن صعصعة فيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس وجبار بن سلمى - بضم السين وبالإمالة - بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم

(١) أي : لانتبها في نسبها بل نتبع الأباء .

(٢) أخرجه ابن ماجه رقم ٢٦١٢ ، أحمد ٢١١/٥ وابن عساكر ٢٩٦/١ ، الطبراني في الكبير ٣٢١/٢ : ٧٢١ ، والبخاري في التاريخ الصغير ١١/١ ، الخطيب في تاريخ بغداد ١٢٨/٧ .

وشياطينهم، وكان عامر يريد الغدر برسول الله ﷺ فقال له قومه: إن الناس قد أسلموا فأسلم. فقال: لا أتبع عقب هذا الفتى^(١)، ثم قال لأربد: إذا قدمنا عليه فإني شاغله عنك فأعله بالسيف من خلفه، فلما قدموا جعل يكلم النبي ﷺ ويقول له: يا محمد خالني. فيقول النبي ﷺ: لا والله حتى تؤمن بالله وحده - قالها ثلاثاً - يشغله ليفتك به أربد فلم يفعل أربد شيئاً فقال عامر للنبي ﷺ: لاملأنها عليك خيلاً حمراً ورجالاً.

فلما ولي قال رسول الله ﷺ: اللهم أكفني عامراً. فلما خرجوا قال عامر لأربد: لم لا قتلتته؟ قال: كلما هممت بقتله دخلت بيني وبينه حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف؟

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، فلما كانوا ببعض الطريق أرسل الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله وإنه لفي بيت امرأة سلولية^(٢) فمات وجعل يقول: يا بني عامر أغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية.

وأرسل الله على أربد صاعقة فأحرقتة، وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه.

وفيهما قدم على رسول الله ﷺ وفد طيء فيهم زيد الخيل وهو سيدهم فأسلموا وحسن إسلامهم وقال رسول الله ﷺ: «ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخيل فإنه لم يبلغ فيه كل ما فيه»^(٣).

ثم سماه زيد الخير وأقطع له فيد^(٤) وأرضين معها؛ فلما رجع أصابته الحمى بقرية من نجد فمات بها.

وفيهما كتب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ يذكر أنه شريكه في النبوة وأرسل الكتاب مع رسولين فسألهما رسول الله ﷺ عنه فصدقاها فقال لهما: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما.

(١) الذي في ابن جرير قال لقومه والله لقد كنت أليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي فأنا اتبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأربد... إلخ.

(٢) أي: من بني سلول.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦/٦.

(٤) فيد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة.

وكان كتاب مسيلمة : «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فإني قد أشركتُ معك في الأمر وإن لنا نصف الأرض ولقریش نصفها ولكن قریشاً قوم يعتدون» .

فكتب إليه رسول الله : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : أما بعد فالسلام على من اتبع الهدى فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين» .

وقيل : إن دعوى مسيلمة وغيره النبوة كانت بعد حجة الوداع ومرضته التي مات فيها ، فلما سمع الناس بمرضه وثب الأسود العنسي باليمن ، ومسيلمة باليمامة ، وطليحة في بني أسد .

ذكر إرسال عليّ إلى اليمن وإسلام همدان

في هذه السنة بعث رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن وقد كان أرسل قبله خالد بن الوليد إليهم يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فأرسل علياً وأمره أن يعقل خالداً ومن شاء من أصحابه ففعل ، وقرأ عليّ كتاب رسول الله ﷺ على أهل اليمن فأسلمت همدان كلها في يومٍ واحد فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : السلام على همدان يقوله ثلاثاً .

ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام ، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فسجد شكراً لله تعالى .

ذكر بعث رسول الله ﷺ أمراءه على الصدقات

وفيها بعث رسول الله ﷺ أمراءه وعماله على الصدقات ، فبعث المهاجرين أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء فخرج عليه العنسي وهو بها ، وبعث زياد بن لبيد الأنصاري^(١) إلى حضرموت على صدقاتهم ، وبعث عدي بن حاتم الطائي على

(١) زياد بن لبيد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي يكنى أبا عبد الله . هاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة كان يقال له مهاجري أنصاري .

شهد العقبة وبدراً وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ واستعمله رسول الله ﷺ على حضرموت .

صدقات طيء وأسد، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وجعل الزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم على صدقات سعد بن زيد مناة بن تميم. وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ويعود، ففعل وعاد ولقي رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع، واستخلف على الجيش الذي معه رجلاً من أصحابه وسبقهم إلى النبي ﷺ فلقيه بمكة فعمد الرجل إلى الجيش فكساهم كل رجل حُلَّةً من البز الذي كان مع عليّ، فلما دنا الجيش خرج عليّ ليتلقاهم فرأى عليهم الحُلل فتزعها عنهم فشكاه الجيش إلى رسول الله ﷺ فقام النبي ﷺ خطيباً فقال: أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخشن في ذات الله، وفي سبيل الله.

ذكر حجة الوداع

خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة لا يذكر الناس إلا الحج، فلما كان بسرف أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدى، وكان رسول الله ﷺ قد ساق الهدى وناسٌ معه، وكان علي بن أبي طالب قد لقيه مُحْرِمًا فقال له النبي ﷺ: حل كما حل أصحابك فقال: إني قد أهلت بما أهل به رسول الله فبقي على إحرامه.

ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنه وعن علي. وحجَّ بالناس فأراهم مناسكهم وعلمهم سنن حجهم وخطب خطبته التي بين فيها للناس ما بين، وكان الذي يبلغ عنه بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف لكثرة الناس، فقال بعد حمد الله:

«أيها الناس: أسمعوا قولي فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا. أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كَحُرْمَةِ يومكم هذا، وكل ربا موضوع «لكم رؤوس أموالكم»^(١)، وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله.

وكلُّ دمٍ كان في الجاهلية موضوع، وأول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث فقتله بنو هذيل - . أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدًا ولكنه رَضِيَ أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم. أيها الناس ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾^(٢) ويحرموا ما أحل الله.

(١) البقرة : ٢٧٩ .

(٢) التوبة : ٣٧ .

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض

وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله .

أبها الناس استوصوا بالنساء خيراً .

وهي خطبة طويلة .

وقال حين وقف بعرفة : «هذا الموقف - للجبل الذي هو عليه - ، وكل عرفة

موقف» . وقال بالمزدلفة : «هذا الموقف ، وكل مزدلفة موقف» . ولما نحر بمنى قال :

«هذا المنحر وكل منى منحر» .

فقضى رسول الله ﷺ الحج ، وكانت حجة الوداع وحجة البلاغ ، وذلك أن رسول

الله ﷺ لم يحج بعدها . وأرى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم .

ذكر عدد غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه

وكان آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه غزوة تبوك، وجميع غزواته بنفسه تسع عشرة غزوة. قال الواقدي: هكذا يرويه أهل العراق عن زيد بن أرقم وهو خطأ لأن زيدا غزا مؤتة مع عبدالله بن رواحة وهو رديفه على رحله ولم يغزم مع النبي ﷺ غير ثلاث غزوات أو أربع.

وقيل: غزا رسول الله ﷺ ستاً وعشرين غزوة، وقيل: سبعاً وعشرين. فمن قال: ستاً وعشرين جعل غزوة خيبر ووادي القرى واحدة لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أمرها إلى منزله ولكنه مضى منها إلى وادي القرى ومن فرق بينهما جعل غزواته سبعاً وعشرين جعل خيبر غزوة ووادي القرى غزوة.

وأول غزوة غزاها ودان، وهي الأبواء، ثم بواط بناحية رضوى، ثم العُشيرة، ثم بدر الأولى لطلب كرز بن جابر، ثم بدر التي قتل فيها قريشاً، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة بحران بالحجاز، ثم غزوة أحد؛ ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان من هذيل، ثم غزوة ذي قرد، ثم غزوة بني المصطلق، ثم غزوة الحديبية ثم غزوة خيبر، ثم عمرة القضاء، ثم غزوة فتح مكة، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك.

قاتل منها في تسع غزوات بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

واختلف في عدد سراياه ف قيل: كانت خمساً وثلاثين ما بين سرية وبعث، وقيل:

ثمانياً وأربعين .

وفي هذه السنة قدم جرير بن عبدالله البجلي^(١) في رمضان مسلماً فبعثه إلى ذي الخلصة فهدمها، وكان من حجر أبيض بتبالة وهو صنم بجيلة، وخثعم، وأزد السراة، فلما أتى رسول الله ﷺ خبر هدمه سجد شُكراً لله تعالى .

وفيهما أسلم باذان باليمن وبعث بإسلامه إلى رسول الله ﷺ .

ذكر عدد حج النبي صلى الله عليه وسلم وعمره

قال جابر: حج النبي ﷺ حجتين، حجة قبل أن يهاجر، وحجة بعدما هاجر معها عمرة^(٢) .

وقال عمر: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر، وقالت عائشة أربع عمر؛ وروي مثل ذلك عن ابن عمر .

ذكر صفة النبي ﷺ وأسمائه وخاتم النبوة

قال علي بن أبي طالب: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير، ضخم الرأس واللحية، شثن الكفين والقدمين، ضخم الكراديس، مشرباً وجهه حمرة . طويل المسربة، إذا مشى تكفاً تكفاً كأنما ينحط من صيب، لم أر قبله ولا بعده مثله .

وكان أدعج العينين، سبط الشعر، سهل الخدين، ذا وفرة كأن عنقه إبريق فضة، وإذا التفت التفت جميعاً كأن العرق في وجهه اللؤلؤ الرطب لطيب عرقه وريحه .

قال أبو عبيدة وغيره: شثن الكفين والقدمين: يعني أنهما إلى الغلظ أقرب . وقوله

(١) جرير بن عبدالله بن جابر . وهو الشليل بن مالك الأنصاري البجلي .

اسلم جرير قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً وكان حسن الصورة وهو الذي قال فيه عمر، جرير يوسف هذه الأمة وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا . ت ٥١ - وقيل ٥٤ .

اسد الغابة ٢/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٢) في ابن جرير أن النبي ﷺ حج ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وأخرى بعد الهجرة معها عمرة . وفي تهذيب الأسماء للنووي قال: ثبت في الصحيحين أن النبي اعتمر أربع عمر بعد الهجرة ولم يحج إلا حجة الوداع التي ودع الناس فيها سنة عشر .

ضخم الكراديس : يعني ألواح الأكتاف . والمسربة : الشعر ما بين السرة واللبة .
والصبب : الانحدار . والدعج في العين : السواد ، والسبط من الشعر : ضد الجعد .
وكان بين كتفيه ﷺ خاتم النبوة وهي بضعة ناشزة حولها شعر^(١) .

وأما أسماؤه فهي كما قال رسول الله ﷺ : «أنا محمد ، وأنا أحمد ، والمقتفى ،
والحاشر ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، والعاقب ، والمأحي الذي يمحو
الله به الكفر» .

و (الحاشر) : الذي يُحْشَرُ الناس على قدمه . و (العاقب) : آخر الأنبياء .

وأما شعره وشيبه ، فقال أنس : لم يُشْئِهُ الله بالشيب . وقيل كان في مُقَدِّمَ لحيته
عشرون شعرة بيضاء ولم يخضب . قال جابر بن سَمُرَةَ : وكان في مفرق رأسه شعرات
بَيْضُ إذا دهنه غطاهنَّ الدهن ، وأُخرجَتْ أم سلمة شعره مخضوباً بالحناء والكتم . وقال
أبو رمثة : كان رسول الله ﷺ يخضب وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه . وقالت أم
هانيء : كان له صفائر أربع .

ذكر شجاعته ﷺ وجُوده

قال أنس : كان رسول الله ﷺ أشجع الناس ، وأسمع الناس ، وأحسن الناس .
وقع في المدينة فزَعُ فركب فرساً عرياناً [لأبي طلحة ما عليه سرج ، وعليه السيف]^(٢)
فسبق الناس إليه فجعل يقول : أيها الناس لم تُرَاعُوا لم تُرَاعُوا . وقال علي بن أبي
طالب : «كنا إذا اشتد البأس أتقينا برسول الله ﷺ فكان أقربنا إلى العدو» .

وكفى بهذا شجاعة أنْ مِثْلَ علي الذي هو هو في شجاعته يقول : هذا ، وقد تقدم
في غزواته ما يستدل به على تمكنه من الشجاعة وأنه لم يقاربه فيها أحد .

ذكر عدد أزواج النبي ﷺ وسراريه وأولاده

قال ابن الكلبي : إن النبي ﷺ تزوج خمس عشرة امرأة ، ودخل بثلاث عشرة ،
وجمع بين إحدى عشرة ، وتوفي عن تسع .

(١) وقد أفرد الترمذي كتاباً في شمائل النبي ﷺ وغيره فليراجع .

(٢) هذه علامة على ما وجد زائداً في بعض النسخ غير المطبوعة وسيأتي مثلها كثير (م) .

وأول امرأة تزوجها خديجة بنت خويلد، وكان تزوجها قبله عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ومات عنها، وتزوجها بعد عتيق أبو هالة بن زرار بن نباش بن عدي التميمي فولدت له هند بن أبي هالة ثم مات عنها، فتزوجها رسول الله ﷺ فولدت له ثمانية: القاسم، والطيب، والطاهر، وعبد الله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، فأما الذكور فماتوا وهم صغار، وأما الإناث فبلغن ونكحن وولدن. ولم يتزوج على خديجة في حياتها أحداً، وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين، ولم يولد له ولد من غيرها إلا إبراهيم.

فلما توفيت خديجة نكح بعدها سودة بنت زَمْعَة، وقيل: عائشة^(٢)، فأما عائشة فكانت يوم تزوجها صغيرة بنت ست سنين.

وأما سودة فكانت امرأة ثيباً، وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس أخي سهيل بن عمرو، وكان من مهاجرة الحبشة، فتنصر بها ومات فخلف عليها رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان الذي خطبها عليه خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون، فدخل بسودة بمكة زوجها منه أبوها زمعة بن قيس، فلما تزوجها كان أخوها عبد بن زمعة غائباً، فلما قدم جعل يحثي التراب على رأسه فلما أسلم قال: «إني سفيه حيث فعلت ذلك»، وندم على ما كان منه.

وأما عائشة فدخل بها بالمدينة وهي ابنة تسع سنين ومات عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة ولم يتزوج بكرة غيرها، وماتت سنة ثمان وخمسين.

ثم تزوج بعدها حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبله عند خُنَيْس بن حذافة السهمي: - (خنيس) - بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة - وكان بدرياً ولم يشهد من بني سهم بدرأ غيره ولم تلد له شيئاً، وماتت بالمدينة في خلافة عثمان. ثم تزوج بعدها أم سلمة ابنة أبي أمية زاد الركب المخزومية، وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي شهد بدرأ [وكان فارس القوم] وأصابته جراحة يوم أحد فمات منها وتزوجها رسول الله ﷺ قبل الأحزاب وماتت سنة تسع وخمسين، وقيل: بعد قتل الحسين رضي الله عنه. ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بني عامر بن صعصعة، ويقال

(١) قال ابن جرير في التاريخ: ولا خلاف بين أهل العلم بسير رسول الله ﷺ أنه بنى بسودة قبل عائشة.

لها: أم المساكين وتوفيت في حياته ولم يمت في حياته غيرها وغير خديجة بنت خويلد، وكانت زينب قبله عند الطفيل بن الحارث بن المطلب. ثم تزوج عام المريسيع جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار الخزاعية من بني المصطلق، وكانت قبله عند مسافع بن صفوان المصطلق لم تلد له شيئاً. ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت عند عبيد الله به جحش، وكان من مهاجرة الحبشة فتنصر ومات بها فأرسل النبي ﷺ إلى النجاشي فخطبها عليه وتزوجها وهي بالحبشة، وزوجها منه خالد بن سعيد بن العاص، وقيل: بل خطبها إلى عثمان بن عفان فزوجها منه وبعث فيها إلى النجاشي فساق منه المهر أربعمئة دينار وأرسلها إليه، وتوفيت في خلافة أخيها معاوية فلم تلد له شيئاً. ثم تزوج زينب بنت جحش وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه فلم تلد له شيئاً، فزوجها الله إياه، وبعث في ذلك جبريل، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: أنا أكرمهن ولياً وسفيراً وهي أول من توفي من أزواجه بعده، توفيت في خلافة عمر. ثم تزوج عام خير صفية بنت حيي بن أخطب وكانت قبله تحت سلام بن مشكم فتوفي عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فقتله محمد بن مسلمة صبراً بأمر النبي ﷺ، ثم أعتقها النبي ﷺ وتزوجها سنة ست، وماتت سنة ست وثلاثين. ثم تزوج ميمونة ابنة الحارث الهلالية، وكانت قبله عند مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ولم تلد له شيئاً ثم خلف عليها أبو رهم بن عبد العزى بعد مسعود، ثم رسول الله ﷺ بعده، وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد وتزوجها في عمرة القضاء بسرف. ثم تزوج امرأة من بني كلاب يقال لها: شاه بنت رفاعة وقيل: هي سني ابنة أسماء بن الصلت وقيل: ابنة الصلت بن حبيب، توفيت قبل أن يدخل بها. ثم تزوج الشنباء ابنة عمرو الغفارية، وقيل: الكنانية فمات إبراهيم ابنه قبل أن يدخل بها؛ فقالت: لو كان نبياً ما مات ابنه فطلقها. ثم تزوج غزية ابنة جابر الكلابية خطبها عليه أبو أسيد - بضم الهمزة - الساعدي فلما قدمت على النبي ﷺ استعادت بالله منه ففارقها. ثم تزوج أسماء ابنة النعمان بن الأسود بن شراحيل الكندي، فلما دخل بها وجد بها بياضاً فمتعها وردها إلى أهلها، وقيل: بل استعادت منه أيضاً فردها.

والعالية ابنة ظبيان فجمعها ثم فارقها. وقتيلة بنت قيس أخت الأشعث؛ فتوفي عنها قبل أن يدخل بها فارتدت. وفاطمة ابنة شريح وقال ابن الكلبي: غزية هي أم شريك، قال وقيل: إنه تزوج خولة ابنة الهذيل بن هبيرة وليلى ابنة الخطيم الأنصارية،

عرضت نفسها عليه فتزوجها فأخبرت قومها فقالوا: أنت غيور وله نساء فاستقبله فاستقالته فأقالها ففارقها.

وأما من خطب النبي ﷺ من النساء ولم ينكحها: فمنهن أم هانئ بنت أبي طالب خطبها ولم يتزوجها. ومنهن ضباعة بنت عامر من بني قشير. ومنهن صفية بنت بشامة أخت الأعور العنبري. ومنهن أم حبيبة ابنة عمه العباس فوجد العباس أخاه من الرضاعة فتركها. ومنهن جمرة ابنة الحارث ابن أبي حارثة خطبها فقال أبوها: بها سوء ولم يكن بها فرجع إليها فوجدها قد برصت.

وأما سراريه، فهي مارية ابنة شمعون القبطية وولدت له إبراهيم، وريحانة ابنة زيد القرطية وقيل: هي من بني النضير.

ذكر موالي رسول الله ﷺ

فمنهم زيد بن حارثة، وابنه أسامة بن زيد. وثوبان ويكنى أبا عبد الله أصله من السراة وسكن حمص بعد موت النبي ﷺ، ومات سنة سبع وخمسين، وقيل: سكن الرملة ولا عقب له. وشقران، وكان من الحبشة، وقيل: من الفرس واسمه صالح بن عدي. واختلف في أمره فقيل: إن رسول الله ﷺ ورثه من أبيه، وقيل: كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي ﷺ وأعقب.

وأبو رافع، واسمه إبراهيم، وقيل: أسلم فقيل: كان للعباس فوهبه للنبي ﷺ فأعتقه رسول الله ﷺ، وقيل: كان لأبي أحيحة بن سائد بن العاص فأعتق ثلاثة من بنيه أنصباءهم منه، وشهد معهم بدرًا وهم كفار وقتلوا يومئذ؛ ووهب خالد بن سعيد نصيبه منه للنبي ﷺ فأعتقه، وابنه البهي واسمه رافع وأخوه عبيد الله بن أبي رافع، كان يكتب لعلي بن أبي طالب.

وسلمان الفارسي؛ وكنيته أبو عبد الله من أهل أصبهان، وقيل: من أهل رامهرمز^(١) أصابه سبياً بعض من كلب وبيع من يهودي بوادي القرى فكاتب اليهودي وأعانه النبي ﷺ حتى عتق.

(١) مدينة مشهورة بنواحي خوزستان.

وسفينة كان لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه خدمة رسول الله ﷺ حياته . قيل : اسمه مهران ، وقيل : رباح ، وقيل : كان من عجم الفرس .

وأنسة يكنى أبا مسروح ، وهو من مولدي السراة وكان يأذن على رسول الله ﷺ وشهد معه بدرأً وأحدأً والمشاهد كلها وقيل : كان من الفرس .

وأبو كبشة واسمه سليم قيل : كان من موالي مكة ، وقيل : كان من مولدي أرض دوس اشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه [وشهد مع رسول الله ﷺ] بدرأً والمشاهد كلها ، وتوفي يوم استخلف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة .

ورويق^(١) أبو مويهبة كان من مولدي مزينة فأشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه .

ورباح الأسود كان يأذن على رسول الله ﷺ .

وفضالة نزل الشام . ومدعم [كان عبداً لرفاعة فوهبه لرسول الله ﷺ] قتل بوادي القرى .

وأبو ضميرة قيل : كان من الفرس من ولد بشتاسب الملك فأصابه رسول الله ﷺ في بعض وقائعه فأعتقه وهو جد أبي حسين .

ويسار وكان نوبياً أصابه في بعض غزواته فأعتقه وهو الذي قتله العرنيون الذين أغاروا على لقاح رسول الله ﷺ .

ومهران مولاه حدث عن النبي ﷺ .

وكان له خَصِيٌّ ، يقال له : مأبور أهداه له المقوقس مع مارية وسيرين ، قيل : إنه الذي قُذِفَتْ مارية به فبعث رسول الله ﷺ علياً ليقتله فرآه خصياً ، فتركه .

وخرج إليه من الطائف ، وهو محاصرهم أربعة أعبد فأعتقهم منهم أبو بكر .

ذكر من كان يكتب لرسول الله ﷺ

ذكر أن عثمان بن عفان كان يكتب له أحياناً ، وعلي بن أبي طالب أحياناً ،

(١) كذا بالأصول ولم يذكر له اسم غير كنيته في كتب السير والتراجم .

وخالد بن سعيد، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي .

وأول مَنْ كتب له أُبيّ بن كعب، وكتب له زيد بن ثابت، وكتب له عبدالله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد ورجع إلى الإسلام يوم الفتح، وكتب له معاوية بن أبي سفيان، وحنظلة الأسدي - بضم الهمزة وتشديد الياء كذلك يقوله المحدثون وهو منسوب إلى أسيد بن عمرو بن تميم بالتشديد إجماعاً.

ذكر أسماء خيله ﷺ

قيل : أول فرس ملكه ﷺ فرس اشتراه بالمدينة من أعرابي من فزارة بعشرة أواق، [وكان اسمه الضرس] فسماه رسول الله السكب، وأول غزوة غزاها عليه أحد، [ليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره] وفرس لأبي بردة بن نيار اسمه ملاوح .

وكان له فرس يدعى المرتجز وهو الفرس الذي شهد به خزيمة بن ثابت وكان صاحبه من بني مرة .

وكان له ثلاثة أفراس لزاز، والظرب، واللحيف، فأما لزاز فأهداه له المقوقس، وأما اللحيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء . وأما الظرب فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي .

وكان له فرس يقال له : الورد أهداه له تميم الداري فوهبه النبي ﷺ لعمر بن الخطاب فحمل عليه في سبيل الله فوجده يباع .

وقيل : كان له فرس اسمه اليعسوب .

تفسير هذه الأسماء : (السكب) : الكثير الجري كأنما يصب جريه صبا .
(واللحيف) : سمي به لطول ذنبه كأنه يلحف الأرض بذنبه أي يغطيها . (ولزاز) : سمي به لشدة تلززه . (والظرب) : سمي به لشدة خلقه سمي بالجبل الصغير . (والمرتجز) : سمي به لحسن صهيله . (واليعسوب) : سمي به لأنه أجود خيله، لأن اليعسوب الرئيس^(١)

(١) زاد النووي في تهذيبه فرساً يقال له شنجة سابق عليه فسبق .

ذكر بغاله ؛ وحميره ، وإبله ﷺ

كانت له دُلْدُل، وهي أول بغلة رؤيت في الاسلام أهداها له المقوقس ومعها حمار اسمه عُفَيْر، وبقيت البغلة إلى زمن معاوية .

وأهدى له فروة بن عمرو بغلة، يقال لها: فضة فوهبها لأبي بكر، وحماره يعفور نفق (١) بعد منصرفه من حجة الوداع .

وأما إبله فكانت له القصواء، وهي التي أخذها من أبي بكر بأربعمائة درهم وهاجر عليها، وكانت من نعم بني الحريش، وبقيت مدة، وهي العضباء، والجدعاء أيضاً، قال ابن المسيب: كان في طرف أذنها جدع، وقيل: لم يكن بها جدع .

وأما لقاحه، فكان له عشرون لقحة بالغابة، وهي التي أغار عليها القوم يأتي لبنها أهل كل ليلة، وكان له لقاح غزار منهن: الحناء، والسمراء والعريس والسعدية، والبغوم، واليسيرة، والرياء، ومهرة، والشقراء (٢) . وأما منائحه فكانت له سبع منائح من الغنم: عجرة، وزمزم، وسقيا، وبركة، وورشة، وأطلال، وأطراف (٣) . وسبعة أعنز يرعاهن أيمن بن أم أيمن .

تفسير هذه الأسماء (عُفَيْر): تصغير ترخيم الأعفر وهو الأبيض بياضاً غير خالص، ومنه أيضاً اسم حماره يعفور كأخضر ويخضور . (البغام) صوت الإبل، ومنه البغوم، والباقي لا يحتاج إلى شرح (٤) .

ذكر أسماء سلاحه ﷺ

كان له «ذو الفقار» غَنِمَه يوم بدر، وكان لمنبه بن الحجاج، وقيل: لغيره .
وغنم من بني قينقاع ثلاثة أسياف، سيفاً قلعيّاً، وسيفاً يدعى «بتارا»، وسيفاً يدعى «الحتف» .

(١) أي : مات .

(٢) قال في تاريخ الخميس وكانت له لقحة تدعى بردة ؛ أهداها له الضحاك بن سفيان (م) .

(٣) وكانت له شاة يختص بشرب لبنها تدعى « غبثة » ويقال غوثة (م) .

(٤) ولم ينقل أنه أقتنى من البقر شيئاً .

وفي سيرة اليعمري انه كان له ديك ابيض (م) .

وكان له «المخزم»، و «رسوب».

وقدم معه المدينة سيفان شهد بأحدهما بداراً يسمى «العضب».

وكان له ثلاثة أرماع وثلاثة قسي: قوس اسمه الروحاء، وقوس يدعى البيضاء، وقوس نبع يدعى الصفراء.

وكان له درع يقال لها: الصعدية، وكان له درع. يقال لها: فضة غنمها من بني قينقاع، وكان له درع تسمى ذات الفضول كانت عليه يوم أُحُد. هي وفضة. وكان له ترس فيه تمثال رأس كبش فكرهه رسول الله ﷺ، فأصبح وقد أذهب الله عز وجل.

تفسير هذه الأسماء: سمي السيف (ذو الفقار) لحفر فيه. (والسيف المخزم): القاطع. (والرسوب): الذي يمضي في الضربة ويثبت فيها.

ذكر أحداث سنة إحدى عشرة

في المحرم من هذه السنة بعث النبي ﷺ بعثاً إلى الشام وأميرهم أسامة بن زيد مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين فتكلم المنافقون في إمارته وقالوا: أمر غلاماً على جلة المهاجرين والأنصار!

فقال رسول الله ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وإنه لخليقٌ للامارة، وكان أبوه خليقاً لها».

وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون. منهم أبو بكر، وعمر، فبينما الناس على ذلك ابتدأ برسول الله ﷺ مرضه.

ذكر مرض رسول الله ﷺ ووفاته

ابتدأ برسول الله ﷺ مرضه أواخر صفر في بيت زينب بنت جحش، وكان يدور على نسائه حتى اشتد مرضه في بيت ميمونة فجمع نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيت عائشة ووصلت أخبار بظهور الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة باليمامة، وطلحة في بني أسد وعسكر بسَمِراء^(١)، وسيجيء ذكر أخبارهم إن شاء الله تعالى، فتأخر مسير أسامة لمرض رسول الله ﷺ، ولخبر الأسود العنسي، ومسيلمة فخرج النبي ﷺ عاصباً رأسه من الصداق، فقال: «إني رأيتُ [فيما يرى النائم أن] في عضديَّ سوارَيْنِ من ذهب [فكرهتهما] فنفختهما فطارا فأولتهما بكذاب اليمامة، وكذاب صنعاء، وأمر بإنفاذ جيش أسامة وقال: «لعن الله الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وخرج أسامة، فضرب بالجرف^(٢) العسكر وتمهل الناس وثقل رسول الله ﷺ،

(١) منزل بطريق مكة بعد توز مصعداً وقبل الحاجز.

(٢) هو مكان بينه وبين المدينة ثلاثة أميال من جهة الشام.

ولم يشغله شدة مرضه عن إنفاذ أمر الله فأرسل إلى نفرٍ من الأنصار في أمر الأسود فأصيب الأسود في حياة رسول الله ﷺ قبل وفاته بيوم؛ فأرسل إلى جماعة من الناس يحثهم على جهاد من عندهم من المرتدين.

وقال أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ: ايقظني رسول الله ﷺ ليلة، وقال: إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع [فانطلق معي]. فانطلقت معه فسلم عليهم، ثم قال: «ليهنئكم ما أصبحتم فيه قد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم [يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى]» ثم قال: «قد أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد بها، ثم الجنة وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي». ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف فبدى بمرضه الذي قبض فيه. قالت عائشة: فلما رجع من البقيع وجدني وأنا أجد صداعاً [في رأسي] وأنا أقول: وارأساه. قال: بل أنا والله يا عائشة وارأساه. ثم قال: ما ضرك لو ميت قبلي فقمْتُ عليك وكفنتك وصليتُ عليك ودفنتك؟ فقلت: كأني بك - والله لو فعلت ذلك - فرجعت إلى بيتي فعرست ببعض نسائك فتبسم وتتأم به وجعه، وتمرض في بيتي فخرج منه يوماً بين رجلين، أحدهما الفضل بن العباس، والآخر علي قال الفضل: فأخرجته حتى جلس على المنبر [ثم قال نادِ بالناس فاجتمعوا إليه] فحمد الله، وكان أول ما تكلم به النبي ﷺ أن صلى على أصحاب أحد فأكثر وأستغفر لهم، ثم قال:

أيها الناس ان قد دنا^(١) مني حقوق من بين أظهركم فمن كنت جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه ومن كنت شتمتُ له عرضاً، فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخش الشحاء من قبلي فإنها ليست من شأني. ألا وإن أحبكم إليّ من أخذ مني حقاً إن كان له أو حللني فلقيت ربي وأنا طيب النفس [وقد أرى أن هذا غير مغن عني حتى أقوم فيكم مرارا].

ثم نزل فصلى الظهر ثم رجع إلى المنبر فعاد لمقالته الأولى فادعى عليه رجل بثلاثة دراهم فأعطاه عوضها، ثم قال:

(١) كذا بالأصول وفي الطبري أيضاً كذلك والتركيب غير ظاهر والأشبه أن يكون اصله (أنه قد كان مني حقوق) . (م) .

أيها الناس من كان عنده شيء فليؤده ولا يقل فضوح الدنيا ألا وإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة.

ثم صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم، ثم قال:

إِنَّ عَبْدًا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فأختار ما عنده. فبكى أبو بكر وقال: فدينك بأنفسنا وآبائنا. فقال رسول الله ﷺ: لا يبقين في المسجد باب إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم أحداً أفضل في الصحبة عندي منه، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام. ثم أوصى بالأنصار فقال:

يا معشر المهاجرين أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد. والأنصار عيبي^(١) التي أويت إليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن سيئهم.

قال ابن مسعود: نعى إلينا نبينا وحبينا نفسه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراق جمّعنا في بيت عائشة فنظر إلينا فشدّد ودمعت عيناه، وقال: «مرحباً بكم، حياكم الله، رحمكم الله^(٢)، آواكم الله، أحفظكم الله، رفعكم الله، وفقكم الله، سلمكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، واستخلفه عليكم، وأؤديكم إليه أني لكم منه نذير وبشير أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده فإنه قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣) قلنا: فمتى أجلك؟ قال: دنا الفراق والمنقلب إلى الله، وسدرة المنتهى، والرفيق الأعلى، وجنة المأوى. فقلنا: مَنْ يغسلك؟ قال: أهلي [الأدنى فالأدنى] قلنا: فيم نكفئك؟ قال: في ثيابي [هذه إن شئتم] أو في بياض. قلنا: فمن يصلي عليك؟ قال: مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً. فبكينا وبكى، ثم قال: [إذا غسلتموني وكفنتموني] فضعوني على سريرى [في بيتي هذا] على شفير قبري ثم اخرجوني ساعة ليصلي عليّ جبريل، وإسرافيل، وميكائيل، ومَلَك الموت مع الملائكة، ثم أدخلوا عليّ فوجاً فوجاً فصلوا عليّ ولا تؤذوني بتزكية ولا رنة^(٤) [ولا صيحة، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال

(١) أي خاصتي وموضوع سري.

(٢) في المطبوعة بدون م.

(٣) القصص: ٨٣.

(٤) أي: صيحة على الميت.

أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم بعد [أقرؤا أنفسكم مني السلام ، ومن غاب من أصحابي فأقرؤه مني السلام ومن تابعكم على ديني فأقرؤه السلام (١)] .

قال ابن عباس : يوم الخميس وما يوم الخميس ثم جرت دموعه على خديه : اشتد برسول الله ﷺ مرضه ووجعه فقال : آتوني بدواة وبيضاء اكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً . فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا : إن رسول الله ﷺ يهجر فجعلوا يعيدون عليه فقال : دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه فأوصى [بثلاث] أن يخرج المشركون من جزيرة العرب ، وأن يجازى الوفد بنحو مما كان يجيزهم ، وسكت عن الثالثة عمد أوقال : نسيتها ، وخرج علي بن أبي طالب من عند رسول الله ﷺ في مرضه ، فقال الناس : كيف أصبح رسول الله ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب ، فقال : أنت بعد ثلاث عبد العصا ، وإن رسول الله ﷺ سيتوفى في مرضه هذا ، وأني لأعرف الموت في وجوه بني عبد المطلب فأذهب إلى رسول الله ﷺ فأسأله فيمن يكون هذا الأمر فإن كان فينا علمناه وإن كان في غيرنا أمره فأوصى بنا . فقال علي : لئن سألتها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس أبداً ، والله لا أسأله رسول الله ﷺ [أبداً] قال : فما اشتد الضحى حتى توفي رسول الله ﷺ .

قالت عائشة : قالت أسماء بنت عميس : ما وجعه إلا ذات الجنب فلولد دتموه (٢) ففعلوا فلما أفاق قال : لم فعلتم هذا ؟ قالوا : ظننا أن لك ذات الجنب . قال : لم يكن الله ليسلطها عليّ : ثم قال : لا يبقى أحد في البيت إلا لدّ وأنا انظر إلا عمي ، وكان العباس حاضراً ففعلوا .

قال أسامة : لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت أنا ومن معي إلى المدينة فدخلنا عليه وقد أصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ فعلمت أنه يدعولي قالت عائشة : وكنت أسمع رسول الله ﷺ يقول كثيراً : إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره . قالت : فلما احتضر كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول : « بل الرفيق الأعلى » قالت قلت : إذا والله لا يختارنا . وعلمت أنه تخير .

(١) لا يصح .

(٢) اللدود هو بالفتح من الأدوية ما يسقاه المريض في إحدى شقي الفم ولديد الفم جانباه . النهاية .

ولما اشتد مرضه آذنه بلال بالصلاة فقال: «مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس». قالت: عائشة: فقلت: أنه رجل رقيق وإنه متى يقيم مقامك لا يطيق ذلك. فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. فقلت: مثل ذلك فغضب وقال: إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس. فتقدم أبو بكر فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ خفة، فخرج بين رجلين فلما دنا من أبي بكر تأخر أبو بكر فأشار إليه أن قم مقامك فقعد رسول الله ﷺ يصلي إلى جنب أبي بكر جالساً، فكان أبو بكر يصلي بصلاة النبي، والناس يصلون بصلاة أبي بكر. وصلى أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة؛ وقيل: ثلاثة أيام، ثم إن رسول الله ﷺ خرج في اليوم الذي توفي فيه إلى الناس في صلاة الصبح، فكاد الناس يفتنون في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ، وتبسم رسول الله ﷺ فرحاً لما رأى من هيئتهم في الصلاة. ثم رجع وانصرف الناس وهم يظنون أن رسول الله ﷺ قد أفاق من وجعه ورجع أبو بكر إلى منزله بالسُّنح.

قالت عائشة: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء يُدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: «اللهم أعني على سكرات الموت». قال: ثم دخل بعض آل أبي بكر وفي يده سواك فنظر إليه نظراً [عرفت أنه يريد] فأخذته فليته ثم ناولته إياه فاستن به [كأشد ما رأيته يستن بسواك قبله] ثم وضعه ثم ثقل في حجره قالت: فذهبت أنظر في وجهه وإذا بصره قد شَخَصَ وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى». فقُبِضَ. قالت: توفي وهو بين سَحْرِي ونَحْرِي (١) فمن سَفْهِي وحادثة سِنِّي أن رسول الله ﷺ قُبِضَ في حجره فوضعت رأسه على وسادة وقمتُ التدم مع النساء وأضرب (٢) وجهي.

ولما اشتد برسول الله ﷺ وجعه ونزل به الموت جعل يأخذ الماء بيده ويجعله على وجهه ويقول: واكرباه فتقول فاطمة: واكربي لكربك يا أبتى. فيقول رسول الله ﷺ «لا كرب على أبيك بعد اليوم»، فلما رأى شدة جزعها استدناها وسارها فبكت، ثم سارها الثانية فضحكت، فلما توفي رسول الله ﷺ سألتها عائشة عن ذلك قال: أخبرني أنه ميّت فبكيّت، ثم أخبرني أنني أول أهله لُحُوقاً به فضحكت. وروى عنها أنها

(١) السحر الرثة والنحر أعلى الصدر وهما بفتح أولهما وسكون ثانيهما والمعنى انه مات ﷺ وهو مستنداً ﷺ الى صدرها وما يحاذي سحرها منه (م).

(٢) عزاه ابن كثير في البداية (٤/٤٧٧ - السيرة) إلى أحمد في المسند.

قالت : ثم سارني الثاني وأخبرني أنني سيدة نساء أهل الجنة فضحكت . وكان موته يوم الإثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، ودفن من الغد نصف النهار ، وقيل : مات نصف النهار يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الأول .

ولما توفي كان أبو بكر بمنزله بالسنع وعمر حاضر فلما توفي قام عمر فقال : « إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي وإنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران والله ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات . وأقبل أبو بكر وعمر يكلم الناس [ولم يلتفت إلى شيء حتى دخل] على رسول الله ﷺ وهو مُسَجَّى ^(١) في ناحية البيت [عليه بُرد حبرة] فكشف عن وجهه ، ثم قبله وقال : بأبي أنت وأمي طيبٌ حيا وميتاً ، أما المودة التي كتب الله عليك فقد متَّها ، ثم رد الثوب على وجهه ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فأمره بالسكوت فأبى [إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنصت أقبل] على الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس مَنْ كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » . ثم تلا هذه الآية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٢) قال : فوالله لكأن الناس ما سمعوها إلا منه . قال عمر : فوالله ما هو إلا إذ سمعتها فَعُقِرْتُ حتى وقعتُ على الأرض ما تحملني رجلاي وقد علمت أن رسول الله ﷺ قد مات .

ولما توفي رسول الله ﷺ ووصل خبره إلى مكة وعامله عليها عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية استخفى عتاب وارتجّت مكة وكاد أهلها يرتدون فقام سهيل بن عمر وعلى باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا إليه فقال : « يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم وأول من آرتد ، والله ليتمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله ﷺ فلقد رأيته قائماً مقامي هذا وحده وهو يقول : قولوا معي : لا إله إلا الله تدين لكم العرب ؛ وتؤدي إليكم العجم الجزية ، والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله ، فمن بين مستهزىء ومصدق فكان ما رأيتم ، والله ليكونن الباقي » فامتنع الناس من الردة ، وهذا المقام الذي قاله رسول الله

(١) اي : مغطى .

(٢) آل عمران ٤٣ .

ﷺ لما أسر سهيل بن عمرو في بدر لعمر بن الخطاب وقد ذكر هناك^(١).

* * *

(١) ينبغي للناظر إلى مثل هذه الواقعة في تاريخ المسلمين ألا يفسرها بحال الناس في تكالبهم على الدنيا . . . كلا ، فالأمر يختلف عند هؤلاء ، فالأنصار عندما آثروا إخوانهم المهاجرين بما في أيديهم بشهادة كتاب الله تعالى : ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ لم يفعلوا ذلك ابتغاء دنيا وقد شهد الله لهم أنهم قد تخلصوا من شح أنفسهم إذ قال عقب ذلك ﴿ وَمَنْ يَوْقُ شَحِّ نَفْسِهِ . . . ﴾ ، فلا يظن بالأنصار بعد أن باعوا الدنيا بالآخرة ، تركوا العاجلة للأجلة أن يقبلوا بعد ذلك على طلب الدنيا - بطلب الخلافة - وانتزاعهم من إخوانهم المهاجرين كلا والف كلا . . . فإنك إن حللت مواقف القوم فعليك أن تفهم أحوالهم النفسية ، والذي يظهر أن الصحابة كانوا ينظرون إلى الخلافة باعتبارها رتبة فيها زيادة قرب من الله تعالى وزيادة فضل في الدين ، ليس الخليفة هو خليفة رسول الله ، وهم الذين كانوا يتنافسون على بصقته وماء وضوءه وفضل شعره . فالذي يظهر أن الأنصار قد ظنوا أنهم ببذلهم للاسلام كل ما بذلوه قد استحقوا عند الله تعالى أن يقربهم إليه أكثر بهذه الرتبة - الإيمانية - وهي الخلافة ومن هنا جلسوا يتشاورون ، في ذلك وهم لا يعلمون بالنص الشرعي (الأئمة من قريش) فإذا ما علموا أعرضوا عن ذلك وسلموا لله ورسوله .

ولو كانوا يبتغون عَرَضَ الحياة الدنيا ما توقف بهم الأمر عند معرفة هذا النص بل لانساقوا في اللجاجة والجدال - والله أعلم .

حديث السقيفة وخلافة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه

لما توفي رسول الله ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليباعوا سعد بن عبادَةَ: فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر، وأبو عبيدة بن الجراح فقال: ما هذا؟ فقالوا: مِنَّا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: منا الأمراء ومنكم الوزراء. ثم قال أبو بكر: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبا عبيدة أمين هذه الأمة. فقال عمر: أيكم يطيب نفساً أن يخلف قدمين قدَّمَهُمَا النبي ﷺ فبايعه عمر وبايعه الناس. فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً. قال: وتخلف علي، وبنو هاشم، والزبير؛ وطلحة عن البيعة وقال الزبير: لا أغمد سيفاً حتى يُبايع علي. فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر، ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة، وقيل: لما سمع عليُّ بيعة أبي بكر خرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء عَجَلًا حتى بايعه ثم استدعى إزاره ورداءه فتجلله. والصحيح أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر، والله أعلم، وقيل: لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر أقبل أبو سفيان وهو يقول: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف: فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأذلان؟ علي والعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقل حيٍّ من قريش؟ ثم قال لعلي: أبسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً فأبى علي عليه السلام عليه فتمثل بشعر المثلث:

ولن يقيم علي خسف يراد به إلا الأذلان غير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يبكي له أحد

فزجره علي وقال: والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة وإنك والله طالما بغيت للاسلام شراً لا حاجة لنا في نصيحتك.

وقال ابن عباس: كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف القرآن فحج عمر وحججنا

معه فقال لي عبد الرحمن : شهدتُ أمير المؤمنين اليوم بمنى وقال له رجل : سمعتُ فلاناً يقول : لو مات عمر لبايعتُ فلاناً . فقال عمر : إني لقائم العشية في الناس أحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا الناس أمرهم ، قال : فقلت : يا أمير المؤمنين إن الموسم يجمع رعاة الناس وغوغاءهم وهم الذين يغلبون على مجلسك وأخاف أن تقول مقالة لا يعوها ولا يحفظوها ، [ولا يضعوها على مواضعها] ويطيروا بها [كل مطير] ولكن أمهل حتى تقدم المدينة وتخلص بأصحاب رسول الله ﷺ فتقول ما قلت [متمكناً] فيعوا مقاتلك . فقال : والله لأقومن بها أول مقام أقومه بالمدينة ، قال :

فلما قدمت المدينة هَجَرْتُ يوم الجمعة لحديث عبد الرحمن ، فلما جلس عمر على المنبر حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال بعد أن ذكر الرجم وما نسخ من القرآن فيه : إنه بلغني أن قاتلاً منكم يقول : لو مات أمير المؤمنين بايعتُ فلاناً فلا يغرنَّ أمرءاً أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، فقد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها وليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر وإنه كان خيرنا حين توفي رسول الله ﷺ وإنَّ علياً ، والزبيرو من معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة وتخلف عنا الأنصار [بأسرها] واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلتُ له : أنطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار . فأنطلقنا نحوهم فلقينا رجلاً صالحاً من الأنصار أحدهما عويم بن ساعدة^(١) ، والثاني معن بن عدي^(٢) [وكانا شهدا بدرًا] فقالا لنا : ارجعوا اقضوا أمركم بينكم . [فقلنا والله لنأتينهم] قال : فأتينا الأنصار وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة وبين أظهرهم رجل مزمل^(٣) قلت : من هذا؟ قالوا : سعد بن عباد . [فقلت : ما شأنه؟ قالوا :] وجع . فقام رجل منهم فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فنحن الأنصار ، وكتيبة الاسلام ، وأنتم يا معشر قريش رهط بيننا وقد دفت إلينا دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يغصبونا الأمر .

(١) عويم بن ساعدة بن قيس الأنصاري الأوسي . شهد عويم العقبات الثلاثة بدرًا واحدًا والخندق والمشاهد

كلها مع رسول الله ﷺ مات في خلافة عمر بن الخطاب اسد الغابة ٣١٦/٤ .

(٢) معن بن عدي بن الجد بن العجلان بن بضعة البلوي .

شهد العقبة وبدرًا واحدًا والخندق وسائر المشاهد كلها ولا عقب له .

اسد الغابة ٢٣٨/٥ .

(٣) المزمل : من التف بثوبه .

فلما سكت وكنْتُ قد زوّرتُ^(١) في نفسي مقالةً أقولُها بين يدي أبي بكر؛ فلما أردتُ أن أتكلّم قال أبو بكر على رَسْلِكَ^(٢). [فكرهتُ أن أعصيه] فقام فحمد الله وما ترك شيئاً كنتُ زوّرتُ في نفسي إلّا جاء به أو بأحسن منه وقال: « يا معشر الأنصار إنكم لا تذكرون فضلاً إلّا وأنتم له أهلٌ، وإنّ العرب لا تعرف هذا الأمر إلّا لقريش^(٣)، هم أوسط العرب داراً أو نسباً، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين - وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وإني والله ما كرهتُ من كلامه كلمةً غيرها إن كنتُ أقدم فتضرب عنقي فيما لا يُقرّبني إلى إثم أحب إليّ من أن أوّمر على قومٍ فيهم أبو بكر.

فلما قضى أبو بكر كلامه قام منهم رجلٌ فقال: أنا جديّلها المحكك وعُذيقها المرجّب^(٤) منا أميرٌ ومنكم أمير. وارتفعت الأصوات وكثر اللغط فلما خفتُ الاختلاف قلتُ لأبي بكر: أبسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته وبايعه الناس، ثم نزونا^(٥) على سعد بن عباد، فقال قائلهم: قتلتم سعداً. فقلت قتل الله سعداً^(٦) وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من بيعة أبي بكر خشيتُ إن فارقتُ القومَ ولم تكن بيعة أن يُحدّثوا بعدنا بيعة، فإما أن نتابعهم على ما لا نرضى به وإما أن نخالفهم فيكون فساداً.

وقال أبو عمرة الأنصاري^(٧): لما قبض النبي ﷺ اجتمعت الأنصارُ في سقيفة بني ساعدة وأخرجوا سعد بن عباد ليولوه الأمر وكان مريضاً، فقال بعد أن حمد الله: « يا معشر الأنصار لكم سابقةٌ [في الدين] وفضيلةٌ [في الإسلام] ليست لأحد من العرب، إنّ محمداً ﷺ لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم [إلى عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان] فما آمن به إلّا القليل ما كانوا يقدرّون على منعه، ولا على إعزاز دينه،

(١) أي: هياتُ.

(٢) أي: تمهل.

(٣) لقوله ﷺ: « الأئمة من قريش ».

(٤) هذا مثل لمن كان يستشفى برأيه وعقله. والجذيل تصغير الجذل وهو اصل الشجرة.

والمحكك الذي تحكك به الابل الجرباء وهو عود ينصب في مبارك الإبل تتمرس به الابل الجرباء (م).

(٥) أي: وثبنا وأسرعنا.

(٦) ينبغي أن يتزّه الصحابة وعمر رضي الله عنهم عن مثل هذا السخف وهم الذين افتدوا دينهم بأنفسهم وأموالهم.

(٧) ما أظن هذه الرواية تصح أبداً، فليُنظر في أسانيدھا.

ولا على دفع ضيم حتى إذا أراد الله بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة [وخصكم بالنعمة] ورزقكم الإيمان به ورسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيد المقادة صاغراً، فدانت لرسوله بأسيا فكم العرب وتوفاه الله وهو عنكم راض، [وبكم] قرير العين، استبدوا بهذا الأمر دون الناس فإنه لكم دونهم « فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت وأصبت الرأي، ونحن نوليك هذا الأمر فإنك مقنع ورضاً للمؤمنين .

ثم إنهم ترادوا الكلام [بينهم فقالوا : فإن] أبى المهاجرون من قريش وقالوا : نحن المهاجرون وأصحابه الأولون وعشيرته وأولياؤه [فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده] فقالت طائفة منهم : إنا نقول : منا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا أبداً . فقال سعد : هذا : أول الوهن وسمع عمر الخبر فأتى منزل النبي ﷺ وأبو بكر فيه فأرسل إليه أن أخرج إلي فأرسل إليه إني مشغل، فقال عمر : قد حدث أمر لا بد لك من حضوره فخرج إليه فأعلمه الخبر، فمضيا مسرعين نحوهم، ومعهما أبو عبيدة . قال عمر : فأتيناهم وقد كنت زورت كلاماً أقوله لهم، فلما دنوت أقول أسكتني أبو بكر وتكلم بكل ما أردت أن أقول فحمد الله، وقال : إن الله قد بعث فينا رسولاً [إلى خلقه] وشهيداً على أمته ليعبدوه ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر، وخشب فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه [والإيمان به] والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم وتكذيبهم إياه وكل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقله عددهم وشنف^(١) الناس لهم، فهو أول من عبد الله في هذه الأرض وآمن بالله وبالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، لا ينازعهم الا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الاسلام رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، [وفيكم جلة أزواجه وأصحابه] فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تفاوتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور .

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال : يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم

(١) شنف - كفرح : البغض والتكر .

فإنَّ الناس في ظَلَمكم، ولن يجترىء مجترىء على خِلافِكم، ولا يصدر [الناس] إلا عن رأيكم، أنتم أهل العِزِّ [والثروة]، وأولو العدد والمنعة، وذوو البأس [والنجدة]، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم [رأيكم]، وينتقض عليكم [أمركم]، أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنكم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع آثنان [في قرن] والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبينا من غيركم، ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ولنا بذلك الحجة الظاهرة على من ينازعنا سلطان محمد، ونحن أولياؤه وعشيرته (١).

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار أملكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم [ما سألتموه] فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيا فكم دان الناس لهذا الدين، أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب، أنا أبو شبل في عرينة الأسد. والله لئن شئت لنعيدنها جذعة. فقال عمر: إذا ليقتلك الله فقال: بل إياك يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر [وآزر] فلا تكونوا أول من بدّل وغير، فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار إنا والله وإن كنا أولى فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في [هذا] الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لانفسنا، فما ينبغي أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به [من] الدنيا عَرَضاً إلا أن محمداً ﷺ من قريش وقومه أولى به، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً فأتقوا الله ولا تخالفوهم [ولا تنازعوهم]

فقال أبو بكر: هذا عمر، [وهذا] أبو عبيدة فأيهما شئت فبايعوا. فقالا: والله لا نتولى هذا الأمر عليك وأنت أفضل المهاجرين، وخليفة رسول الله ﷺ في الصلاة، وهي أفضل دين المسلمين، [فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك؟] أبسط يدك نبايعك. فلما ذهب يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر عَقَقْتَ عَقاقاً [ما أحوجك إلى ما صنعت] أنفست على ابن عمك الامارة!

(١) وهذا أيضاً ينظر في أسانيده.

فقال: لا والله ولكني كرهتُ أن أنازع القوم حقاً جعله الله لهم، ولَمَّا رأت الأوسُ ما صنع بشير وما تطلب الخزرج من تأمير سعد قال بعضهم لبعض وفيهم أُسَيْد بن حُضَيْر، وكان نقيباً: والله لئن وَلَيْتُهَا الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم [معهم] فيها نصيباً أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر. [فقاموا إليه] فبايعوه فأنكسر على سعد والخزرج ما أجمعوا عليه، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب، ثم تحول سعد بن عبادَةَ إلى داره فبقى أياماً وأرسل إليه [أن أقبل] فبايعه فإنَّ الناس قد بايعوا، فقال: لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي [من نبلي] وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني ولو اجتمع معكم الجن والانس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي^(١)، فقال عمر: لا تدعه حتى يبايع، فقال بشير بن سعد: إنه قد لج وأبى ولا يبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه أهله وطائفة من عشيرته [فأتركوه] ولا يضركم تركه، وإنما هو رجل واحد فتركوه وجاءت أسلم فبايعت فقوي أبو بكر بهم وبايع الناس بعد.

قيل: إن عمرو بن حريث قال لسعيد بن زيد: متى بويع أبو بكر؟ قال: يوم مات رسول الله ﷺ كرهوا أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة^(٢) قال الزهري: بقي علي، وبنو هاشم، والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها فبايعوه^(٣) فلما كان الغد من بيعة أبي بكر جلس على المنبر وبايعه الناس بيعة عامة، ثم تكلم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس قد وُلِّيتُ عليكم، ولستُ بخيركم فإن أحسنتُ فأعينوني وإن أسأتُ فقوموني، الصدق أمانة. والكذب خيانة، والضعيف فيكم

(١) حاشا لله ان يقول ذلك وهو الذي أقربان الأئمة من قريش، وما كان له ان يستحل دم امرء مسلم لأجل عرض من الدنيا.

(٢) كما خافوا وقوع الفتنة والفرقة.

(٣) قال ابن كثير (٤/٤٩٦ السيرة) ومن تأمل ما ذكرناه ظهر أجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار على تقديم أبي بكر، وظهر برهان قوله عليه السلام: «يا أيُّ الله والمؤمنون إلا أبا بكر» وظهر له ان رسول الله ﷺ لم ينص على الخلافة عينا لأحد من الناس، لا لأبي بكر كما قد زعمه طائفة من اهل السنة ولا لعلي كما تقوله طائفة من الرافضة.

ولكن اشار اشارة قوية يفهمها كل ذي لب وعقل الى الصديق كما قدمنا. أهـ

وقد بسط شيخ الإسلام بن تيمية هذه القضية في كتابه «منهاج السنة النبوية».

قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى، لا يدع أحدٌ منكم الجهاد فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطيعت الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله.

(أسيد بن حُضير) بضم الهمزة وبالحاء المهملة المضمومة وبالضاد المعجمة وآخره راء.

* * *

ذكر تجهيز النبي ﷺ ودفنه

فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ، ودُفِنَ يوم الثلاثاء، وقيل: بقي ثلاثة أيام لم يدفن والأول أصح. وكان الذي وَلِيَ غسله عليّ، والعباس، والفضل، وقثم ابنا العباس، وأسامة بن زيد؛ وشقران مولى رسول الله ﷺ وحضرهم أوس بن خولي الأنصاري وكان بدرياً، وكان العباس وابناه يقلبونه، واسامة، وشقران يصبون الماء وعليّ يغسله، وعليه قميصه وهو يقول: بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً. ولم يُر من رسول الله ﷺ ما يُرى من ميت. واختلفوا في غسله في ثيابه أو مجرداً، فألقى الله عليهم النوم، ثم كلمهم مكلم لا يدرى من هو أن غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ففعلوا ذلك.

وكفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب. ثوبين صحاريين. وبرد حبرة أُدرَجَ فيها إدراجاً، واختلفوا في موضع دفنه فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبيٌّ إلا دفن حيث قبض» فرفع فراشه ودفن موضعه، وحفر له أبو طلحة الأنصاري لحداً، ودخل الناس يصلون عليه أرسالاً. الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان، ثم العبيد، ودفن ليلة الأربعاء، وكان الذي نزل قبره علي بن أبي طالب، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران، وقال أوس بن خولي الأنصاري: لعليّ أنشدك الله وحظنا من رسول الله ﷺ فأمره بالنزول، فنزل، وكان المغيرة بن شعبة يدّعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ ويقول: ألقى خاتمي في قبره عمداً فنزلتُ لأخذها، وسأل ناسٌ من أهل العراق علياً عن ذلك، فقال: كذب المغيرة أحدثنا عهداً به قثم بن العباس،

واختلفوا في عمره يوم مات . فقال ابن عباس ، وعائشة ، ومعاوية وابن المسيب : كان عمره ثلاثاً وستين سنة ، وقال ابن عباس أيضاً ودغفل بن حنظلة : كان عمره خمساً وستين سنة ، وقال عروة بن الزبير : كان عمره ستين سنة .

الفهرس

السنة الأولى من الهجرة

٣	السنة الأولى من الهجرة
٣	ذكر هجرة النبي ﷺ
٩	ذكر ما كان من الأمور أول سنة من الهجرة
١٢	السنة الثانية من الهجرة
١٢	ذكر سرية عبدالله بن جحش
١٤	ذكر غزوة بدر الكبرى
٣٣	ذكر غزوة بني قينقاع
٣٥	ذكر غزوة الكدر
٣٦	ذكر غزوة السويق
٣٨	السنة الثالثة من الهجرة
٣٨	ذكر قتل كعب بن الأشرف اليهودي
٤١	ذكر قتل أبي رافع
٤٤	ذكر غزوة أحد
٥٧	ذكر غزوة حمراء الأسد
٥٩	السنة الرابعة من الهجرة
٥٩	ذكر غزوة الرجيع
٦٠	ذكر إرسال عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان
٦٣	ذكر بئر معونة
٦٤	ذكر إجلاء بني النضير
٦٦	ذكر غزوة ذات الرقاع

- ٦٨ ذكر غزوة بدر الثانية
- ٦٩ **السنة الخامسة من الهجرة**
- ٧٠ ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب
- ٧٥ ذكر غزوة بني قريظة
- ٧٨ **سنة ست من الهجرة**
- ٧٨ ذكر غزوة بني لحيان
- ٧٨ ذكر غزوة ذي قرد
- ٨١ ذكر غزوة بني المصطلق من خزاعة
- ٨٣ حديث الأفك
- ٨٦ ذكر عمرة الحديبية
- ٩٥ ذكر مكاتبة رسول الله ﷺ الملوك
- ٩٩ **سنة سبع**
- ٩٩ ذكر غزوة خيبر
- ١٠٤ ذكر فذك
- ١٠٦ ذكر عمرة القضاء
- ١٠٨ **سنة ثمان**
- ١٠٩ ذكر إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة
- ١١٠ ذكر غزوة ذات السلاسل
- ١١٠ ذكر غزوة الخبط وغيرها
- ١١٢ ذكر غزوة مؤتة
- ١١٦ ذكر فتح مكة
- ١٢٨ ذكر غزوة خالد بن الوليد بني جذيمة
- ١٣٥ ذكر غزوة هوازن بحنين
- ١٤٠ ذكر حصار الطائف
- ١٤١ ذكر قسمة غنائم حنين
- ١٤٦ **سنة تسع**
- ١٤٦ ذكر إسلام كعب بن زهير
- ١٤٩ ذكر غزوة تبوك

١٥٤	ذكر قدوم عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله ﷺ
١٥٤	ذكر قدوم وفد ثقيف
١٥٦	ذكر غزوة طيء وإسلام عدي بن حاتم
١٥٧	ذكر قدوم الوفود على رسول الله ﷺ
١٦٠	ذكر حج أبي بكر رضي الله عنه
١٦٢	سنة عشر
١٦٢	ذكر وفد نجران مع العاقب والسيد
١٦٨	ذكر إرسال علي إلى اليمن وإسلام همدان
١٦٨	ذكر بعث رسول الله ﷺ أمراءه على الصدقات
١٧٠	ذكر حجة الوداع
١٧٢	ذكر عدد غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه
١٧٣	ذكر عدد حج النبي صلى الله عليه وسلم وعمره
١٧٣	ذكر صفة النبي ﷺ وأسمائه وخاتم النبوة
١٧٤	ذكر شجاعته ﷺ وجوده
١٧٤	ذكر عدد أزواج النبي ﷺ وسراريه وأولاده
١٧٧	ذكر موالي رسول الله ﷺ
١٧٨	ذكر من كان يكتب لرسول الله ﷺ
١٧٩	ذكر أسماء خيله ﷺ
١٨٠	ذكر بغاله، وحميره، وإبله ﷺ
١٨٠	ذكر أسماء سلاحه ﷺ
١٨٢	سنة إحدى عشرة
١٨٢	ذكر مرض رسول الله ﷺ ووفاته
١٨٩	حديث السقيفة وخلافة أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه
١٩٥	ذكر تجهز النبي ﷺ ودفنه